نقطة
NOQTA
مجلة ثقافية اجتماعية فصلية
العدد ٤/ السنة الأولى/ شعبان/ ١٤٣٣هـ / حزيران ٢٠١٢م
ملف العدد
السلام عليك أيتها الأرضية المؤمنة
السلام عليك أيتها الأرض الطاهرة
السلام عليك أيتها الأرض الأبية
السلام عليك أيتها الأرض الطيبة
السلام عليك أيتها الأرض المقدسة
السلام عليك أيتها الأرض العلمية
الله أكبر
الله أكبر

مجلة ثقافية اجتماعية فصلية
برعاية مكتب سماحة آية الله العظمى المرجع الديني الكبير
الشيخ بشير حسين النجفي (دام ظله)

مؤسسة الأنوار النجفية للثقافة والتنمية

الهيئة الاستشارية
أ.م. د. ستار الأعرجي (رئيس الهيئة)
أ.م. د محمد زوين (عضو)
الباحث الإسلامي عبد الحميد الجاف (عضو)

رئيس التحرير
نصير سامي الحسناوي

مدير التحرير
مهدي صالح الفحام

سكرتير التحرير
علي الوائلي

أسرة التحرير
حيدر العبدلي
مصطفى رزاق
عمار الطريحي
حسنين الموسوي
علياء عبد الزهرة

التدقيق اللغوي
محمد الحاضري

العلاقات
محمد عبد الرزاق

تصوير
صفاء الجزائري
كرار وليد البرقعاوي
حبيب شهيد عبد الكريم

النشر الالكتروني
مصطفى القيسي

تدوين
عباس شربة

تنضيد
باقر الطريفي

التصميم والإخراج الفني
م. حيدر محمد الطريفي

طباعة
دار الضياء / النجف الأشرف
07801000603

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق الوطنية في بغداد
(1655) لسنة (2012م)
معتمدة لدى نقابة الصحفيين العراقيين بالرقم (1136)
لسنة (2011م).

في هـــذا العدد

المجلة ترحب بمساهماتكم واقتراحاتكم عبر عناوينها التالية:
جمهورية العراق ـ النجف الأشرف
http://www.anwar-n.com
Nq@anwar-n.com
الهاتف: 033 33345 / النقال: 07801297218
ص.ب: 732 مكتب بريد النجف
سعر النسخة: 1500 دينار عراقي
وفي باقي دول العالم: 2.50$ أو ما يعادلها
ماينشر في المجلة يعبر عن رأي الكاتب

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

عَلى مَعرِفَتِها دَارَتْ القُرونُ الأُولى

إن قوام الإنسانية بجميع موروثها الحضاري والفكري قد أتخذ عدة أنماطاً متعددة، يعود نتاجها لأُسُس عقائدية دينية، أو مادية، بيد أن المحصل في كُل ما أنف وبمختلف مشاربه ومتارعه تعود جذوره لأسس (فطرية)، قد تتعرض لغسيل دماغ أو بمنافع تؤدي للتعصب، أو تبقى سليمة تنتظر مَن يُبيّن لها الخطوط المستقيمة، أو يكون نتاج ردود أفعال لما تتعرض له ثقافة هذا المجتمع أو ذاك بمختلف مواقعه الجغرافية أو الزمانية، ثم أن المحرك الأساسي أو المؤثر فيه لا يخرج عن أسباب وعلل (فاعلية، مادية، صورية، غائية) وبشكل أوضح: (مَن، وممّن، وكيف، ولمَ)، ومما توافقت عليه عصارة الإنسانية جمعاء هي أن الله هو الفَاعل والموجد الأول ومنذ الأزل كان قبل أن يكون الكون والأين والكيف، ثم أصطفى وأختار من أختار، فكان محمد سيدُ مَن أختار، وآله نور من هذه الأنوار.

وبعيداً عن فلسفة المشائية ونظرية العقول العشرة، أو أرباب الأنواع، أو المثل الأفلاطونية، يجدر بنا أن نقر بأن هناك مَا لا يمكن للعقل أن يكنهه أو يصل إليه، سوى مَن أرتبط بالخالق أو الموجد أو مَن صنعنا، ومن المعلوم كُلما قَرب هذا المتصل كلما دارت رحى العلية عليه، بل ووجد الوجود لأجله، ففيه الكمال الأمثل؛ وليس ثمة مَن يستحق ذلك إلا الطاهر المقدس، وبالبداهة هو الرسول الأعظم (ص)، وهو الوجود الأقرب للواجد بل أشرف الموجودات، وهو أقدم ممَن هو دونه؛ بحكم العقل ـ فكان الخلق للأكمل والأكمل حُجة على سائر الخلق البشري ـ وهذا أيضاً ما تعارفت وتوافرت عليه الأخبار، إذ نقل ابن شهر آشوب في مناقبه عن الرسول (ص): (خُلقت أنا وعلي من نور واحد نُسبح الله يمنة العرش قبل أن يخلق الله آدم بألفي عام)، وهكذا تتحد الأسناخ قرباً في الصفات ـ تسبح له وتعضمه وتكبره وتجلله، فهي أدرك المخلوقات ما للخالق من عظمة وجلالة.

ذلك بفعل التشابه بين العلّة والمعلول والمكون والمكنون فـ«كلّ جنس إلى جنسه يميل»، قطعاً أنّ مَن يلي رسول الله هو علي (ع)، وهكذا زادت تلك الروابط وتوشجت تلك المحورية (الرسالة والإمامة) فكان لفاطمة (ع)؛ محور الربط لـ(الإمامة والرسالة) فهي علة لغاية التكامل والطهر والقدس الذي من أجله وجد الوجود وسطرت نماذج التكامل الإنساني؛ وسيباهي الله بها ملائكته لكمالها الاختياري، وهي ممن (عَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء)، وبذلك يتضح محور (ما تكاملت نبوة نبي من الأنبياء حتى أقر بفضلها ومحبتها وهي الصديقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الأولى).

ولنقف عند قوله عزّ من قائل: (تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) ونتأمل في مباهلة أعظم خلق الله (ص) حيث جعل في مشيته نحو المباهلة مشية هرمية، جناحيها الحسن والحسين (ع)، ورأس الهرم محمد (ص) وقلبه فاطمة (ع)، وقاعدتها عليّ (ع)، وبغض النظر عن المحور الأخلاقي الذي علمناه أصحاب أقدس بيوتات الله، لابد أن نعلم (إن قول وفعل وتقرير وإمضاء المعصوم) حُجة ـ لاقترانه بالإرادة الإلهية، وفيه حكمة، وفلسفة وحكماً شرعياً، (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى × إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى × عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى)، فبالتأكيد أن هذه الهرمية كانت مقصودة مدروسة من الرسول الأعظم (ص)، فهم جسداً واحداً يُكمل بعضه البعض، لا تستطيع الزمكانية أن تحيطها، فهي تُنصّع كُل معارف الفطرة، وتؤصل معارف الوجود، العاجزة بقرونها الأولى فضلاً عن أخراها وأساطين العرفان.

وللمزيد ندعو قارءنا الكريم أن يقف عند ملف مجلتنا لعلنا قد وفقنا لنغترف نقطة من بحر جلالة ومكانة سيدة النساء، ذلك بجهد مَن شاركنا مشكوراً.

في هذا الملف

وظيفة الشهادة ونصابها

من المتفق عليه أن البيّنة الشخصية لا مبرر لاستماعها في الخصومات إلا عند إنكار الحق موضوع الدعوى، فإن حصل إقرار من الخصم تنقطع الخصومة ولا معنى بعد ذلك لإقامة البيّنة، وعند الإنكار إذا كلف المدعي بإقامة الشهود على صحة دعواه تطبيقاً لقاعدة البيّنة على المدعي وجاءت شهاداتهم مستكملة شروطها ووفق نصابها فالقاضي عندئذ وحسبما ورد في مجلة الأحكام العدلية وكتب أئمة الأحناف ملزم بالأخذ بها والقضاء بموجبها ولا مناص له من غير ذلك ـ ولو خالفت اقتناعه ـ فإذا امتنع أثم وعزر واستحق العزل ـ وحجتهم في ذلك (إن الضرورة تقدر بقدرها) فبعد أن تحققت شروط الحكم للقاضي فليس له أن يؤخره.

ومن القواعد الكلية في مسائل الإثبات (أن البيّنة على المدعي واليمين على من أنكر). والبينة هي الحجة القوية. وقد سميت بيّنة لأنها تبيّن وتوضح الحق من الباطل، وقد اتفق الفقهاء على تكليف المدعي لإقامة البيّنة على دعواه لأنها ـ أي الدعوى ـ خلاف الظاهر وضعيفة فلابد من تقويتها بالبرهان. وبحسب مجلة الأحكام العدلية القائمة على الفقه الحنفي لا يجوز للمحكمة أن تأخذ بقسم من شهادة الشهود وترفض القسم الآخر، كما لا يجوز للمشهود له أن يقبل بجزء منها ويرد الباقي، لأن الشهادة تعتبر على القول الراجح "كل واحد لا يتجزأ، وأن الرد تجهيل أو تكذيب أو كلاهما مُفسد لمصلحة الشهادة".

أما في الفقه الجعفري: فبعد إحراز العدالة في الشاهد لا يمتنع شيء من قبولها إلا مع التهمة لوجود العداوة أو جر النفع أو دفع الضرر حيث وجدا معاً ـ ولا يمنعان فيما لا يوجدان فيه. ونظراً لعيوب الشهادة لاستنادها إلى ذاكرة الشهود مع تعرض الذاكرة للنسيان والوهم، مما يؤدي إلى النزاع فقد عالج الفقه الإسلامي ذلك بتقرير كتابة العقود، والشهادة عليها سلفاً لدى كاتب بالعدل ـ يطلب لتلاوة شهادته المكتوبة عند حدوث نزاع.

وقد عالج الشرع والفقه الشهادة بالنصوص والاجتهاد وتقرر لذلك نصاب يختلف باختلاف الأحوال، فجعل نصاب الشهادة على العقود والمعاملات المالية رجلين أو رجلاً وامرأتين وعلل ذلك باحتمال نسيان إحدى الامرأتين تذكير الأخرى لها.

فالشهادة في الشريعة الإسلامية تقوم على تحقيق يسبق الإدلاء بها، فقد جرى العمل منذ قرون الاجتهاد المطلق على امتحان عدالة الشاهد والاستيثاق منها، واستبعاد شهادة من لا تثبت عدالته، أي التزامه جانب الحياد التام والصدق، وعدم ارتكاب كبيرة من الكبائر، ويستدل على ذلك بدراسة سلوكه في بيئته الاجتماعية، وما عرف به من حسن وقبح، فإن عرف بقبيح حكم بفسقه، أي خروجه عن معايير العدل الشرعية والخُلقية، وإن لم يعرف بذلك كان حرياً بأن يحكم بعدالته، فتسمع شهادته. وهكذا يمكن القول إن سلطة القاضي الإسلامي في تقدير الشهادة تسبق إدلاء الشاهد بشهادته وإنها إلى جنب ذلك تكمن في الكيفية المرسومة للشهادة من حيث شروط ذكر الوقائع المشهود عليها ونصاب الشهود وعدم التناقض في الشهادة.

ولكن فقهاء العصر الحاضر لم يدركوا هذه الحقيقة، فخيل إليهم أن عمل القاضي الإسلامي بالشهادة كان عملاً آلياً لا مجال فيه للتقدير، وهو تصور خاطئ وقع فيه بعض فقهائنا العرب المعاصرين.

فجاء في أصول المحاكمات للأستاذ رزق الله الأنطاكي (أن القاضي الإسلامي لم يكن له أية سلطة تقديرية بالنسبة للشهادة فإذا جاءت مستوفية شروطها الشكلية وجب على القاضي أن يأخذ بها وليس له في ذلك أية سلطة تقديرية).

أما مدى القيمة الإثباتية للشهادة في الشريعة الإسلامية فيختلف حسب عدد الشهود، وحسب نوعية الموضوع المشهود فيه. وهو في ذلك على أربع مراتب هي:

المرتبة الأولى: وهي ما لا يثبت من الحقوق فيها إلا بأربعة شهود من الذكور، وذلك في واقعة الزنا، وسبب التشديد في مسألة الزنا هو الرغبة في الاحتياط والتستر إذ أن وقوف هذا العدد من الشهود على هذه الواقعة قلما يتحقق.

المرتبة الثانية: ونصابها رجلان وهي بإجماع فقهاء المذاهب الإسلامية تكفي لإثبات ما بقي من الحقوق كالسرقة والقذف وشرب الخمر والارتداد.

المرتبة الثالثة: وهذه المرتبة تتضمن حقوق المخلوق ونصابها في الفقه الحنفي وجملة الأحكام العدلية رجلان أو رجل وامرأتان سواء كانت هذه الحقوق مالاً أو غير مال، كالدَّين والوقف والغصب والوصية وعقود المعاوضة كالبيع والأحوال الشخصية كالنكاح وفسخه والطلاق والرضاع والقتل الخطأ لقوله تعالى: (وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى).

وقد قضت محكمة التمييز بأنه (لا يجوز إثبات الطلاق بشهادة رجل وامرأة لعدم اكتمال نصاب الشهادة شرعاً).

في القضاء الإسلامي

المحامي: مهدي مجيد كربول

المرتبة الرابعة: ونصابها فرد واحد وهي على نوعين:

الأول: شهادة امرأة واحدة والاثنان أحوط بالنسبة للمال فقط بالنسبة للمحال التي لا يطلع عليها إلا النساء وهذا في الفقه الحنفي والحنبلي كالبكارة، والولادة وأمراض وعيوب النساء.

أما في الفقه الجعفري فلا تقبل شهادة الفرد الواحد إلا ما قيل في هلال شهر رمضان وكذلك عند الإمام الشافعي.

وفي الفقه الجعفري كل مورد يثبت فيه الحق بشهادة النساء منفردات فلا يكفي فيه أقل من أربع، فإن لم يكتمل النصاب كانت الشهادة لغواً لا أثر له عداً في موضعين هما:

١ــــ الوصية التكميلية، فإنه يثبت بالواحدة ربع، وبالاثنين نصف وبالثلاثة ثلاثة أرباع وبالأربعة الكل.

٢ــــ الاستهلال: أي الشهادة بولادة الجنين حياً، فيثبت ربع الميراث بالواحدة وبالاثنين النصف وبالثلاث ثلاثة أرباع وبالأربع الكل.

الثاني: شهادة رجل واحد تكفي في عيوب المبيع وعزل الوكيل وادعاء الحمل في زوجة المتوفى.

وفقهاء الشريعة عدا الأحناف والإمام الاوزاعي والليث من أصحاب مالك متفقون على أن ما يثبت فيها بشهادة رجل واحد وامرأتين يثبت بشهادة رجل واحد ويمين المدعي لما ورد من قضاء النبي (ص) وفريق من قضاة السلف به.

والشهادة في الشريعة لا تجب في شيء من العقود لا وضعا ولا تكليفا إلا في النكاح عند الأحناف، والطلاق عند الجعفرية، فلا يصح الزواج عند الحنفية ولا الطلاق عند الجعفرية بدون حضور شاهدين عدلين. وتستحب فيما عدا ذلك، والغاية من حضور الشاهدين في الطلاق لإبداء النصيحة للزوجين بغية العدول عن الطلاق والتنبيه إلى عواقبه وسبيلا لاستيفاء مصالحة الطرفين.

وإذا تعدد الشهود وكانوا أكثر من النصاب وجاءت شهادات البعض منهم متفقة مع الدعوى أو مع بعضها الآخر بحيث تستكمل النصاب فعندئذ تقبل الشهادة بهذا النصاب، وإن اختلفت مع بقية الشهادات حتى وإن كان هذا القسم أكثر من شهادات النصاب.

وبخصوص توجيه اليمين للشاهد فقد أجمع أغلب فقهاء الشريعة على عدم تحليف الشاهد في المعاملات المدنية، وخالف ابن أبي ليلى من فقهاء الحنفية حيث يقول بتحليف الشاهد اليمين قبل أدائها. ويرى بعض الفقهاء لزوم التحليف إذا كان فيها لزوم تقوية الشهادة، وأمر ذلك متروك للقاضي.

وعند المالكية ـ لا يكلف الشاهد بأداء اليمين حيث لديهم لفظ (اشهد) يعني اليمين ولا تجوز الشهادة بدون لفظ (اشهد).

وبصدد توجيه اليمين أورد محمد حسين كاشف الغطاء: (أن الشاهد إما أن يكون عدلا فعدالته كافية لحصانته، وإما أن يكون فاسقا فلا يتحرج من الكذب ولا من اليمين، وأن الشهادة من المسائل الحسية فلا يجوز إرهاق الشاهد بالأيمان).

وكان الإمام علي (ع) يحلّف من يرتاب في شهاداتهم بدون طلب من الخصوم.

وللأحناف قولان، فبعضهم يرى جواز التحليف وبعضهم لا يرى ذلك.

وتزكية الشهود هي التحقيق من عدالتهم قبل الشهادة. فلا تقبل شرعا شهادة من اشتهر بكذبه أو عرف بسوء الحال ورداءة الأخلاق.

وتكون التزكية بمرحلتين هما:

تزكية السر: وتكون بورقة يعبر عنها في اصطلاح الفقهاء بـ(المستورة).

تزكية العلن: ولا تأتي إلا بعد مرحلة تزكية السر.

إن عدالة الشهود في هذا الزمن قد أصبحت غير معلومة فوجب تقويتها باليمين وقد جاء في مجلة الأحكام العدلية نقلاً عن السيد السابق:

(إذا ألحّ المشهود عليه على الحاكم قبل الحكم بتحليف الشهود أنهم لم يكونوا في شهادتهم كاذبين وكان هناك لزوم لتقوية الشهادة باليمين كان للحاكم أن يحلف الشهود وأن يقول لهم: إذا حلفتم قبلت شهادتكم وإلا فلا).

وبه قال ابن أبي ليلى كما ذكرنا وابن القيم ومحمد بن بشير.

وعند الحنابلة لا يستحلف شاهد أنكر تحمل الشهادة ولا حاكم أنكر الحكم ولا وصي على نفي دين على موص).

شهادة الزور: شهادة الزور من أكبر الكبائر وأعظم الجرائر فهي مناصرة للظالم وهضم لحقوق المظلوم، وتضليل للقضاء وإيغار للصدور ويقول الله سبحانه وتعالى: (وَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ).

أما عقوبة شاهد الزور فهي عند الإمام مالك والشافعي وأحمد يعرف بأنه شاهد زور بعد أن يعزر.

وزاد الإمام مالك فقال: يشهر به في الجوامع والأسواق ومجتمعات الناس العامة عقوبة له وزجراً لغيره).

الله أكبر

مشكلة الهوية في العراق

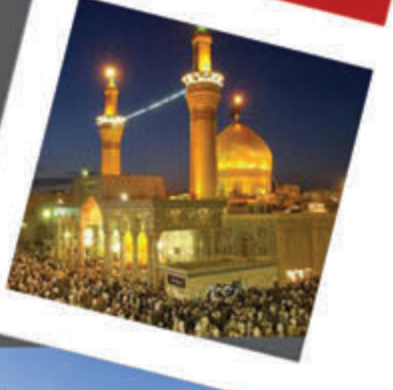

علي عبد الهادي المعموري

في الواقع وكما يقول الدكتور صادق الأسود فإن ((عالم السياسة ليس مجموعة من الوقائع والمواقف وأنماطاً من السلوكيات التي يمكن مراقبتها في الواقع فحسب، وإنما هو أيضاً مجموعة من القيم، أي أفكار ومبادئ ومفاهيم ومعتقدات ونظريات وأيديولوجيات وصيغ من التفكير والسلوك وعليه فلا يمكن دراسة الظواهر السياسية المؤسسة منها وغير المؤسسة دون أن نأخذ بنظر الاعتبار القيم التي تشخصها))، ومن البديهي أن واحدة من أهم تلك القيم المشخصة بمجموعها للنظام السياسي هي الهوية التي يصطبغ بها النظام ويتحرك ضمن أطرها.

وربما يكون من نافل القول أن نذكر - ونحن نتحدث عن العراق - أن أزمة الهوية الموحدة وتشكيل ملامحها الأساس هي أولى مشاكل النظام السياسي - أيا كان توجهه - في العراق.

والهوية - بوصفها تمثل للذات أو للغير، مطبوعة بالحرص على الانغراس في الديمومة والاستمرارية - تكاد تكون مبهمة وغير واضحة المعالم على الإطلاق سواء على المستوى الفردي أو المستوى العام إذا أردنا أن نقول بوجود هوية عراقية.

فالمشكلة الأولى التي تواجه المتقصي هي في تحديد معالم هذه الهوية. ومن أي قيم تتكون، لأن العراق يتمتع بكونه فسيفساء معقدة من الأديان والمذاهب والأعراق. وهذه الأمور تتداخل فيما بينها تداخلاً كبيرا. فأنت تجد العربي المسلم والعربي غير المسلم والمسلم غير العربي وضمن الإسلام تجد العربي المنتمي إلى مذهب والآخر غير المنتمي إليه وغير العربي المسلم المنتمي إلى هذا المذهب. وتجد المسيحي والصابئي والايزيدي ضمن قوميات عديدة وانتماءات أكثر تعددا. وهكذا فإذا أردنا أن نحد الهوية العراقية بدين معين أو بقومية معينة فلن نكون دقيقين على الإطلاق وهذه هي أس المشاكل في العراق.

فالحكومات المتعاقبة التي أمسكت زمام الدولة العراقية الحديثة والتي فطنت إلى هذه المشكلة مبكرا ومنذ أيام الملك فيصل الأول الذي كان يقول انه لا يملك عراقاً واضح المعالم بل هويات مشرذمة من جنوبه إلى شماله. هذه الحكومات انطلقت في معالجتها لهذه الأزمة من حلول خاطئة من أساسها وقد لا نكون منصفين إذا قلنا إن الحكومات المتأدلجة وحدها المخطئة في علاج هذه المشكلة بل أن اغلب الإيديولوجيات التي ظهرت في العراق انطلقت في حلها من نفس الخطأ إلا وهو الإحلال أي محاولة إلغاء الهويات الفرعية وإحلال هوية جديدة محلها أو دعم هوية معينة وإلغاء الهويات الأخرى.

فالمنظومة القومية التي سيطرت على الحكم في العراق حاولت بكل جهدها أن تلغي التنوع العراقي لحساب هوية قومية مصطبغة بالتمذهب - والمفارقة في الأمر أن هذا التمذهب كان صادراً من قبل أناس معادين للدين - متجاهلة أن كل فعل يولد نقيضه المساوي له بالقوة والمعاكس له بالاتجاه.

والمنظومة الشيوعية انطلقت في تأطيرها الفكري محاولة هي الأخرى إيجاد قيم مكونة للهوية متجاهلة عدم وجود نظام طبقي صارم في العراق ومتجاهلة قيم الدين المنغرسة عميقا في نفوس الناس والتي تمتلك من عوامل التجذر والبقاء ما لا تملكه أي منظومة فكرية أخرى.

وهكذا نرى أن أي هوية عراقية مستندة إلى العرق لن تكون وافية وشاملة. وأخرى مستندة إلى المعتقد الديني لن تكون مُرضية للجميع. كما أن هوية تسعى إلى إلغائهما معا لن يكتب لها العيش. **أن أزمة الإيديولوجيات السياسية العراقية سواء التي حكمت أم تلك التي لم تحكم أنها استوردت قيم جاهزة من الخارج وحاولت إقحام الجسد العراقي فيها** متجاهلة التكوين الاجتماعي المتنوع والقيم الفكرية المتعددة للمجتمع العراقي، وهي في كل مساعيها هذه كتب لها الفشل، وولدت مصائب ومشاكل لا يزال البلد يعاني منها وتستنزفه بشدة مدمرة موارده البشرية ومعرقلة لنشوء نظام سياسي محكم يستند إلى دعم شعبي واسع قائم على إحساس بالانتماء المتبادل بين الحاكم والمحكوم بين النظام ومكوناته، نظام لا يتجاهل الهويات المتعددة المشكلة والغنية بقيمها وتراثها ولا يسمح في الوقت عينه لأي منها أن تهيمن على الأخرى أو أن تأخذ من النفوذ ما يتجاوز الحدود التي تنتهي عندها المكونات وتبدأ الدولة وتمظهرها الأوضح المتمثل بالحكومة.

إننا لا ندعو إلى نشوء نظام خاضع للمكونات الفرعية غائب الملامح مزدوج الشخصية لا يمتلك وضوحاً في الرؤية والانتماء متنازع المكونات والقيم؛ أو إلى أي نظام يحمل هوية صارمة حادة الملامح تتجاهل الهويات المكونة للمجتمع العراقي منفصلة عنه لأن هذا النموذج لم ينجح، **إننا ندعو إلى نظام يحمل هوية تقوم على قيم المواطنة والتعايش واحترام الآخر وتنطلق من مبدأ سيادة القانون والمساواة الاجتماعية والعدالة** ضمن سعي حثيث لاستثمار الثراء والغنى الاجتماعي الذي تمتلكه القيم المكونة للهويات المختلفة للبلاد ودعم عمليات التثاقف وتقديس التنوع والتعدد، وربما يُعد الانتماء إلى الوطن (العراق) هو المفهوم الوحيد الذي يجمع كُل تلك المتنازعات.

فهل تستطيع الأحزاب السياسية العراقية والحكام والمؤسسات الثقافية والتعليمية والتربوية أن تقوم بهذا الدور؟ هذا هو السؤال الكبير.

ثقافة اللاعنف

والتسامح خطاب إسلامي متوازن ومعتدل

د. مرتضى عبد النبي علي مشل الشاوي/ جامعة البصرة / كلية الآداب

يهدف البحث إلى الكشف عن أهمية التسامح لدى أفراد المجتمع بالوقوف عند معناه لغة واصطلاحاً بوصفه مرادفاً للرفق ومضاداً للعنف الذي يمثل الشدة والقسوة، ومدى الفرق بينه وبين العنف من حيث اللغة والاصطلاح، فالتسامح يمثل صفة اللاعنف.

فضلاً عن تمييز أنواع التسامح بإيجاز وبيان مزاياه ومعرفة أهميته من منظور اجتماعي والنظر إليه في ضوء خطاب النص القرآني، ففي القرآن الكريم هناك أكثر من آية تدعو إلى اللين والسلم ونبذ العنف والبطش.

هذا البحث المقتضب محاولة لتسليط الضوء على أهمية ثقافة التسامح ونشرها في المجتمع وشيوعها بشكل يتفق مع المنظور الإسلامي.

لأنّ الإسلام (دين الفطرة) يدعو إلى التسامح واللين والاعتدال كما جاء في قوله تعالى (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً).

وجاء في قوله تعالى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ).

فضلاً عن تركيز الرسول الكريم (ص) على هذه الصفة في قوله: (كل مولود يولد على الفطرة، حتى يكون أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)، فأن معنى التسامح هو التساهل والمساهلة في كل جوانب الحياة.

فالقرآن يدعو إلى تجنب الاستهزاء بالآخرين والسخرية منهم وتتبع عيوبهم كما جاء في قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ).

وكان القرآن الكريم له نوعان من الخطاب، أحدهما عام والثاني خاص. فالعام دائماً ما يبدأ بقول: (أَيُّهَا النَّاسُ)، أما الخاص فيبدأ بقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا).

ومن آيات التسامح قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)، وكذلك قوله تعالى (..وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ..).

ومن هنا ندرك أنّ مناهج القرآن الكريم في أساليب التعليم تعدّ من أرقى المناهج وأعمقها وأكثرها تأثيراً من الناحية النفسية والتعليمة، حيث تمتاز بالقدرة على إيصال الإنسان بسرعة قياسية إلى الحقائق وبلوغ اليقين.

وقد استثمرها الرسول الأعظم (ص) وأهل بيته الأطهار (ع) في توصياتهم المنهجية في التعامل مع أفراد المجتمع ووضع الحلول المفيدة وزرع المحبة وعدم البغض وإظهار الجميل وسترَ القبيح من أجل حفظ كرامة الإنسان وحفظ شخصيته كما قال الله سبحانه وتعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً)، فكانت كلمات الرسول خير معين للأمة الإسلامية وتأكيداً على الاقتداء به وآله الأطهار لذلك جاء قول الرسول الأكرم (ص): (رحم الله إمرءاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى).

ثقافة العنف

في المجتمع والرؤية الإسلامية للأعنف

م. سندس محمد عباس/ جامعة القادسية/ كلية القانون

تقف الإنسانية اليوم على حافةّ تساؤل كبير تطرحه الأوضاع الإنسانية المتأزمة،لا سيما وأنّ"الأنا" الفردّية و"التجمعيَّة" المنفعلة و"المادة" قد أحكمت قبضتها على حاضر بني البشر، وقد أدَّى اختلال التوازن المتعاظم بين الروح بوصفها صبغة كونية "إلهية" والمادة بوصفها "مردوداً" إلى نشوء علاقات "مصلحية" آنّية قائمة على التعامل الآلي مع الإنسان المختزل بالواقع المادي المبني على المنفعة المباشرة، وربط قيمته بمردوده النفعي، الأمر الذي حوَّل عالمنا إلى "مملكة إرهاب" يتحكم فيها فعل المادة المنفعلة برغباتها.

مما أدى إلى أن انتشرت ظاهرة العنف بين المجتمعات الإنسانية عموماً بشكل موسع في الوقت الراهن بالرغم من التطور الحضاري. فقد رافق العنف البشرية منذ بداياتها الأولى، وصاحب المحتل فكان رفيق دربه.

إن مسالة تعريف العنف وطرح مقارباته مسألة مفتوحة، تختلف باختلاف الإرث الثقافي والاجتماعي واللغوي والانتربولوجي للشعوب.

فإذا ما القينا نظرة على تاريخ الشعوب نجد أن علماء، الانتربولوجيا أطلقوا مصطلحات يمكن أن نصفها بالعنصرية تجاه شعوب ما قبل الثورة الصناعية حيث سموها شعوبا "بدائية"، وهذا التصنيف يحمل في طياته عنفاً رمزياً مقنعاً. فلطالما الغزاة منحوا أنفسهم حق تصنيف الشعوب الأخرى، أي التي غزوها بما يخدم مصلحتهم ووفق منظومتهم الفكرية ورؤاهم الثقافية، أي عنف خطابي وفكري.

فوصفوا بعض من الممارسات الدينية بأنها عنيفة، كذلك بعض الطقوس والممارسات الثقافية التي تعتز بها تلك الشعوب وتعتبرها جزءاً من تراثها وثقافتها.

كما وصفت الشعوب المستعمرة محاولة ردود أفعالها في رفض الثقافة الوافدة إليها من المستعمر بأنها شعوب عنيفة، إذاً فالمسيطر العسكري يفرض عنف مزدوج؛ مباشر، وغير مباشر، فالمباشر عسكري، والصنف الأخر خطابيٌّ متمثل في التصنيفات وفرض خطابه.

إن هذا العنف يبلغ أقصى درجاته عندما لا يستطيع الإنسان الرد عليه، وربما يصل الأمر إلى أن يخسر حق الحياة في الرد عليه.

واللافت للنظر أنه في أكثر الأماكن في العالم حديثاً عن حقوق الإنسان والعدالة والمساواة أي في مجلس الأمم المتحدة، يرى المفكر جودت سعيد عند تطبيق "الفيتو" يكون الحكم عشائرياً إلا أن حق النقض الفيتو هو حق عشائري، لأنه حق القوي وليس حق العدل ولو كانت حقوق الإنسان مرجعاً لألغت حق النقض.

والحقيقة أننا عندما نمعن النظر وندقق في الأمر نجد أن الدين الإسلامي فقط هو من أعطى الإنسان حقه ونشر ثقافة الحرية والمساواة، وأحل بدل الظاهرة العشائرية الأخوة الإنسانية والسلام والتسامح..

فقد حرر الإنسان من الإكراه ومن وسائل الضغط والإجبار بحيث يكون مجاله هو الإقناع والتفاوض أو أي شيء من هذا القبيل، وهكذا عوض أن يتحدث الناس عن العنف،يتحدثون عن حالة سلم أو سكينة أو سلام.

فالإسلام دين يرفض العنف، ولا يقره، وينحو باللائمة على كل متعصب أو متطرف، كما أنه لا يرضى به، ويكرهه، وينهى عن الإرهاب، ولا يقره. والإسلام كدين سماوي يرفض الدكتاتورية أيضاً، ويقيم مكانها الشورى، وتبادل الرأي. إن الدين الإسلامي بنى دعوته على السلم والسلام؛ إذ قال الله سبحانه وتعالى: (ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً)؛ وعليه فإن التاريخ الإسلامي والتشريع والفقه الإسلامي يزخران بمواقف الرسول (ص) والأئمة من أهل بيته وخاصة الصديقة فاطمة الزهراء (ع). فقد وقفت بوجه الدكتاتورية الجديدة التي ظهرت في الدولة الفتية بعد وفاة رسول الله (ص). فهذه الكائنة النوارنية الزاهدة العابدة الصديقة الجليلة، صاحبة المقام العظيم عند الله تعالى ورسوله (ص)، لم تطالب بفدك لأنها ملك لها وقوت عيالها فقط ولا تغضب على من سلبها حقها لنفسها بل غضبت لله ولضياع حق من حقوق الله لتبين للناس بداية عهد انسلخت فيه القوى السلطوية عن تعاليم الإسلام، وأن الذين يمسكون دفة الحكم علمهم نزر يسير لا يستطيعون أن يفقهوا بتعاليم الإرث، وأنهم بذلك فتحوا باباً لوصول الأمويين إلى الحكم وتغيير شريعة رسول الله (ص). فإن هذه السيدة الجليلة استطاعت أن تقف بوجه الظلم لكن بأسلوب اللاعنف أسلوب العقل الواعي العالم المتفتح، ولم تتقاعس عن حقها، وبنفس الوقت أرسلت رسالة واضحة إلى محبيها بنبذ العنف، حتى وإن خسرنا ظاهراً لكن مكاسبنا أعمق وهي لإعلاء كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) عالية مجلجلة في الآفاق. فلنأخذ منها العبر بالوقوف بوجه كل سلطان جائر وكل ظالم وفاسق بأسلوب اللاعنف لكي تبقى كلمة الحق تعلوا على لسان المسلمين. وحقيقة إنني كلما أتذكر وصية الزهراء (ع) في دفنها سراً أرى أنها تريد أن تكمل عملها الجهادي المتواصل منذ بعثة الرسول (ص) بدين الحق إلى أن وافاها الأجل. وحتى بعد وفاتها فقد أرسلت لنا رسالة قائمة على مر العصور وهي أنها مظلومة، ورافضه للظلم ولم ترضَ عما فعله الشيخان (رضى الله لرضاها وغضبه لغضبها) لكنها أرادت أن تتصدى للعنف بالكلمة والموقف.

الغزو الفكري

للثقافة الإسلامية

قراءات تاريخية ـ تحليلية

الباحث وسام الحِجّاج

لغةً يُعرف الغزو بالقَصْد. وغَزَا الأَمرَ واغْتَزاه. كلاهما: قَصَدَه. وهو الطلب، ويقول العرب غزوي كذا، مقصدي.

وفي علم الاجتماع الحديث يعرف الغزو بأنه سيطرة فئة على فئة أو اجتياح دولة لأخرى. كما تستعمل كلمة (غزو) للمادي والفكري والمعنوي فيقال غزو اقتصادي، أو غزو ثقافي، أو غزو سياسي، وغيرها.

عرف تاريخ الأمم الغزو منذ أقدم الحضارات، فقد كانت غالبية الدول الكبرى والإمبراطوريات تعتمد في نظامها العسكري سياسة الغزو واجتياح البلدان والاستيلاء على الثروات والأرض والموارد المالية والصناعية والزراعية وغيرها.

وقد عرف سكان الجزيرة العربية الغزو ومارسوه، إلا أنه لا يعد ـ في عرفهم ـ حرباً بالمعنى الأوسع للحرب، لأن الغزوات كانت تحدث بين القبائل لتحصيل مغانمٍ تضمن لها البقاء والتنافس على الماء والكلأ. لكنها لم تعرف غزواً ثقافياً إلا في فترة متأخرة من تاريخ الخلافة الإسلامية فقد برز الغزو الفكري للثقافة الإسلامية بعد قيام الدولة الأموية عندما انفتحت الدولة على جارتها الإمبراطورية البيزنطية، وقد عاش هذا الغزو عصره الذهبي في عهد المنصور الدوانيقي والرشيد العباسيين ومن بعدهما، حيث شهدت الدولة الإسلامية مرحلة متطورة من الاجتياح الفكري للثقافة الإسلامية، وذلك عبر قنوات الترجمة والتعريب. هذا إذا اعتبرنا الترجمة نافذةً لتضليل فكر الأمة وحرفه عن منهجه الفكري الصحيح. وكذا دراسة فكر الأمم الأخرى والانفتاح على الثقافات غير الإسلامية، وخصوصاً المسيحية منها واليهودية.

وساعد في ذلك الدعم الذي قدمته الدولة عبر قنواتها المتمثلة ببناء دور

الكتابة والنسخ والترجمة وبناء المكتبات، وعبر الهبات التي كان يغدقها الخلفاء على بعض رواد العلم المتزلفين للسلطة.

وتعد هذه الحالة (ثقافية) لو أن الدولة في وقتها وضعت لها قيوداً وشروطاً، لكنها لم تقم بهذه الخطوة المهمة، فأثر هذا الانفتاح بشكل فاعل للحد الذي بدأ تأثيره يشكل خطراً يهدد الفكر الإسلامي لعامة طلاب العلم والثقافة آنذاك.. ولم تشهد الدولة الإسلامية في تلك الفترة أي نوع من التصدي للانحراف الفكري إلا عبر مؤسسة واحدة وهي مدرسة الإمام الصادق (ع) التي تخرج منها كبار علماء العلوم التجريبية والإنسانية من أمثال (جابر بن حيان.. والمفضل بن عمرو.. وأبو حنيفة.. وغيرهم)، وقد امتد تاريخ تلك المدرسة حتى آخر الخلفاء العباسيين عبر قيادة أبناء وتلاميذ الإمام أبي عبد الله الصادق (ع).

إن الغزو الثقافي الذي تعرضت له الدولة الإسلامية في تلك الفترة لم يكن ليؤثر كثيراً لو أنه بقي المنبع الرئيسي للانحراف عن الثقافة الإسلامية، لكن الظروف السياسية التي تعرضت لها الدولة أثرت وبشكل مباشر على مسيرة الثقافة الإسلامية، والاجتياح المغولي لم يترك لنا إلا القليل من مدونات تلك الحقب من مؤلفات العلماء والأدباء.

أعقب ذلك اجتياحات أخرى تعرضت لها الأقاليم الإسلامية، وتمثلت بسرقة التراث والآثار في الدويلات الإسلامية المتفككة في حقب لاحقة، حتى الدولة العثمانية وسقوطها ونفوذ المد الثقافي والفكري الأوربي المسيحي وتأثيره بشكل فاعل في الثقافة العامة لمجتمع الأقاليم الإسلامية المتفككة.

ويمكننا أن نصنف أبرز أنواع الغزو الثقافي والفكري الذي تعرض له المجتمع الإسلامي عبر تاريخه في النقاط الآتية:

١. الغزو الفكري الذي تعرض له المجتمع الإسلامي عبر قناة الفتوحات التي جرت في أراض مجاورة والتي كانت تدين بديانات أخرى، ولها ثقافات مختلفة، والتي أجبرت على الدخول في الإسلام عنوة بعد سقوط دولها وممالكها وانضمامها للدولة الإسلامية الكبرى، وأبرز هذه الدول (الساسانية، والهندية وغيرها).

٢. الغزو اليهودي الذي تمثل في تحريف الكثير من الأفكار والعقائد والدس في مفاهيم وتراث الفكر الإسلامي، وأبرز معالم ذلك الغزو هو المدسوسات الإسرائيلية التي لا زالت تعاني منها الثقافة الإسلامية والموسومة بـ(الإسرائيليات) وكانت بداياته عبر مدسوسات الدولة البيزنطية، ويرى بعض الباحثين أن بداية المدسوسات الإسرائيلية أبعد تاريخاً من تلك الحقبة.

٣. تأثير التراجم والمدونات الأوربية واليونانية على لغة وفكر المجتمع الإسلامي وما ترك من مخلفات على طلبة العلوم اللغوية والدينية وغيرها.

٤. الاجتياح المغولي الذي قضى على أكبر تركة ثقافية وفكرية للحضارة الإسلامية، والمتمثلة بالمكتبات الكبرى والصروح العلمية والمدارس الإسلامية مما أفقد الثقافة والفكر الإسلامي ركائزه الأصيلة.

٥. الحروب الصليبية وما جرت فيها من مذابح، والتي أثرت بشكل كبير في الثقافة الإسلامية وخاصة تقاليد الحرب.

٦. الاجتياحات والاحتلالات التي تعرضت لها الأقاليم الإسلامية من قبل الدول الأوربية الحديثة، والتي غيرت في ثقافتها وتراثها وبناها الفكرية والاجتماعية ومسختها لتحل محلها ثقافة وفكر المحتل.

٧. وآخر وأكبر هذه الأنواع هو (العولمة) التي اجتاحت مجتمعنا الإسلامي والذي يعيشها اليوم كواقع مفروض..

إنها ببساطة صيرورة الانفتاح على العالم أو سير العالم الإسلامي نحو الانضمام إلى الثقافة الأحادية التي اتجهت نحوها كل الشعوب الأخرى. إن التطور التكنولوجي والعلمي أمر لا يرفضه الإسلام، ولكن التغرب والانضواء تحت لواء الثقافة الغربية أمر مرفوض. إن العولمة أيديولوجية التجريد والإفراغ للثقافة والفكر الإبداعي لدى الشعوب، وآلية لقولبة الأمم في إطار أوحد، فهي طرح أريد منه إعادة السيطرة على العالم اقتصادياً وسياسياً وثقافياً وبالتالي الانقياد والانصياع إلى القائد الأوحد للعالم وهو الولايات المتحدة الأمريكية.

إن أي محاولة لمعالجة هذا التشظي والانقسام في المجتمعات الإسلامية وبالتالي في الثقافة الإسلامية لا بد له أن يبتنى على وفق منظومة فكرية تؤسس على ضوء المنهج الإسلامي الصحيح الذي يدعو إلى الوحدة ونبذ الخلافات والقضاء على كل آفات التفكك الاجتماعي والانحراف الفكري والأخلاقي والسلوكي، وإن أي جهة أو مؤسسة تحاول رسم منهج جديد وحديث لمعالجة الأزمات والمشكلات الثقافية في المجتمعات الإسلامية عليها أن تسير في ضوء النقاط الآتية:

١. العودة إلى المنهج الإسلامي الحقيقي المنضوي تحت مصادره الأصيلة النقية المتمثلة بالقرآن والسنة النبوية وتراث أهل البيت (ع) كدستور إسلامي أوحد.

٢. إقامة مؤسسات ثقافية دينية تعمل على تشذيب النصوص الشريفة من أحاديث وروايات مدسوسة وملفقة وغير صحيحة، وتعمل على إعادة صياغة التاريخ من جديد للقضاء على كل تزييف وتحريف أدرج في النصوص التاريخية والدينية.

٣. إعادة بناء هوية الإنسان المسلم والعمل على استيعاب الشباب الإسلامي وتأسيس المراكز الثقافية التوعوية التي تساعدهم للقضاء على مشاكلهم الاقتصادية والاجتماعية والفكرية؛ وبالتالي العودة إلى السمت الصحيح المتمثل بالخط الإسلامي، وإعادة بناء الجيل الجديد على وفق المنهج القرآني الصحيح.

٤. العمل على استيعاب الثقافات الأخرى وتحصين الشباب المسلم وتدريبه على قبول الآخر دون التأثر به، بل والتأثير عليه. إن العولمة ليست شراً مطلقاً ولا هي خيراً مطلقاً.. ويمكننا الاستفادة منها في حال تعاملنا على وفق قوانينها بحذر شديد، إذ يمكننا الحصول على فوائد جمة دون الوقوع في الأخطاء إن حاولنا التعامل معها بحذر.

٥. طرح رؤية جديدة لبناء منهجيات تربوية للتفكير والتحليل والتفاعل مع العوالم الرمزية التي تشكل وجودنا الإنساني في عصر العولمة، وإخضاع النظام التربوي لدراسات نقدية تفكيكية تبحث في بنيته وآلياته واشتغاله ووظائفه ثم العمل على إعادة صياغة غاياته وأهدافه، ومحاولة تعديل وصياغة منهج تربوي جديد يتماشى مع التطور الفكري الناتج عن العولمة والتطور التكنولوجي.

٦. العمل من أجل طرح الرؤية الإسلامية الحقيقية المبنية على أساس احترام الإنسان وحقوقه ومكانته التي فرضها الله تعالى له، وتحسيس الأجيال بها وتأصيلها. وإشاعة روح الحوار والنقاش البناء المثمر، والابتعاد عن التطرف والانزواء، وبناء الروح الحرة النقدية الملهمة في نفوس الأجيال وتربية النشيء الجديد على كل القيم الجميلة والنبيلة التي تمتلك القدرة على الإبداع والتطوير.

٧. تمكين الإنسان من تقبل التغيير الناتج عن التطور العلمي والفكري والمعرفي. وتدريب الأجيال على الليونة والشفافية، وعدم التحجر والانغلاق، واستحداث الأساليب الجديدة للتعايش مع الجديد، والابتكار والإبداع.

٨. أما في حالة عدم إتباع هذا المنهج وما يماشيه ويماثله من الطرح العلمي النقدي البناء، فإننا مهما عملنا لا نستطيع الوقوف والصمود في وجه تيار الاجتياح الفكري والثقافي الذي نواجهه.

إننا ـ بصفتنا النخبوية في هذا المجتمع الإسلامي ـ مطالبون بتوجيه كل ما نمتلك من طاقات فكرية وعلمية وآليات تربوية إسلامية لاستحداث طاقة إحيائية تنويرية في المجتمع تسعى إلى حماية أجيالنا من كل أشكال الاغتراب والاستلاب وإلى تحصينهم ضد مختلف أشكال التحديات الفكرية التي تداهمهم دون رحمة في زمن التحديات.

الزوجة المثالية في عيون الإعلاميين

استطلاع: مصطفى رزاق

الزواج هو المشروع الذي ينتظره كل شاب لبناء أسرة وإنشاء كيان وتحقيق مرحلة الاستقرار.. ولكن ما هي مواصفات شريكة الحياة التي يبحث عنها هذا الشاب والتي سيؤمن معها حياة مطمئنة تنتج أجيالاً تتمتع بالاستقرار النفسي، والالتزام الديني والثقافة والشهادة العلمية والجمال. محاور يبحث عنها الشاب في شريكة حياته ولكن أي هذه المحاور تتفوق على الأخرى هذا ما ناقشته مجلة نقطة مع مجموعة من الإعلاميين؛ أهم الشرائح المثقفة والقريبة من الوسط الجماهيري.

فلاح عبد الحسين عيدان الفضلي (٤٢) عاماً ماجستير لغة عربية يعمل إعلامياً: مواصفات الزوجة المثالية هي على الترتيب وفقا للأهمية (الدين، الأخلاق، العفة، الجمال، احترام الحياة الزوجية والتفاعل معها). وعن ترجيحه في مواصفات شريكة الحياة أن تكون مثقفة أو جميلة فبين أن كليهما مهمان، لأن الجمال بلا ثقافة لا يمكن أن يؤسس لحياة ناجحة والثقافة بلا جمال لا يمكن أن تعمل على إشباع رغبات الرجل بالصورة التي تحصنه عن المغريات الخارجية.

المرأة التي أختارها أو التي يجب أن يختارها الشاب لابد أن تكون متحضرة دينياً، لأن التشدد الديني من شأنه أن يفرز فهماً خاطئاً للدين وربما يشكل انعكاساً سلبياً لصورة الدين من خلال العقد النفسية والمجتمعية.

وفي سؤالنا هل تعتقد أن ضوابط الحياة الزوجية التي وضعها الإسلام، قد تؤدي إلى تحديد حريتها، أم أن فيها صلاح لها؟ قال الأستاذ الفضلي: من المؤكد أن فيها الصلاح، ولكن بشرطها وشروطها بعيداً عن الاجتهادات الشخصية والتسقيطات الخاصة على تعاليم الدين فالغرب في الكثير من تعاملاته يكون إسلامياً ولكنه ليس المقياس، وبالتالي تبقى الضوابط الإسلامية لبناء الأسرة هي الأفضل لأنها تحفظ للمجتمع احترامه لأفراده رجالاً ونساءً وأبناءً وهذا هو الهدف الأسمى.

حسين مسلم قنبر القابجي (٢٤) عاماً بكالوريوس علوم إسلامية، إعلامي وكاتب، يقول: مواصفات الزوجة المثالية اختصرها كما وردت في الرواية (أطولهن إذا قامت وأنظمهن إذا قصدت وأصدقهن إذا قالت، التي إذا غضبت حلمت، وإذا ضحكت تبسمت وإذا صنعت شيئاً جودته، التي تلتزم بيتها، ولا تعصي زوجها، العزيزة في قومها، الذليلة في نفسها، الودود الولود، وكل أمرها محمود). وأضاف القابجي انه يرجح المرأة المثقفة على المرأة الجميلة باعتبار أن الثقافة أمر ضروري في الحياة الاجتماعية وبالثقافة تحسن الأخلاق ولا تعايش مع الجميل بلا أخلاق.

هل تعتقد أن ضوابط الحياة الزوجية التي وضعها الإسلام، قد تؤدي إلى تحديد حريتها، أم أن فيها صلاح لها؟

إن الضوابط والتعاليم التي وضعها الإسلام جميعها وضعت حفاظاً على مكانة المرأة وكيانها وليست تقييداً لحريتها وهي الطريق الصحيح لنجاحها ونجاح أسرتها، فالأسرة الإسلامية بالتأكيد هي الأرجح في الاستقرار لكون الإسلام هو الدين الذي وضع القوانين والتعاليم الأسرية السليمة وتلك القوانين التي توافق العقل السليم.

الاسم: حمودي العيساوي (٣٥) عاماً دبلوم يعمل في مجال الصحافة يرى في مواصفات الزوجة المثالية أن تكون متدينة من الدرجة الأولى ومن أصول عائلية معروفة وأن تكون ذات تحصيل دراسي جيد والمهم أن تكون من الموالين لآل بيت النبي (ع).

ويرى العيساوي أن ثقافة المرأة ترجح عند الاستفسار عن مواصفاتها لتكون شريكة الحياة ذلك لكون الجمال زائل وان هذه الثقافة التي يجب أن تحملها هي الثقافة الإسلامية لتمتلك ضوابط الحياة الزوجية التي وضعها الإسلام، لأن فيها صلاحنا جميعاً وذلك لكونها من تعليمات الدين الحنيف ووصايا نبي الأمة محمد (ص).

يجب على الشاب أن يختار الزوجة المتحضرة دينياً

مواصفات الزوجة المثالية أن تكون متدينة من الدرجة الأولى

مع الثقافة لابد من أن يكون هناك التزام دينيّ لحياة سعيدة

حيدر كاظم حسن (٣٩) عاما حاصل على شهادة الماجستير ويعمل محررا إخباريا قال: الثقافة هي في المقام الأول، ومن خلالها تستطيع أن تكون أجمل النساء، فلا جمال بلا ثقافة فالزواج هو تعامل يومي لا يكفي أن أتعامل مع لوحة جميلة، لا يجب أن أتعامل مع إيحاءات فنية للمرأة ومع الثقافة لابد من أن يكون هناك التزاما دينيا لتكون هناك فرصة لتكون حياة سعيدة تعيش تحت خيمة الإسلام.

فراس قيس الإبراهيمي (٣٤) سنة خريج إعدادية مذيع في قناة النجف الأشرف الفضائية، فقد عبر عن مواصفات شريكة الحياة برأيه لتكوين أسرة ناجحة فبدأ بالدين والالتزام به في تصرفاتها وتعاملاتها ثم الثقافة وبعدها الصبر في الشدة ويرى فراس أن التوافق الروحي يجب أن يرافق التوافق الديني والثقافي لبناء أسرة قوية يمكن أن تواجه صراعات الحياة، وعما يميز المرأة في نظره جمالها أم ثقافتها ذلك أن المرأة هي الكلمة الصادقة والموقف المشرف والأم المثالية، فامتزاج الجمال مع الثقافة سيكون رائعاً وبالطبع سينعم الزوج بحياة مليئة بالحب والحنان ويُمتّع نظره بامرأة ذات جمال حسبما أمره الشارع المقدس.

والتمتع بالضوابط الدينية من شأنه خلق جيل من النساء اللائي يكنّ الساعد الأيمن للزوج وكذلك الالتزام بالدين سيصون المرأة من تلذذ الغير بجمال المرأة المتحررة التي لا تعدو أن تكون سلعة رخيصة يتناولها الجميع.

ويقول الإبراهيمي: إن الإسلام كفل للمرأة حريتها وحقوقها في ظله وأبسط دليل على ذلك هو تبوء المرأة للمناصب السيادية وهي بكامل حجابها وعفتها، أنا لا أتفق أن المرأة محددة الحرية في ظل الإسلام.

وعما إذا كانت الأسرة الغربية انجح من الأسرة المسلمة أو بالعكس قال: لا مقارنة مع الأسرة الغربية بما تحمله من أفكار، فتقوية روابط الأسرة بالتكاتف ما بين أفراد الأسرة موجود لدى الأسرة الإسلامية، وهذا بحد ذاته نجاح لفكرة الإسلام في بناء الأسرة الواحدة.

الجراح الدكتور كاظم جواد شبع يتحدث عن رحلته في اكتشاف علاجه الجديد

حوار: مهدي الفحام

- **العمل هو الأول من نوعه على مستوى العالم..**
- **عدم احتضان المخترعين من قبل المؤسسات الحكومية وعدم توفير الخدمات دعانا للجوء إلى الشركات الغربية..**
- **نسبة النجاح للعلاج الجديد بلغت الـ٧٣٪.**

يعد اكتشاف العلاج (الهايدروكولويد) من الاكتشافات الجديدة على صعيد العالم في علاج الجروح المزمنة والأمراض المتعددة، وما نجاحه على عينات في العراق إلّا مؤشر جديد على إمكانية توسعته في المستقبل.

العلاج أعاد البسمة إلى الكثير من الوجوه العراقية على الرغم من أنه كان تحت التجربة.

فكرة العلاج ورحلة تطويره ولماذا رعته ودعمته شركة (DMG) الايرلندية وسط غياب المؤسسات الحكومية عن العقلية العراقية في وطنها؟! هذه كانت بعض المحاور التي تناولتها المجلة في حوارها مع الجراح أ.د كاظم جواد شبع.

بداية ما هي فكرة هذا العلاج وتطوره؟

يعد الاستعمال الجديد لمواد الهايدروكولويد (Hydrocolloid) من المواضيع المهمة التي أخذت تجذب الباحثين في مجال معالجة الجروح حيث أن الأفكار القديمة تكمن في توفير البيئة الجافة للجروح اعتماداً على مبدأ التقليل من نمو البكتريا، إلا أنه وفي الآونة الأخيرة تم إجراء البحوث على توفير البيئة الرطبة للجروح وذلك لزيادة معدل الالتئام ونمو الخلايا السريع على جوانب الجروح.

لقد ظهرت هذه الأفكار أواخر القرن الماضي من خلال استعمال مواد تحتوي على سلسلة (امينوأسد) تغلف بشبكة نايلونية، وبداية استعملت للندب المتخثرة ((Hypertrophic Scars والجدري (keloids) على شكل سليكون جل (sheats Silicone gel).

وأظهرت النتائج سرعة في اندمال ندب الجروح وكانت من خلال التقليل من التبخر المائي والمحافظة على محيط رطب متوازن أي يسمح أيضاً بتسريب الماء الزائد.

ثم توسعت الأفكار لتشمل جروح قرح الفراش من خلال مواد مثل (Comfeel) التي استعملت على نطاق واسع وحققت نتائج مهمة في العلاج وانفتح أفق جديد وهو (Moist Wound Management).

ويمتلك الدواء الجديد مواصفات متميزة في سرعة التئام الجروح بتحفيز الخلايا على النمو وذلك بتوفير محيط رطب يساعد على هذا النمو وفي نفس الوقت يسيطر على الالتهاب في المنطقة وهذه المادة لها غلاف ذكي يسرب الرطوبة الزائدة إلى الخارج ويحافظ بذلك على الرطوبة المطلوبة بالجرح.

طبق العلاج الجديد على امرأة عراقية تعرضت لحادث سيارة تسبب بفقدانها قطعة نسيجية وجلدية لأجزاء كبيرة من القدم وتطلب علاجها إجراء عملية ترقيع جلدي في عام (٢٠٠٦) والحالة انتهت بجروح مزمنة والآم وعدم القدرة على المشي فكان هناك تواصل معها كل أسبوعين وبحدود شهر ونصف التأمت تلك الجروح

واستطاعت أن تعاود السير على قدميها.

ما هي خلاصة تجربة هذا العلاج الجديد في المستشفيات العراقية؟

تمت دراسة تأثير مادة السوبرا جل على جروح متعددة (١٨) توزعت على النحو التالي:

حروق من الدرجة الثانية (٩) حوادث (٤) جروح سكري (٢) قروح فراش (٢) التهاب الأوعية (١). تم استعمال ضمادة (TMSupraCel) على أربعة مرضى وكانت جروحهم في الأطراف، أيضاً كانت هذه الجروح مزمنة (أكثر من شهرين) (١٢) وحديثة (٦) وتبين أن نسبة نجاح العلاج كانت ٧٢,٢٪ بينما لم نلاحظ أي تغيير في ٢٧,٨٪ من هذه الجروح.

هؤلاء المرضى الذين لم يستجيبوا لأي علاجات سابقة طرحنا عليهم الفكرة وهم كانوا مخيرين بين استعمال العلاجات المتوفرة أو استعمال هذا العلاج فكانوا متحمسين للفكرة.

لم يحصل تغيير في (٥) جروح من جميعها التي كانت مزمنة (١٠٠٪).

وظهر تأثير هذا العلاج على شكل زيادة في معدل الالتئام (Epithelialisation) من خلال عملية تكوين الخلايا في محيط الجروح، وتسبب العلاج أيضاً في السيطرة على النضوح واختفاء علامات الالتهاب وكذلك التقليل وبعض الأحيان زوال الأعراض المصاحبة للجروح مثل الألم والحكة.

هل هو نتاج سلسلة بحوث أم أنه البداية لسلسة بحوث؟

هذا العمل هو الأول من نوعه على مستوى العالم، وهناك أولويات لهذا الموضوع وبحوث عدة من خلال استخدام مواد مشابهة لمعالجة الندب وكان ذلك عام (١٩٩٧) إذ كانت دراسة مقدمة من قبلي للهيئة العراقية للاختصاصات الطبية تحمل اسم (استعمال مادة السيلكون في معالجة الندب المتخنة والجدري). بعدها ظهرت أنواع من الضمادات أثبتت فعاليتها في سرعة التئام أنواع عديدة من الجروح وهذا يعتبر سلسلة لبناء قاعدة أولها البحث في عام (١٩٩٧) واليوم أثمر عن استعمال هذا الدواء (tm SUPRAGEL) سوبرا جل، ثم تطور هذا الدواء إلى جيل ثاني سمي بـ(tm SUPRACEL) حيث أضيفت له طبقة ضماد متطورة ثم ظهرت مادة (AMORPHOUSWOUND CARE HYDOGEL) حيث استعملت لمعالجة الجروح العميقة والمتشعبة، والاستعمال كان على خطين حيث كانت الأفكار عراقية والعمل المختبري في ايرلندا بمساعدة الدكتور كاظم اللامي.

الشركة التي ساهمت في تصنيع هذه المادة تقوم حالياً بتطويرها ليصبح متداولاً بعد أن اثبت فعاليته، وبذلك يكون بمتناول المرضى بمختلف أنحاء العالم بفترة زمنية لا تتجاوز السنة.

لأي الحالات المرضية يوصف هذا العلاج الجديد؟

تأتي أهمية هذه المادة من خلال استعمالها للجروح المستعصية على العلاج الاعتيادي مثل قروح الفراش (العقر الانضغاطي) وقروح (الداء السكري) والقروح المزمنة ما بعد الحروق وقروح (دوالي الساقين)، والقروح الحديثة للحروق من الدرجة الثانية.

لماذا تبنت العلاج شركة غير عراقية وقامت بدعمه وتطويره ودراسة نشره في العالم؟

وسط عزوف لشركات عراقية قد تكون عملاقة ولها باع كبير في هذا المضمار.

اكتشاف علاج جديد يتطلب وجود مختبرات وتوفير مواد أولية والصناعة الدوائية تحتاج الدعم اللازم لهكذا بحوث، إضافة إلى وجود فرق بحثية كاملة تأخذ على عاتقها دراسة التراكيب وصناعتها ومزجها ثم تحضيرها مختبرياً والآن عالمياً هذه الأدوية لا يمكن طرحا في الأسواق إلى أن تأخذ مراحل من التجارب على الحيوانات ثم بعد ذلك على ناس متطوعين ثم بعد ذلك إذا أثبتت نجاحها تطرح في الأسواق.

العلاج (Hydrocolloid) لشركة (DMG) وهي الشركة ايرلندية التي أرسلت هذه العينات كبداية لمشروع أكبر وهو توسيع استعمال هذه المادة بعد أجراء تحسينات عليها ليمكن استعمالها في مجالات أخرى ومن هذه الاستعمالات الحروق الآنية والجروح الملتهبة.

هذا الاستعمال في الخارج حق من حقوق المبتكرين ويشترى بمبالغ باهظة جداً.

واليوم يطرح من خلال خبراء عراقيين بجامعة الكوفة في هذا الظرف الصعب يعتبر بحد ذاته انجازا صعبا.

السبب الآخر في التعامل مع الشركات غير العراقية بالإضافة إلى عدم وجود المختبرات والدعم هو الخمول الحاصل في الوزارات المعنية في احتضان المخترعين العراقيين سواء كان في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي أو الصحة، فسابقاً كانت بيد جهاز التقييس والسيطرة النوعية وكانت هناك براءات الاختراع وتوفر كل الأجواء المناسبة لها وتدعمها بينما الآن نجد خمول في هذا الدور وهو بحاجة إلى تفعيل.

العراق يحتوي على عقول كبيرة، وهذه العقول إذا ما توفرت لها بيئة مناسبة تنتج أمورا كبيرة ومثال ذلك ما نلمسه من الأطباء والمهندسين العراقيين الذين تبوؤا مراكزاً متقدمة في الخارج حتى نحن على مستوى الطب نعتبر الكليات الطبية في العراق من الكليات الرصينة عالمياً.

إلى ماذا يحتاج العراق للنهوض بواقعه العلمي ويحتضن كوادره وعقوله المبدعة التي هي مشواره الحقيقي في مواكبة التطور في العالم؟

ما يحتاجه البلد هو الشيء الكثير ففقدان التواصل إلى فترات طويلة منذ الثمانينات مع العالم ـ في هذا المجال ولحد الآن تقريباً ـ الذي يشهد تصاعد في مستواه يتطلب منا ضعف الجهد لمواكبة هذا التطور، وبحاجة إلى التخطيط الذي يعد عاملا مهما في رفع مستوى العناية الطبية وتحسين مستوى العلاجات وعناية المسؤولين عن رعاية العقول العراقية والمحافظة عليها من السفر إلى الخارج واستقطاب من سافر منهم.

نحتاج إلى توفير المستلزمات البسيطة في العراق. فبعد استتباب الوضع الأمني يمكن أن نقدم شيئاً لهذه (الكفاءات) بتوفير حياة بسيطة لها مثل بيت وسيارة ورواتب جيدة والحفاظ على كيانهم وإبرازهم بعد هذه الفترة بما يتناسب والجهود التي بذلتها في وصولها لهذه المرحلة المتقدمة من العلم ليس كما حصل مع أحد الشخصيات الطبية المرموقة الذي أعيّد كمدرس وهو في الأصل حاصل على شهادة الأستاذية في مجال الطب بكندا.

الليمون الحامض..... صديق الإنسان

أستاذ علوم الأغذية المساعد الدكتور عدنان المظفر
كلية الزراعة / جامعة الكوفة / قسم علوم الأغذية

يعتقد الكثير من الناس أن الليمون الحامض مضعف للقلب والجهاز الهضمي، وهذا غير صحيح، فالليمون الحامض غذاء ومقوي ومن أصدقاء الإنسان وبواسطته تم شفاء الملايين من البشر ومعالجتهم بهذه الفاكهة التي أنعم الله بها علينا وما أكثر نعم الله علينا. فالحمد لله على نعمائه.

اكتشف الأساتذة والأطباء الأمريكان مكونات الليمون من فيتامينات وحوامض عضوية وعناصر معدنية ومكونات أخرى لها الأثر الفعال في تقوية الأعصاب والغدد ونمو الجسم ويمنع الإصابة بشلل الأطفال، والليمون الحامض له تأثير كبير في علاج ذات الرئة والسرطان ويزيد من الإدرار، لذلك فهو علاج فعال لأمراض الكلية والمثانة ومهدئ للأعصاب ولمعالجة تصلب الشرايين وارتفاع ضغط الدم، ويستعمل لأمراض الجذام والأكزما. كما ذكر الدكتور Mellon في أحدى المؤتمرات الطبية لأطباء الأسنان في الولايات المتحدة أن شراب الليمون الحامض هو دواء فعال وجيد لمعالجة الأسنان وتقويتها ومنع تساقطها ويمنع تسوسها، كما يستعمل عصير الليمون لتهدئة المزاج العصبي، ويعد من أفضل وأنفع المشروبات الطبيعية في العالم، ويستعمل صيفاً وشتاءاً بينما أجمع العلماء أن استعمال المشروبات الغازية والصناعية لها أضرار على صحة الإنسان، وكذلك شراب الليمون هو أفضل علاج لمكافحة أكثر أنواع الآلام كألم العمود الفقري والمفاصل وعرق النسا والصداع والدوار والتقيؤ.

ذكر كثير من الأطباء وعلماء التغذية أن عصير الليمون يعالج النزلات الصدرية ويقوي المناعة ضد أمراض الزكام وينفع لتقوية الأغشية المخاطية ونافع لرفع ضيق التنفس ويساعد على عملية التنفس ويجعلها طبيعية، لأن وجود الأكسجين في ماء الليمون الحامض وعند إستعماله ودخوله إلى خلايا أجسامنا يزيد من عملية التنفس الطبيعي ويعالج حالات الربو وضيق التنفس، وأيضاً مفيد لأنواع الحمى الفايروسية ومكافحة اليرقان وأمراض الكبد، لأنه يزيد من أملاح الصفراء.

يعد الليمون الحامض فاتحاً للشهية، ويزيد من إفراز الغدد اللعابية في الفم وبالتالي يزيد من عملية الهضم الكيميائي وخاصة لكبار السن كما يعتبر كمطهر ومعقم للفم من الأحياء الدقيقة نتيجة لانخفاض الرقم الهيدروجيني، ويعتبر عامل مهم لتقوية جدار المعدة والأمعاء كما يزيل الإسهال ويعالج الإسهال الدموي، وهو مفيد جدا لطرد السموم من الدم والتخلص من نسبة كبيرة من الكلسترول عن طريق إذابته البروتينات الدهنية قليلة الكثافة (LDL)، ويقضي على ترسبات الكلية لأنه يزيد من الإدرار كما يستعمل مع اللحوم لتقليل تأثير الأخير على الجسم للذين يعانون من داء النقرس.

ننصح الذين يعانون من أمراض القلب وتصلب الشرايين وروماتيزم القلب باستعمال الليمون الحامض يومياً، لأنه ينشط القلب ويقوي جداره، كما يستعمل الليمون الحامض لمنع بعض الأمراض التناسلية لدى الرجال والنساء، ويساعد على تقوية الحويمنات المنوية(النطفة) لدى الرجال، ويزيد من إدرار الحليب وكثافته عند النساء المرضعات، كما يمنع الشيخوخة المبكرة وعلاجا لقلة النوم.

ويفضل تناول عصير الليمون مع العسل كشراب أو استعماله مع مختلف أنواع السلاطات بدلاً من الخل أو تبرش الليمونة كاملة مع اللب والقشرة وتخلط مع سلاطة الخضروات أي يفضل الاستعمال الطازج لليمون الحامض.

أما الذين يطلبون الجمال باستعمال المواد الطبيعية فننصحهم باستعمال الليمون الحامض كمساج على الجسد ليكسب الجلد النضارة وجمال اللون وإزالة البثور والبقع الحمراء من على البشرة وجعلها صافية، كما يعيد الحياة لمسامات الجسم لتعمل بانتظام وتؤدي إلى طرد كثير من السموم، كما يعد علاجاً للذين يعانون من عدم التعرق فضلاً عن استعماله كمقوي للشعر ويمنع تساقطه ويزيل البثور من فروة الرأس ويستعمل لإضفاء البريق للعينين.

استوديو نور النجف يعلن عن توفر

SNG

خدمة النقل المباشر...
كادر فني متميز...
تقنيات سيطرة وإخراج حديثة ...

للحجز:

07601500510
07706850243
07812326977
studio@anwar-n.com

خبير المواقع الالكترونية المبرمج مصطفى القيسي:

لا ننصح باستعمال (المواقع) الجاهزة لما لها من تبعات أمنية

- مراكز البيانات نادرة في الوطن العربي وكثيرة في أمريكا، وألمانيا، وبريطانيا
- نوع البيانات المراد نشرها على الموقع هي التي تحدد الوقت اللازم لبناء الموقع
- هناك حسابات وأسرار في البرمجة لا تظهر إلا بالممارسة المهنية

لقاء: عباس شربة

تعتبر شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) من تقنيات الاتصال الحديثة الداخلة للعراق. ورغم أن الجامعات العراقية لم تدرس أساسيات هذه المعرفة أو التقنية إلا بعد عام ٢٠٠٣ إلا أن الخوض في تطبيقاتها والتعرف على إسرارها من خلال التجارب والمواقع العلمية العالمية أتاحَ الفرصة أمام المتخصصين لاحتراف صناعة (المواقع الإلكترونية) والذي يعد مصطلحاً جديداً يدخل في قاموس الصناعات العراقية.

مجلة نقطة التقت بالشاب مصطفى القيسي المتخصص في علم البرمجة وصناعة المواقع الالكترونية ليتحدث عن هذه الصناعة الجديدة.

كيف نشأت فكرة شبكة المعلومات الإلكترونية؟

تعتبر أنظمة الشبكات من أبرز علوم التكنولوجيا التي قادت الإنسان إلى تشارك المعرفة والتي أصبحت اليوم من أهم الوسائل في تحصيل المعلومة.

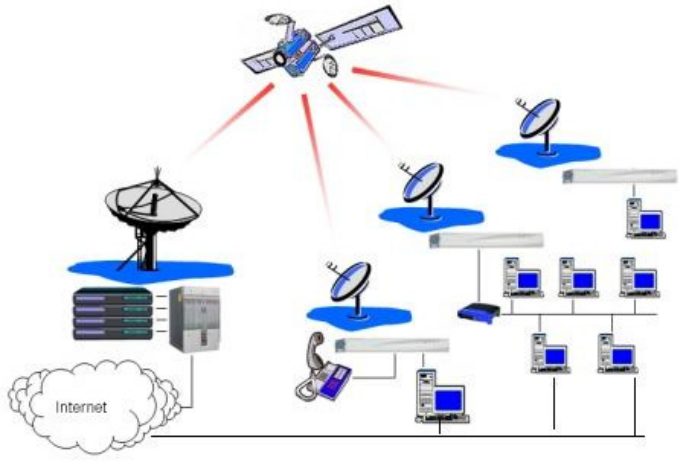

والشبكة بصورة مبسطة هي ربط جهازي حاسوب أو أكثر لتبادل المعلومات فيما بينها. بدأت هذه الفكرة في وزارة الدفاع الأميركية سنة ١٩٦٩م، وكان الهدف منها لأغراض عسكرية لأجل ربط الإدارة مع متعهدي القوات المسلحة وعدد من الجامعات التي تعمل على بحوث ممولة من قبل وزارة الدفاع. ثم توسعت هذه الفكرة شيئاً فشيئاً لتشمل العالم أجمع مكونة ما يعرف بالشبكة العنكبوتية أو شبكة الإنترنت.

يتم تجهيز الحاسبات والتي تسمى الخوادم (Servers) المكونة للشبكة العنكبوتية بمراكز ضخمة للحاسبات تسمى مركز البيانات(Data Center) حيث أن مركز البيانات مكون من العديد من الخوادم الضخمة وهو موصل بالإنترنت بسرعات عالية جداً وهو أيضاً غالباً ما يكون في مبنى خاص مجهز بالتجهيزات الخاصة به من تحديد لدرجة الحرارة وتنظيم للكهرباء ومواصفات أمنية عالية أيضاً فهو ليس بالشيء السهل أو البسيط. وللعلم فكل المواقع الموجودة في الانترنت يجب أن تكون على خادم موصول بشبكة الإنترنت على مدى الأربع والعشرين ساعة.

فمن هذا يتبين أن الإنترنت هو عبارة عن شبكة من الخوادم المجتمعة أو بعبارة أعم مجموعة من مراكز البيانات الضخمة المرتبطة عالميا فيما بينها، وتحدد طريقة الاتصال حسب المكان الموجود فيه مركز البيانات حيث تكون موصولة إما عن طريق الكيبلات الضوئية أو عن طريق الأقمار الصناعية ومراكز البيانات(Data center) قليلة بل نادرة في الوطن العربي، وهي كثيرة في الدول الأخرى مثل أمريكا، ألمانية، بريطانيا.. وغيرها ومن هذه الشركات شركة (Hostway) وشركة (Globat) والعديد من الشركات الأخرى.

كيف تعمل هذه الحواسيب (الخوادم) (Servers)؟

لأجل تهيئة هذه الخوادم للعمل يجب تركيب نظام تشغيل عليها، ويكون إمّا نظام التشغيل ويندوز سيرفر (Windows server) أو نظام التشغيل لينوكس (Linux) ويعتبر نظام التشغيل لينوكس (Linux) هو الأكثر شهرة عن منافسه ويندوز سيرفر (Windows server) كونه أكثر مرونة وأماناً مما جعله الأكثر تداولا للعمل على الخوادم لذلك وبسبب شهرته بدأت الشركات المتخصصة بتطوير هذا النظام مما نتج عنه إصدار الكثير من النسخ مثل (Linux Redhat) و(Linux Centos) و(Linux Suse) والكثير من النسخ الأخرى، الشيء الآخر المطلوب لعمل الخادم هو عنوان ذلك الخادم وهو ما يسمى (IP address) (Internet Protocol) وهو رقم يعطى للخادم المراد الاتصال به وهو يشابه تماما في عمله عمل الهواتف ويكون رقم الآيبي كمثال على الشكل التالي ١٠٣,٦٦,١٩٤,١٧٣ حيث عندما تطلب اسم موقع معين يكون طلبك بالحقيقة هو رقم هذا الموقع لكن ولصعوبة حفظ الأرقام في الذاكرة لذلك تم إنشاء تقنية أسماء النطاقات Domain Name Server (DNS) وأسماء النطاقات هي أسماء قد تتكون من حروف لغوية أو أرقام عددية أو كلاهما معاً وترمز تلك الأسماء إلى مواقع معينة على شبكة الإنترنت مثل google.com، yahoo.com، alnajafy.com ...إلى غير ذلك.

عند طلبك اسم موقع معين مثل google.com يقوم الحاسب بنقل طلبك إلى خوادم عالمية متخصصة بتحليل أسماء النطاقات حيث يقوم بتحليل اسم

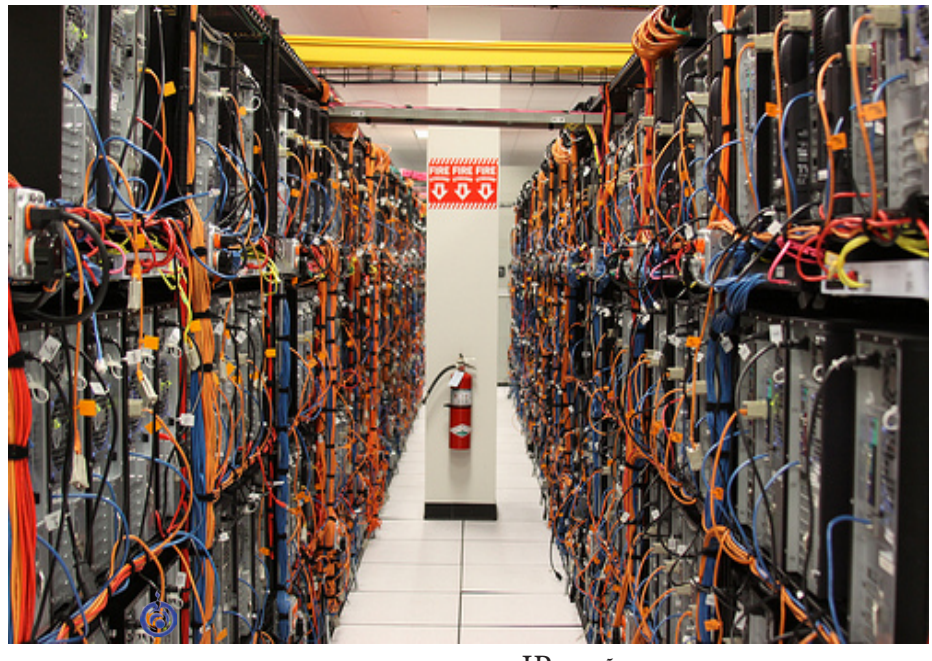

النطاق الذي طلبته وتحويله إلى رقم الآيبي (IP) الخاص بذلك الموقع ومن ثم يتم تحويلك إلى الخادم (الموقع) الذي طلبته ولتقريب الصورة أكثر، فجهاز الموبايل الخاص بك نفترض أنه يحتوي على ١٠٠ اسم فمن المستحيل أن تقوم بحفظ أو تعيين كل رقم لديك أنه يعود إلى شخص ما لذلك تم بناء الموبايل على تحديد الاسم المراد الاتصال به لتسهيل عملية الوصول إلى الرقم المعين الخاص به، واكتفي بهاتين النقطتين المهمتين لعمل الخوادم.. وهناك أمور تفصيلية كثيرة لا يسعنا ذكرها هنا.

ما هي المواد الضرورية لعمل الموقع؟

في الحقيقة نحتاج إلى قضيتين أساسيتين لعمل ونشر الموقع على شبكة الانترنت. الأولى احتياجات بناء الموقع:

تصميم الشكل الأساسي للموقع، ويقوم بهذه العملية المصممون الذي يعملون على نظام الفوتوشوب حيث يقوم المصممون برسم خارطة الموقع أو الشكل الخارجي الذي سوف يظهر للمتصفح ويتفاعل معه بناءا على المعطيات التي يطلبها صاحب الموقع وطبيعة المعلومات المراد نشرها.

لغة برمجة وتعرف لغة البرمجة بأنها عملية كتابة تعليمات وأوامر لجهاز الحاسوب لتوجيهه وإعلامه بكيفية التعامل مع البيانات أو كيفية تنفيذ سلسلة من الأعمال المطلوبة.وهناك الكثير من لغات البرمجة المتخصصة ببناء المواقع على شبكة الانترنت مثل، HTML PHP، ASP، JavaScript... وغيرها وهي كثيرة.

حيث يقوم المبرمج ببناء البرامج الضرورية لتشغيل صفحات الموقع وآلية سيل البيانات المطلوبة، وتتكون عملية برمجة الموقع من برمجة جزئين أساسيين:

أولهما برمجة لوحة تحكم الموقع والتي يتم من خلالها تغذية الموقع بالمواد المراد نشرها بالإضافة إلى عملية السيطرة على الموقع من معرفة عدد المتصفحين ومدة بقائهم بالموقع كذلك تنفيذ البرامج الأمنية وحجب أشخاص معينين من دخول الموقع وما إلى ذلك من الكثير من الميزات الموجودة داخل لوحة التحكم

الجزء الآخر من بناء الموقع هو بناء البرامج اللازمة لتشغيل الصفحات المطلوب عرضها إلى المتصفح (الزائر) والتنسيق برمجياً بينها وبين التصميم أو الشكل الأساسي للموقع والذي سبقنا القول بأنه عمله يتم من خلال مصممي الفوتوشوب وتتم البرمجة بإحدى لغات البرمجة أعلاه. وبالنسبة لي فأنا استخدم لغة PHP لبرمجة الموقع لما تتميز به من مرونة وقدرة أمنية عاليتين كذلك يتم الدمج بين لغة الـ PHP ولغة JavaScript بتقنية تسمى AJAX لزيادة سرعة ومرونة جلب وتنفيذ الأوامر كذلك يتم بناء البرامج الأمنية داخل الموقع لتحصينه ضد الاختراقات المحتملة ويتكون بالمحصلة النهائية موقع جاهز لنشره على شبكة الانترنت.

ثاني عملية أساسية لعمل الموقع هي عملية النشر وتتم من خلال حجز اسم نطاق للموقع مثل (alnajafy.com)، وهو كما نوهنا اسم يستخدم للاتصال بالموقع. كذلك نحتاج إلى مساحة خزينة لخزن العمل عليها ويتم الحصول على اسم الموقع والمساحة الخزنية من إحدى شركات الاستضافة والتي هي بالحقيقة مركز البيانات (Data Center) والتي بيناها في سياق اللقاء حيث يتم إرسال مواد الموقع من برامج وتصاميم إلى المساحة الخزنية من خلال بروتوكول خاص يسمى بروتوكول نقل الملفات file transfer protocol (FTP)) وتستخدم برامج خاصة لأداء عملية الإرسال أو التخزين من أهمها برنامج (FileZilla) الذي يعمل على الاتصال بالمساحة الخزنية المخصصة للموقع الموجودة على الخادم(Server).

بعد إجراء هاتين العمليتين الأساسيتين يصبح بإمكاننا تصفح الموقع وإدارته عن بعد.

كم من الوقت تستغرق عملية بناء الموقع؟

في الحقيقة نوعية البيانات المراد نشرها على الموقع هي التي تحدد الوقت اللازم لبناء الموقع، فكلما كان الموقع متنوعاً بفقراته فإنه يحتاج إلى وقت أكبر لإنجاز البرامج اللازمة لذلك فالوقت يبدأ بين أسبوعين إلى عدّة أشهر وحسب وقت العمل.

ما هو رأيكم بالمواقع الجاهزة أو ما تسمى بالمجلات؟

المواقع الجاهزة أو كما نسميها بالمجلات تكون مكشوفة الكود البرمجي مما يسهل على المخترقين اختراق المواقع الالكترونية عن طريقها إذاً فهي تكون غير مجدية نفعاً في المواقع المهمة أو المستهدفة لكنها تلبي الغرض بالنسبة للمواقع البسيطة وغير المهمة ومن أشهر هذه المجلات مجلة phpnuke. لذلك لا ننصح باستخدام المجلات (المواقع) الجاهزة لما لها من تبعات أمنية.

مهنة صناعة المواقع الالكترونية في العراق ظهرت بعد سنة ٢٠٠٣ هل ترى أن محترفي هذه الصناعة قد تطور فعلاً من سنة ٢٠٠٣ إلى سنة ٢٠١٢؟

بالتأكيد لأن كل عمل أو مهنة تزداد فرص النجاح والمعرفة فيها كلما مر الزمان عليها فهناك أسرار في البرمجة وأفكار تظهر كلما ازداد العمل فيها، فالبرمجة مرهونة بالفكرة والدليل لإظهار الشخص الهاوي من المحترف أنه عندما تطلب من كل منهما بناء برنامج معين سترى أن كل منهما قد بنى البرنامج بطريقة مختلفة عن الآخر علماً أن النتائج هي نفسها بكلا البرنامجين لكن الاختلاف بينهما بالفكرة البرمجية المتبعة فهناك حسابات وأسرار في البرمجة لا تظهر إلا بالممارسة المهنية فالبرمجة بحر ليس له نهاية.

المصادر الصناعية

وأثرها في التلوث الضوضائي
في مدينة النجف الأشرف لعام 2011م

المولدات إنموذجاً

د.صفاء مجيد المظفر
جامعة الكوفة/ كلية الآداب/ قسم الجغرافيا

تمتاز مدينة النجف الأشرف بتنوعها الصناعي، إذ بلغ عدد أنواع الصناعات التي ينتج منها ضوضاء (٨) أنواع من الصناعات المنتشرة في أحياء المدينة وهي كالآتي:

١- التوزيع المكاني للمولدات في مدينة النجف الاشرف

تتباين أنواع وأحجام المولدات في مدينة النجف الأشرف إذ توجد ثلاثة إحجام للمولدات، وهي (مولدات كبيرة) وتستخدم في الفنادق وفي المؤسسات الحكومية وفي المعامل و(مولدات متوسطة الحجم) وتستخدم لتغذية الأحياء السكنية وبعض المطاعم والمحلات الكبيرة والورش الصناعية و(مولدات صغيرة الحجم) وتوجد في اغلب البيوت والمحلات التجارية الصغيرة، وتبلغ مستويات الصوت فيها (١١٨.١١٢) (٨٩.٨٦) (٧٦.٧٤) ديسيبل، وهي أعلى من الحدود المسموح بها للأوقات الثلاثة ضمن نطاقات الأماكن الصناعية. لذلك لا يمكن أن نعطي إحصائية دقيقة حول عدد المولدات في مدينة النجف الأشرف وذلك لصعوبة حصرها بالكامل، وسوف نعتمد على البيانات الإحصائية المتوفرة. يظهر من الجدول (١) أن عدد المولدات المتوسطة الحجم التي تغذي الأحياء السكنية في مدينة النجف الأشرف (٥٥١) مولدة، ويتباين عدد هذه المولدات من حي إلى آخر ويعتمد ذلك على مساحة الحي وعدد السكان إذ احتلت أحياء (النصر والجمعية والعسكري والوفاء) المرتبة الأولى بعدد المولدات المتوسطة الحجم والبالغ نسبتها (٧)٪ في حين احتل المرتبة الثانية بعدد المولدات كل من حي المكرمة وحي الأنصار بنسبتهما البالغة (٦,٣)٪، وتأتي باقي الأحياء بالتدريج إذ بلغ نسبتها في حي الميلاد (٥)٪ وفي حي السلام والجامعة (٤,١)٪ وفي الجديدة الرابعة (٤) ٪ وفي حي الأمير والزهراء(٢,٩)٪ وفي حي العدالة والمدينة القديمة (٢,١)٪ وفي حي القدس والغدير (٢)٪ وفي حي الغري (١,٨)٪ وفي حي السواق والثورة والشرطة والهندية (١,٤)٪ وبلغت نسبتها في حي الكرامة والسعد(١,٢)٪ وفي حي الحنانة والحسين والجديدة الثالثة (١)٪.

الجدول (١)
عدد المولدات في مدينة النجف الأشرف بحسب احيائها لعام ٢٠١١م

ت	الحي	عدد المولدات	النسبة
١	النصر	٣٩	٧
٢	الجمعية	٣٧	٧
٣	العسكري	٣٦	٧
٤	الوفاء	٣٦	٧
٥	المكرمة	٣٥	٦,٣
٦	الانصار	٣٥	٦,٣
٧	الميلاد	٢٨	٥
٨	السلام	٢٣	٤,١
٩	الجامعة	٢٣	٤,١
١٠	جديدة٤	٢٢	٤
١١	الامير	١٦	٢,٩
١٢	الزهراء	١٦	٢,٩
١٣	القادسية	١٤	٢,٥
١٤	الجزيرة	١٤	٢,٥
١٥	المدينة القديمة	١٢	٢,١
١٦	العدالة	١٢	٢,١
١٧	الغري	١٠	١,٨
١٨	القدس	١٠	٢
١٩	الغدير	٩	٢
٢٠	السواق	٨	١,٤
٢١	الثورة	٨	١,٤
٢٢	الشرطة	٨	١,٤
٢٣	الهندية	٨	١,٤
٢٤	الفرات	٧	١,٢
٢٥	الكرامة	٧	١,٢
٢٦	السعد	٧	١,٢
٢٧	الحنانة	٦	١
٢٨	الحسين	٦	١
٢٩	جديدة٣	٦	١
٣٠	الاسكان	٥	٠,٩
٣١	الامام المهدي	٥	٠,٩
٣٢	المرحلين	٤	٠,٧
٣٣	المثنى	٤	٠,٧
٣٤	جديدة١	٤	٠,٧
٣٥	جديدة٢	٤	٠,٧
٣٦	المعلمين	٤	٠,٧
٣٧	أبو طالب	٣	٠,٥
٣٨	العمارات السكنية	٣	٠,٥
٣٩	الاشتراكي	٣	٠,٥
٤٠	العلماء	٣	٠,٥
٤١	النفط	٢	٠,٣
٤٢	النداء	٢	٠,٣
٤٣	ابو خالد	٢	٠,٣
٤٤	الشوافع	٢	٠,٣
٤٥	الشعراء	٢	٠,٣
٤٦	الصحة	٢	٠,٣
٤٧	الامام علي	١	٠,١
٤٨	المجموع	٥٥٣	١٠٠٪

❖ المصدر: وزارة النفط، شركة توزيع المنتجات النفطية فرع النجف الاشرف، قسم التوزيع /شعبة التجهيز وحدة المولدات السكنية، بيانات غير منشورة، ٢٠١١

وفي حي الإسكان والإمام المهدي (٠,٩)٪ وفي حي المرحلين والمثنى والجديدة الأولى والجديدة الثانية والمعلمين (٠,٧)٪ وفي حي أبو طالب والعمارات السكنية والاشتراكي والعلماء (٠,٥)٪، في حين بلغ عددها في حي النفط والنداء وأبو خالد والشوافع والشعراء (٠,١)٪ وأخيرا في حي الإمام علي مولدة واحدة.

هذا التدرج المكاني لعدد المولدات يؤدي إلى تقسيم الأحياء على شكل أربعة أقاليم واضحة خريطة(١)، وهو النطاق العالي الشديد، ويشمل سبعة أحياء بنسبة ٥٪ فما فوق، وهي أحياء (النصر والجمعية والعسكري والوفاء والمكرمة والأنصار والميلاد)، والإقليم الثاني هو العالي ويشمل ثلاثة أحياء بنسبة (٤,٩-٣)٪ وهي أحياء (السلام والجامعة والجديدة الرابعة)، وإقليم متوسط ويبلغ (١٩)حي بنسبة (١-٢,٩)٪ وهي أحياء (الأمير والزهراء والقادسية والجزيرة والمدينة القديمة العدالة والغري والقدس والغدير والسواق والثورة والشرطة والهندية والفرات والكرامة والسعد والحنانة والحسين والجديدة الثالثة)، وإقليم هادئ ويشمل (١٧) حي بنسبة أقل من ١٪ وهي أحياء (الإسكان والإمام المهدي والمرحلين والمثنى والجديدة الأولى والجديدة الثانية والمعلمين وأبو طالب والعمارات السكنية والاشتراكي والعلماء والنفط والنداء وأبو خالد والشوافع والشعراء والإمام علي والصحة).

إن التوزيع المكاني للمصدر الضوضائي الذي هو المولدات على شكل أقاليم يتفق مع توزيع أقاليم الضوضاء المحددة في التوزيع المكاني للضوضاء ذاتها وهذا التوافق يرسم علاقة المولدات الفعلية بالضوضاء، إذ يزداد عددها تزداد الضوضاء ويحدث العكس.

- مستوى التأكيد بأن المولدات أحد مصادر التلوث الضوضائي لعام ٢٠١١

كشفت الاستمارات الإستبيانية الموزعة على أحياء المدينة والبالغ عددها (٥٠٠) استمارة أن هناك تبايناً مكانياً واضحاً حول مصادر الضوضاء في المدينة ومنها المولدات يظهر من الجدول (٢) وخريطة (٢) أن المولدات من مصادر الضوضاء التي تظهر بأربعة أقاليم وهي الإقليم العالي الشديد المتأثر بضوضاء المولدات بنسبه (٥)٪ فما فوق يظهر بنطاقين الأول شمالي المدينة في أحياء العسكري والمكرمة والأخر في جنوبي المدينة في أحياء الأنصار والجديدة الثالثة، أما الإقليم الثاني فهو العالي المتأثر بضوضاء المولدات الذي تراوحت نسبته من (٣-٤,٩)٪ ويظهر بنطاقين الأول في شمالي وشمال غربي المدينة في أحياء الجزيرة والنصر والأخر في جنوبي المدينة في حي الشرطة، أما الإقليم الثالث وهو إقليم متوسط بضوضاء المولدات واشتمل على عدد من الأحياء بلغت (١٥) حياً وهي أحياء تراوحت نسبتها من (١-٢,٩)٪ وهو إقليم مشتت اشتمل على أحياء (الوفاء والهندية والجمعية والميلاد والمدينة القديمة والجديدة الأولى والجديدة الرابعة والثورة والشوافع والقادسية والزهراء والأمير والقدس والسعد والكرامة)، أما إقليم الهدوء فهو إقليم متميز بهدوئه وقلة أصوات المولدات فيه واشتمل على عدد كبير من الأحياء والبالغ عددها (٢٤) حياً وبنسبة أقل من ١٪ وهي:

الجدول (٢)
نسبة التأكيد على أن المولدات إحدى مصادر الضوضاء في مدينة النجف لعام ٢٠١١ المصدر: الدراسة الميدانية (استمارة الاستبيان)

الحلة	عدد الاستمارات	نسبة الأصوات من المجموع الكلي
الأنصار	٥١	٩,٦
العسكري	٣٧	٧
المزيرة	٣٥	٤,٨
المكرمة	٣٢	٥,٦

جديدة٣	٣٢	٢٧	٦,٤
النصر	٣٠	١٥	٣
الشرطة	٢١	١٦	٣,٢
جديدة٤	١٩	١١	٢,٢
الأمير	١٧	١٣	٢,٦
الجمعية	١٦	٩	١,٨
الزهراء	١٥	١٢	٢,٤
المدينة القديمة	١٥	١٤	٢,٨

الميلاد	١٤	١١	٢,٢
الشوافع	١٤	٩	١,٨
القادسية	١٤	١٠	٢
الوفاء والهندية	١١	٩	١,٨
الحسين	١١	٣	٠,٦
جديدة١	١١	١١	٢,٢
القدس	٨	٧	١,٤
الجامعة	٨	٤	٠,٨

الغدير	٨	٤	٠,٨
السعد	٧	٥	١
السواق	٧	٤	٠,٨
الغري	٦	٢	٠,٤
النفط	٦	٤	٠,٨
المعلمين والإمام علي	٦	٢	٠,٤
الكرامة	٥	٥	١
جديدة٢	٥	٤	٠,٨

المرحلين	٥	٢	٠,٤
الثورة	٥	٥	١
الخانة	٤	١	٠,٢
الشعراء والعلماء	٤	٢	٠,٤
الإسكان	٤	٤	٠,٨
الاشتراكي	٤	٤	٠,٨
العمارات السكنية	٣	٣	٠,٦

الإمام المهدي	٢	١	٠,٢
الصحة	٢	٢	٠,٤
المثنى أبو خالد	٢	٢	٠,٤
العدالة	١	٠	٠
الحرفيين	١	١	٠,٢
السلام	١	١	٠,٢
الفرات	١	٠	٠
المجموع	٥٠٠	٢٧٤	-

الخريطة (٢)
التوزيع المكاني لمستوى التأكيد على أن المولدات احد مصادر التلوث الضوضائي في مدينة النجف لعام٢٠١١ المصدر: بيانات الجدول (٢)

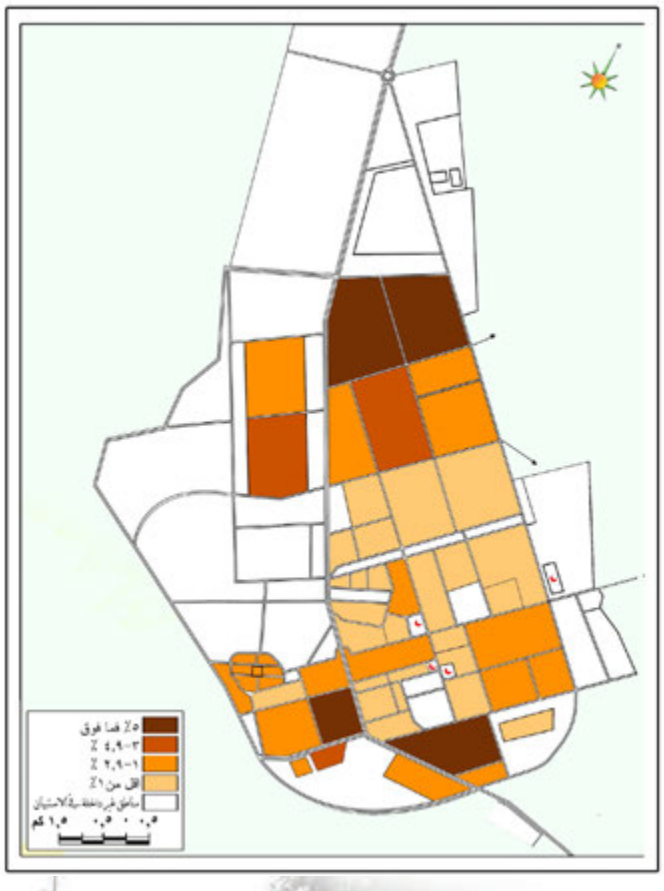

أحياء (الجامعة والسلام والغري والنفط والعدالة والعمارات السكنية والفرات والغدير والصحة والشعراء والعلماء والمرحلين والحنانة والحسين والجديدة الثانية والسواق والإسكان والاشتراكي والإمام المهدي والمعلمين والإمام علي والمثنى وأبو خالد والحرفيين)، الدراسة الميدانية جاءت بشكل قريب نوعا ما إلى ما جاءت فيه البيانات والأرقام المسجلة في الدوائر الحكومية حول إعداد المولدات في كل حي علماً أن هذه المولدات هي المتوسطة الحجم فقط فضلاً عن أن هناك مولدات لم تسجل ضمن السجلات وتشتمل على مولدات الأسواق والمحلات التجارية.

تنشأ الضوضاء بأصوات المولدات أثناء تشغيلها وتتباين هذه الأصوات في شدتها وذلك بحسب كبر المحرك فالمولدات التي يكون حجم محركها (٢-٤) (سلندر) تكون قليلة الضوضاء وتتمثل بالمولدات الصغيرة الحجم والمولدات التي يكون حجم محركها (٦- ٨-١٠) (سلندر) تكون عالية الضوضاء وتتمثل بالمولدات المتوسطة الحجم والتي يكون حجم محركها (١٢-١٤-١٦) (سلندر) فهي مولدات كبيرة وتكون ذات أصوات عالية جداً تؤثر هذه الأصوات على العاملين فيها بالدرجة الأساس وعلى السكان القريبين منها وكلما زاد عددها في الأحياء السكنية كلما زادت الضوضاء فيها ويبلغ عدد الذين يعملون في كل مولدة عاملين، وبذلك يبلغ عدد العاملين الذين يتأثرون بالضوضاء بصورة مباشرة (١١٠٢) عاملاً إضافة إلى تأثيرها المباشر على السكان القريبين من هذه المولدات.

• الضجيج المحددة شدته دون ٣٠ ديسيبل لا ينجم عنه أية تأثيرات مرضية مقلقة .

• الضجيج الذي تندرج شدته ضمن حدود ٣٠- ٥٠ ديسيبل يؤثر على الجملة العصبية .

• الضجيج الذي تندرج شدته ضمن حدود ٥٠- ٨٠ ديسيبل يتسبب في عرقلة سماع الكلام ونقص السمع .

• الضجيج الذي يندرج ضمن حدود ٨٠ - ١٢٠ ديسيبل يتسبب في أحداث عاهات دائمة في أجهزة السمع، واضطرابات هرمونية ، وارتفاع نسبة الكليسترول في الدم ، وازدياد ضربات القلب ، ومرض الشريان التاجي، وانخفاض مناعة الجسم ، والقرحة المعدية ،وارتفاع ضغط الدم

• الضجيج الذي تزيد شدته عن ١٢٠ ديسيبل يؤدي بالإضافة إلى الأمراض السابقة ، إلى تخريب أجهزة السمع ، وفي بعض الحالات يؤدي إلى الموت .

علي هادي النفاخ

نقيب المهندسين الزراعيين / فرع النجف

- القطاع الزراعي لا يعاني من قلة في الدعم الحكومي لكن هناك سوء إدارة للدعم الحكومي..
- يجب أن يكون هناك توجه كامل للتقنيات الحديثة لطرق الري حتى نأمن من مخاطر قلة المياه مستقبلاً.
- الدعم موجود لكنه غير موجه بالطريق الصحيح.

أجرى الحوار: حيدر عبد الرضا العبدلي

يعاني القطاع الزراعي في العراق في جميع مفاصله من مشاكل كبيرة وشائكة بدءاً من مشكلة التصحر التي تزحف يوماً بعد يوم على أراضيه الزراعية بسبب الجفاف وشحة المياه إلى الأمراض والآفات التي تفتك ببساتينه من النخيل والأشجار المثمرة وصولاً إلى ضعف الدعم الحكومي الذي أدى إلى انهيار البنى التحتية للزراعة، مما دعا الفلاح اضطراراً إلى أن يلتجئ إلى أعمال أخرى غير الزراعة لتوفير لقمة العيش، فترك أرضه نهباً للإهمال والتصحر، الواقع الزراعي ودراسة واقعه وإمكانية تطويره هو محور الحوار مع نقيب المهندسين الزراعيين في النجف الأشرف المهندس الزراعي علي هادي النفاخ.

ما هو تقييمكم لقطاع الزراعة حالياً في العراق؟

إن الواقع الزراعي شهد انتكاسات كبيرة منذ عام (٢٠٠٣)؛ فهناك بعض التحسن في الأداء لكن القطاع الزراعي مرتبط بالإدارة. والإدارة متمثلة بوزارة الزراعة التي تحاول أن ترتقي بهذا القطاع. لكن لحد هذه اللحظة لم نلمس إنجازات كبيرة فهناك محاولات عديدة في مجالات مختلفة لكن الانجازات لم تحصل على أرض الواقع. واقعنا الزراعي يحتاج إلى الكثير ويحتاج إلى وقت كبير للغاية للنهوض به ليستطيع أن يوفر أو يؤمن الغذاء الذي يحتاجه المواطن من المواد الزراعية، هناك جهود كبيرة لكن تحتاج إلى تخطيط أكثر وإلى دراسة إستراتيجية وخطط لعدة سنوات مستقبلية كي ننهض. فحال القطاع الزراعي لا يختلف عن باقي القطاعات فلا نجد الرجل المناسب في المكان المناسب، والاختلاف في القطاع الزراعي أنه قطاع إنتاجي الطرف الرئيسي المعني به هو القطاع الخاص، والقطاع الخاص هو المنتج، والمؤسسة الحكومية والمزارع معنية بالإرشاد وتوفير بعض المستلزمات لكن ليس هو الطرف المنتج، ومع هذا نلاحظ أنه لم يشرك الأطراف المعنيين سواء المنتجين أو القطاع الخاص أو المؤسسات المهنية وبمقدمتها نقابة المهندسين الزراعيين لم تشترك في وضع السياسة ووضع خطط تطوير القطاع الزراعي. وهذا يحسب على إدارة القطاع وأحد أسباب تخلف قطاعنا الزراعي.

هل تعتقدون أن قلة المياه أثرت فعلاً على قطاع الزراعة؟

أثرت تأثيراً كبيراً خاصة أن العراق لا يعتمد على التقنيات الحديثة في الري، ولو كان هناك استغلال للتقنيات الحديثة لكان التأثير محدوداً جداً، فهناك مياه جوفية موجودة وهناك مياه دجلة والفرات، لكن هناك سوء إدارة لهذه الموارد المائية أثر بشكل كبير على الزراعة، فهناك مخاوف مستقبلية من أن يعاني العراق من الجفاف وأعتقد أن السبب الرئيسي هم العاملون في القطاع الزراعي لأنهم لم يستطيعوا أن يتعاملوا بالتقنيات الحديثة التي توفر نسبة كبيرة من المياه وسوء التخطيط، لأنه بالإمكان زراعة محاصيل اقتصادية من ناحية المياه، وهذا يقلل هدر الموارد المائية، ولكن يجب أن يكون هناك توجه كامل للتقنيات الحديثة لطرق الري حتى نأمن من مخاطر قلة المياه مستقبلاً.

هل تعتقدون أن القطاع الزراعي يعاني فعلاً من قلة الدعم الحكومي؟

في الحقيقة أنا لا أعتقد أن هناك قلة في الدعم الحكومي، لكن هناك سوء إدارة للدعم الحكومي الذي يحصل حالياً، فهي إدارة عشوائية، فهناك بعض القوانين مثل المبادرة الزراعية وصندوق الإقراض وغيرها من الأمور التي كان من الممكن أن تنهض بشكل أفضل بالقطاع الزراعي لو كانت مدروسة بشكل أفضل. فأعتقد أن الدعم موجود لكنه غير موجه بالطريق الصحيح.

هناك ظواهر عالمية مثل ظاهرة التصحر التي يعاني منها العالم بشكل كبير. ما هي اقتراحاتكم لمكافحة هذه الظاهرة وهل هذه الظاهرة موجودة في العراق؟

المفهوم العام لظاهرة التصحر هو ليس فقط بالكثبان الرملية، وعدم استخدام وحدة المساحة بالشكل الأفضل، بل هناك عدة أمور يصح أن تسمى بالتصحر، فإذا لم تستغل الأراضي بالشكل الأمثل توضع في خانة التصحر، فالزحف الصحراوي بالمفهوم المتعارف عليه عندما تقل إنتاجية الوحدة الزراعية كسوء التعامل. والذي يحصل حالياً أنه كثير من الأراضي تترك لأسباب تتعلق بالمياه وخاصة في محصول الشلب الذي يكثر في محافظة النجف الأشرف فيحتاج إلى كميات كبيرة من المياه ولهذا تضطر وزارة الزراعة ووزارة الموارد المائية لاستغلال جزئي للأراضي بنسب معينة حسب المتوفر من المياه ومخزون المياه. ويدخل في مفهوم التصحر فيما يخص المفهوم العام للتصحر وجود المناطق الصحراوية غير المستغلة فكانت هناك بعض الأراضي الصحراوية المستغلة سابقاً والآن تركت لعدة أسباب، وهذا أيضاً بسبب تأثير المناخ وانتشار الغبار والأتربة أيضاً. فوزارة الزراعة وكل العاملين في القطاع الزراعي ينبغي أن يلتفتوا إلى هذه الحالة ويضعوا الخطط وأن تشكل لجان لمكافحة التصحر. نعم هناك تسميات لهذه اللجان، ولكن ليس هناك أدوار حقيقية لها. وبالإمكان التوسع في الأراضي الزراعية واستغلالها بالشكل الأمثل وإدخال تقنيات حديثة وتشجيع الاستثمار الزراعي ليكون منتج، وفي الحقيقة نحن عملنا لجذب المستثمرين إلى المحافظة من خلال إقامة أنشطة ومعارض نعتقد أنها مهمة لجذب الاستثمار لمحافظة النجف الأشرف. لكن هي خطوات أولية تحتاج إلى تعاون خاصة من الأطراف الحكومية المعنية والرئيسية (الحكومة المحلية، ووزارة الزراعة)، وإن شاء

الله هناك خطوات، ولكنها بحاجة إلى تفعيل أكثر وإلى تسريع وتفعيل قوانين تشجع على الاستثمار، فمن جملة مشاكلنا الرئيسية القوانين التي تحكم العملية الزراعية وأهمها القانون (٣٥) لإيجار الأراضي الزراعية الذي يحرم حتى غرس الأشجار والاستغلال للمشاريع المكملة المفيدة للقطاع الزراعي كإقامة مصانع ومعامل تعليب وغيرها.. فقوانيننا بحاجة إلى تعديلات، وإلى إشراك الأطراف الرئيسية بالقطاع الزراعي مع أطراف ساندة بالعملية الزراعية ومكافحة التصحر، مع وضع برامج وخطط دون الاعتماد على الموظف الحكومي وحسب. فمن غير الممكن أن ينهض بالواقع لأنه هو موظف يستلم راتباً معيناً. فالمعني الرئيسي بالإبداع هو القطاع الخاص.

ما هي الحلول من وجهة نظركم للنهوض بالواقع الزراعي؟

نحن غالبا ما نقول أن أساس المشكلة بالقطاع الزراعي هو إدارة القطاع الزراعي إذ تحتاج إلى مجموعة من التعليمات والقوانين حتى تتمكن كل الأطراف أن تضع رؤى وتطبقها لتطوير القطاع الزراعي، فهنالك خطوات حديثة جرت منها تشكيل لجان خاصة بالمبادرة الزراعية وإشراك ذويها، وخلال فترة قليلة بدأت ترى النور. هذه خطوات إيجابية وينبغي أن تتبعها خطوات أخرى في مجالات أخرى، فأولاً يجب إشراك ذوي الاختصاص في عملية التخطيط والإدارة لا الاعتماد على الجانب الحكومي وحسب. فالكثير من الوزارات يمكنها الاعتماد على الجانب الحكومي إذا كانت وزارات خدمية، لكن وزارات الإنتاج هي المعنية الرئيسية والقطاع الخاص كذلك، لأنه هو المنتج، فينبغي الاهتمام بالقطاع الخاص، أيضاً يجب التنبه للتقنيات الحديثة ليكون هناك دور إرشادي كبير حتى يتم التعامل مع هذه التقنيات ونوسع استخدامها، أيضاً هناك موضوع الجمعيات المتخصصة أعتقد أن تشكيل جمعيات متخصصة في كل مجال من مجالات القطاع الزراعي يساعد بشكل كبير على النهوض بها لأن هذه الجمعيات بالإمكان أن تساعد في مجال التسويق للمنتجات في مجال مكافحة الآفات الزراعية وأعني بالجمعيات مجموعة من الأراضي في وحدة المساحة، فينبغي أن يكون هناك تنسيق فيما بينهم لزراعة أصناف جديدة ذات مواصفات عالية وهذه الجمعيات تؤثر وتساعد وزارة الزراعة والمراكز الإرشادية لتفعيل دورها لدعم الفلاحين في بعض التجهيزات الزراعية، أيضاً إيجاد منافذ للتسويق فمن أهم معوقات العمل الزراعي عدم إيجاد منافذ التسويق أو كيفية تسويق المحصول، فهناك الكثير من المحاصيل لا تسد تكاليفها، لانعدام التنسيق فيما بين المنتجين لهذه المحاصيل والمسوقين، فبالتنسيق يمكن أن توزع المساحات الإنتاجية بشكل صحيح ومن ضمنها تنويع المحصول، وعدم الاعتماد فقط على الأساليب القديمة (غير الاقتصادية). فهناك حالات اعتماد على محاصيل غير اقتصادية أثبتت عدم جدواها للفلاح، وبالنسبة لمحاصيل الشلب الحالية، إذ أنه يعد محصول غير إنتاجي ويضر كثيراً بالمزارعين لأن جودته أقل من الأصناف الأخرى المستوردة ويحتاج لوفرة المياه وبكميات كبيرة مما سيؤدي إلى عدم النفع الاقتصادي، غير أنه في بعض الأحيان يعد تسويقه إلى الدولة متطلباً لدعم بمبالغ إضافية وهذا ما يتعارض مع الحالة الاقتصادية لو كان هناك تخطيط لكان بالإمكان إنتاج محاصيل أخرى لها أسواق محلية وحتى إقليمية، فالدولة من واجبها تسويق الإنتاج المحلي ودعمه محلياً في أسواقنا وعدم إغراق السوق بمحاصيل إقليمية وحتى عالمية، فالبلدان النامية استطاعت أن تنهض بواقعها الزراعي وتنهض باقتصادها من خلال إيجاد سوق للمنتجات الزراعية.

تحدثتم عن ضعف وضرورة لتعدي الفقرات القانونية فيما يهم الشأن الزراعي، فهل تقترحون سن قانون زراعي جديد؟

هناك مجموعة من القوانين التي يعمل بها القطاع الزراعي منها قانون (٣٥) لإيجار الأراضي الزراعية، فنرى أن كل الجهات الحكومية وغير الحكومية تشير لهذا القانون بالسلب، لأنه من القوانين المعرقلة للقطاع الزراعي، والعجيب أن كل هذه الأطراف سواء في البرلمان أو في وزارة الزراعة أو الحكومات المحلية والاتحادية تشير إلى سلبية هذا القانون؛ ولكن مع هذا لم يعدل لحد هذه اللحظة، فهو من أهم القوانين التي من المفروض أن تعدل. وهناك قانون سُن لوزارة الزراعة ونحن نأمل أن كل هذه القوانين تكون منفتحة وخاصة الوزارات التي تعمل مع القطاعات الخاصة لتكون منفتحة على المؤسسات والنقابات والاتحادات المهنية المحتكة بها والمتوافقة بالتخصص معها فإن هذا يتضمن فقرات تتيح لهذه الأطراف أن يكون لها دور فاعل بإسناد وزارة الزراعة وتفعيل عمل وزارة الزراعة لأنها هي الطرف الرئيس المعني بالقطاع الزراعي، ولا ننكر أن هناك جهود كبيرة تبذل وفي الفترة الأخيرة الوزارات خطت بعض الخطوات الايجابية، ولكن ليس بمستوى الطموح، فهناك خلل كبير جداً ويحتاج إلى عمل أكبر وتعاون أكثر..

هناك بعض المحاصيل تكون كلفة إنتاجها كبيرة فهل هذا يعني أن المزارع لا يحصل على موارد كافية عند تسويق المنتج؟

ليس هناك اعتراض على أن يكون هناك دعم للمنتج الزراعي بالعكس فجميع بلدان العالم بما فيها البلدان المتطورة تدعم القطاع الزراعي، ونحن نأمل أن يكون الدعم لمحصول الشلب وغيره من المحاصيل بشكل اكبر، لكننا نتحدث عنه من جهة كونه محصول غير اقتصادي؛ وهذا هو القصد منه، الدعم الذي يحصل للقطاع الزراعي أقل من الطموح في محصول الشلب وغيره من المحاصيل وهذا يعني الضرر الذي يلحق أحيانا بالفلاحين سواء في مجال الخضر.. وغيرها. فنرى أن الدولة أحياناً لا تلتزم بتعويضهم الأضرار التي تنجم سواء على مستوى فتح السوق والمنتجات المنافسة أو الأضرار التي تصيبهم نتيجة الآفات الزراعية التي تحصل. وهذا الشيء يحدث في أكثر بلدان العالم تطوراً، آخذة بنظر الاعتبار أن هناك مجموعة من الإجراءات بإمكان وزارة الزراعة والحكومة أن تساهم بها، منها التسهيلات المصرفية، وتوفير القروض للمزارعين، وبشكل مدروس. فهناك بعض المعوقات والإجراءات الروتينية التي تعيق الاستفادة بشكل كامل من هذه القروض والتسليف؛ أعتقد أن كل هذه الأمور تؤشر على أن الدعم ليس كافياً للمزارعين، وهم بحاجة إلى دعم أكبر في حين نجد أن الفلاح تمسك بأرضه طول هذه الفترة رغم أنه تعرض لهزات ونكبات وخسارات كبيرة وفادحة. فالمفروض على الحكومة أن تلتفت له وتدعمه بشكل جاد.

نقطة: ما مدى تأثير المنتجات المستوردة على الزراعة في العراق؟

هناك شيء يسمى حماية المنتج المحلي وآخر يسمى حماية المستهلك، وهناك موازنة المفروض على الدولة أن تضعها في نظر الاعتبار. فمن غير الممكن إذا كان لدينا سلعة معينة أو منتج معين بكميات قليلة ينتج محلياً ونغلق الحدود لاستيراد هذه المنتجات. كما يجب أن تكون هناك سياسة ودراسة وإحصائيات حتى تكون موازنة بين دعم المنتج المحلي وحماية المستهلك حتى لا ترتفع الأسعار وتكون عبءً على المواطن، لكن العملية إذا لم تكن بهذا الشكل لن تصل إلى معادلة صحيحة بهذا المجال لتحول دون تضرر الطرفين في أحيان كثيرة.

ما هي مشورتكم لبادرة مشروع القرى العصرية؟

أعتقد أن الحكومة والدولة والوزارة وكل الأطراف هي المعنية، فهي بحاجة إلى القيام بمشاريع رائدة، ومن أهم المشاريع التي اقترحت منذ (٢٠٠٥م) تقريباً هو مشروع القرى العصرية هذا المشروع ليس فقط لتشغيل العاطلين عن العمل وخاصة من خريجي كليات الزراعة والطب البيطري أو المعاهد الزراعية وحسب، فالمخطط له أن يكون نواة لغزو الصحراء لاستغلال المساحات الصحراوية من خلال إقامة قرى عصرية تقوم الدولة ببنائها وتوفير البنى التحتية لإمكانية الإنتاج الزراعي في مناطق تعتبر نائية تقريباً. وهذه التجربة كانت في عموم محافظات العراق ونفذت في بعض المحافظات الغرض منها تشغيل الخريجين من المهندسين الزراعيين واختصاصات أخرى، ولكن نرى مع الأسف في محافظة النجف الأشرف تلكأ في هذا المشروع فبعض المحافظات وصلت إلى إتمام المشروع ومحافظة النجف الأشرف لم تكمل إجراءات الموافقات على تخصيص الأرض لإقامة المشروع وبعد مضي سبع سنوات، وهذا صعب جداً لسبع سنوات فقط وموافقات الجهات المعنية لتخصيص الأرض لم تتم لحد هذه اللحظة، فنأمل من وزارة الزراعة التي وعدت كثيراً أنه سيتم إنشاء المشروع في محافظة النجف الأشرف في فترة قريبة وهذا الحديث منذ أكثر من سنة.

هل تعتقدون أن العراق سيعود إلى تصدر القطاع الزراعي في العالم العربي؟

أعتقد أنه في حالة واحدة بإمكان العراق أن يقفز قفزات على الأقل كبيرة حتى يحاول أن يلحق بالركب المتقدم والمتطور في القطاع الزراعي، وذلك إذا اعتمدنا على الأشخاص ذوي الكفاءة، وإذا اعتمدنا على أن يكون القطاع الخاص له إمكانيات متوفرة وأساليب تدريب، وله برامج تدريب، ونعتمد أكثر على الاختصاصات المعنية بالقطاع الزراعي من مهندسين زراعيين وخريجي معاهد وإعداديات الزراعة، وأعتقد أيضاً أن أتباع نظام الجمعيات أو الشركات لتنفيذ مشاريع كبيرة كذلك وإدخال الصناعات التحويلية التي تضمن على الأقل تسويق المنتجات الصناعية التي بإمكانها أن تسهم في تحقيق قفزات كبيرة في القطاع الزراعي. ولا ننسى أنه حتى نتمكن من التوجه إلى زراعة الصحراء بمساحات واسعة ينبغي توفير بنى تحتية لهذه المناطق من طرق وكهرباء وماء وخدمات أخرى حتى نتمكن، أو يكون إقبال على زراعة الصحراء، وهذا الشيء يحتاج إلى إدارات كفوءة.

عسل النحل في العراق
الواقع والتحديات

منتصر صباح الحسناوي
رئيس جمعية نحالي النجف الاشرف
أمين سر اتحاد النحالين العرب/ أمانة العراق

سَحَر نحل العسل الإنسان منذ بدايات التاريخ المسجل وعلى الأغلب قبل ذلك، ويمكننا تقدير أنه بمجرد شروع الإنسان في استهلاك منتجات نحل العسل ولسعه بانتظام من النحل بدأ تاريخ العلاج بالنحل، متى كان هذا يا ترى؟ من الصعب معرفته...على كل حال منذ أزل بعيد دون شك أبعد مما نتصور فالحفريات تشهد على وجود حشرات على سطح الأرض قبل ظهور الإنسان، النحل على هيئة ثابتة موجود منذ حوالي ١٠٠ مليون سنة، فليس من المفاجئ اقتحامه لحياة الإنسان في الفترة ما قبل التاريخ.

ومن بين أولى الحضارات التي اهتدت لذلك حضارات وادي الرافدين منذ ٥٠٠٠ سنة ق- م في العهد السومري حيث وجدت كتابات حول النحل على الألواح الطينية التي يزيدِ عمرها على ٤٠٠٠ سنة ق.م ومن بين أقدم اللوحات السومرية مؤرخة منذ تقريبا ٣٠٠٠ عام ق.م تحمل وصفات استعمال العسل لعلاج التهابات الجلد أو القرحة، وفي أور جنوب العراق وجدت كتابات حول العسل يعود تاريخها إلى ٢٠٠٠ سنة ق.م، كما ذكر الملك البابلي حمورابي العسل في مسلته المكتوبة على حجر الصوان . وهي موجودة الآن في متحف اللوفر بباريس . تدل على إستخدام الشعب البابلي العسل لعلاج الأمراض، ورسمت النحلة على العملة القديمة لمدينة بابل التاريخية كدلالة على أهميتها.

عمله نقدية من مدينة بابل التاريخية تحمل صورة نحل العسل

الآلهة السومرية نحلة

رغم ذلك تعتبر تربية النحل من الفتوحات الإنسانية التي يمكن وصفها بالمتأخرة. صحيح أنها عُرفت منذ أكثر من ألف سنة قبل الميلاد ، إلا أنها بقيت ولآلاف السنين في مرحلة بَدائية ، اكتفى الإنسان خلالها بجني العسل دون معرفة كيفية إنتاجه ودون أن يفكر في حماية هذا الإنتاج ورعايته. وكل الشواهد والآثار توحي بأن معرفة العسل البري وأخذه من بيوت النحل (الخلايا) هي الخطوات الأولى نحو تربية النحل.

هذه الممارسة كانت تتبع الأساليب البدائية في التربية كالخلايا الطينية وجذوع الأشجار حتى الخمسينات من القرن الماضي حيث استوردت وزارة الزراعة العراقية خلية لانكستروث لأول مرة ودُعمت تربية النحل في العراق من قبل المؤسسات الحكومية بإستيراد النحل من السلالات الايطالية واليوغسلافية وتهجينه مع النحل المحلي وإنشاء المناحل حتى وصل عدد الخلايا عام ١٩٨٠ إلى ٥٠٠،٠٠٠ خلية وهذا يمثل أعلى رقم سجل لحد الآن!!

بعد ذلك أخذ النحل بالتدهور بسبب ظروف العراق خاصة خلال الحرب العراقية الإيرانية،

وفي عام ١٩٨٥ ظهر طفيلي الفاروة لأول مرة وأدى إلى هلاك معظم خلايا النحل لعدم توفر الاحتياطات اللازمة ضد هذا الطفيلي، بالإضافة إلى بيع الدولة مناحلها إلى القطاع الخاص، مما أدى إلى وصول عدد خلايا النحل إلى أدنى مستوياتها حيث سجلت ٣٠٠٠ خلية في سنة ١٩٩١ (سنة حرب الخليج)!!

حتى عام ١٩٩٥ حيث ظهرت حالة النحل الزاحف التي لم يعرف مسببها المباشر، وبعد الاتصال بمنظمة الـ FAO التابعة للأمم المتحدة وباهتمام أرسلت د.نيقولا برادبير لدراسة هذه الحالة، وبعد سنة ١٩٩٧ استلم العراق عدة أنواع من المبيدات والأدوية التي تدخل العراق لأول مرة مما أدى إلى ازدهار النحل حتى ٢٠٠٣ الاحتلال الأمريكي للعراق حيث بدأ النحل بتراجع مخيف في العراق عموماً مردّها إلى تدهور طوائف النحل وكثرة الهلاكات، فمن الفترة ما بين ٢٠٠٥-٢٠٠٨ فقد ما يزيد على ٧٥٪ من النحل والنسبة الباقية تعتبر خلايا غير منتجة لضعفها العام، فبعدما كانت الطاقة الإنتاجية للخلية تزيد على ١٥كغم/ أصبحت الآن من التدني بحيث لا تزيد على ٧كغم!.

أما النحل من بعد ٢٠٠٨ إلى تاريخنا الحاضر بدأ يسترجع الكثافة النحلية بجهود مميزة وجبارة من قبل نحالين معدودين في العراق أخذوا على عاتقهم السعي الجاد في تطوير هذا القطاع بإمكانيات شخصية منحوا فيه الجهد والمال في سبيل الحصول على كل جديد في العالم من حول العراق من اجل النهوض بتربية النحل وزيادة الإنتاجية...

لكن رغم ذلك نجد أن العراق تخلف كثيرا عن الركب الدولي في إنتاج العسل.

الجدول التالي يبين إنتاجية العسل بالطن للدول العربية حسب تقديرات منظمة الأغذية والزراعة FAO لسنة ٢٠٠٨م.

و يعود ذلك لعدة أسباب أهمها..

عدم وجود مراكز أبحاث متخصصة بالنحل في عموم العراق.

اعتماد الطرق التقليدية في تربية النحل والعشوائية في طرق التربية ومعالجة الأمراض من قبل النحالين وعدم اعتماد هذا القطاع بطرق تجارية حديثة وعلمية.

النظر لقطاع تربية النحل من قبل مؤسسات الدولة المعنية على أنه من الصناعات الرفاهية متناسين أهميته الاقتصادية.

رغم وجود جمعيات ومنظمات تعنى بالنحل والنحالين ووجود اتحاد عام للنحالين العرب إلا أن دور هذه المنظمات لا يزال محدوداً على الجانب العملي.

قلة وعي المزارع العربي بأهمية النحل في زيادة المحاصيل الزراعية بسبب قلة الدور الإرشادي للمؤسسات الزراعية.

إنعدام ثقة المستهلك بمنتجات النحل عموماً، وذلك نتيجة قلة الدور الإعلامي وعدم معرفته بماهية منتجات النحل، فلا يزال لا يعرف أن تبلور العسل من صفات العسل الطبيعي.

عدم وجود إحصائيات دقيقة للنحل وإنتاجه وعدد النحالين في العراق فهناك الكثير من المغالطات في هذا الأمر فلا عجب أن تنشر الصحف العراقية عن أحد المسؤولين إن أحدى المحافظات العراقية بلغ إنتاجها ٥٠٠ طن من العسل رغم أن جميع إنتاج العراق لم يصل إلى هذا الرقم!! وكذا الحال للنحل والعاملين فيه.

وأخيراً عدم وجود رقابة على العسل المستورد مع عدم وجود مراكز لاختبار جودة العسل بالطرق الحديثة في عموم العراق، الأمر الذي جعل من السهولة إدخال أنواع من قطر السكر بنكهات وألوان مغرية وبعبوات جميلة على أنه عسل طبيعي!! وليس هذا فقط بل إن هناك شركات تعبئ عشرات الأطنان من العسل من مصادر مجهولة وتدخله إلى العراق على أنه عسل أوربي أو سعودي أو حتى كويتي، فالكويت الآن تصدر عسلاً أكثر من إنتاج إقليم كردستان العراق ألا يحق لنا أن نسأل كيف يكون ذلك!؟

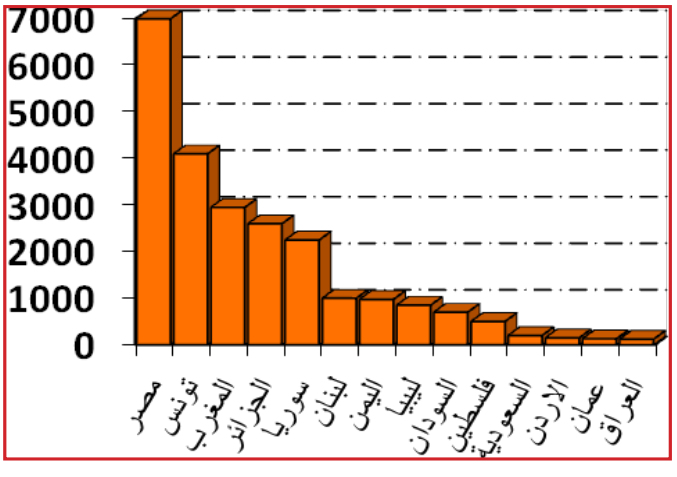

إن إغراق الأسواق بهذه الأعسال له تأثير على المستهلك من جهة ومربي النحل من جهة أخرى، فجهل المواطن بمصدر هذه الأعسال وتنوع الملصقات التي تزينها والفن في طرق الغش جعل سبل إيجاد العسل الطبيعي من الصعوبة بمكان خاصة والضرر الأخطر والأكبر هو على قطاع تربية النحل نتيجة للمضاربة الإغراقية للأسواق بالعسل المستورد من مناشئ مجهولة وبأسعار بخسة، فقد فقدت كندا ٧٥٪ من تعداد مربي النحل جراء دخول العسل الصيني إلى أراضيها رغم وجود جهاز مراقبة مستمرة لكشف غش العسل في كل مراحل إنتاجه وبالرغم من إنهم يمنعون دخول أي عسل أجنبي قبل إخضاعه للفحوص المختبرية، أما في لبنان فقد قرر المجلس الأعلى للجمارك وضع رسم إضافي على العسل المستورد بحيث يجب أن لا يقل عن ثمانية آلاف ليرة لبنانية عن كل كيلو عسل. (قرار رقم ١٠٢ تاريخ ٣٠ أيلول ١٩٩٩) أما المبالغ المستوفاة من هذه الضرائب فإنه يدعم بها قطاع تربية النحل.

أما العراق فالحدود مفتوحة على مصراعيها للمواد المستوردة دون قيد أو شرط وليست هناك حتى ضريبة كمركية!، وكذلك عدم وجود أي مختبر للكشف عن جودة العسل!

وحفاظاً على حقوق النحال والمستهلك العراقي نطلب إصدار قانون يمنع استيراد العسل الذي يكون ممزوجاً بأعسال مستوردة ليست من بلد المنشأ وفرض ضريبة على العسل المستورد تكون عائداتها لتنمية تربية النحل في العراق وذلك بإنشاء محطات البحوث والتطوير والدعم لهذا القطاع.

الشخصية والأعلام

جاسم محمد ناصر

الشخصية هي ذلك النظام الكامل للنزعات الثابتة نسبياً الجسمية والنفسية التي تميز فردا معينا والتي تقرر الأساليب المميزة لتكيفه مع بيئته المادية والاجتماعية وقد تتعدد التعريفات في محاولة لرسم مفهوم واضح للشخصية.

وكما تعددت التعريفات تتعدد النظريات التي عملت على تفسير الشخصية حيث نعرض نظرية الأنماط والتي تميل إلى تقسيم البشر إلى أنماط معينة وباقي النظريات في الشخصية.

تعريف الشخصية

إحتلت الشخصية مكانة هامة في دراسات علم النفس حتى اقترح بعض العلماء أن يطلق عليها علم الشخصية (personalogy) لإمكان قيامها بتخصص قائم بذاته. ويعد لفظ الشخصية من أكثر الألفاظ تداولا واستخداما بحيث اتخذ معان متعددة فقد يشار إلى شخص على أنه ذو شخصية قوية أو أنه شخصية تدل على الرقي أو رجل ذو شخصية ناجحة في أعماله... هذه الإشارات تبين أن تعبير الشخصية قد يستخدم للإشارة إلى:

١: الفرد كما يظهر للآخرين لا كما هو في حقيقته.
٢: مجموعة الصفات الشخصية التي تمثل ما يكون عليه الفرد في الحقيقة.
٣: الدور الذي يقوم به الفرد في الحياة سواء كان مهنيا أو اجتماعيا أو سياسيا.
٤: الصفات التي تشير إلى المكانة والتقدير والأهمية الذاتية.

ومادة الشخصية في اللغة العربية من شخص، والشخص كما جاء في مختار الصحاح سواء الإنسان، وغيره من تراه من بعيد، وكلمة (personality) بالانجليزية هي في اللاتينية (personalita) مستمدة من (personare) باليونانية وهما كلمتان (per) وتعني من خلال (sonare) وتعني أتحدث أتكلم، وقد استخدم اللفظ في المسرح اليوناني القديم ليدل على قناع يرتديه الممثل، وكانت هذه الأقنعة ترسم وتشكل لتوضح للمشاهدة انطباعات الشخص الذي يعبر عنه.

وقد تعددت تعريفات علماء النفس للشخصية، فعلى سبيل المثال درس جوردن البورت خمسين تعريفا للشخصية ثم وضع تعريفه (الشخصية هي ذلك التنظيم الديناميكي داخل الفرد للأجهزة النفسية الجسيمة التي تحدد للفرد تكيفه مع البيئة) وأضاف تعديلا على تعريفه باستبدال تكيفه مع البيئة بعبارة (تحدد للفرد طابعه المميز في السلوك والتفكير).

أما كاتل (cattle) فيعرف الشخصية بأنها (كل ما يتيح لنا التنبؤ بما سيفعله الفرد في موقف معين والشخصية تختص بكل سلوك يصدر عن الفرد سواء كان ظاهرا أو خفيا... ويعرف اتكنسون الشخصية بأنها نموذج من خصائص سلوكية وفكرية انفعالية متميزة تحدد الوضع التكيفي للفرد مع بيئته.

أما ايزنك (eysenck) فيعرف الشخصية بأنها التنظيم الذي يتميز بدرجة من الثبات والاستمرار لطباع الفرد ومزاجه وعقله وبنية جسمه والذي يحقق توافق الفرد لبيئته، فالطباع يشير بها إلى جهاز السلوك النوعي ويقصد بالمزاج السلوك الوجداني الانفعالي بينما يشير العقل إلى السلوك المعرفي (الذكاء)، ويقصد بالبنية شكل الجسم والميراث العصبي والغددي للفرد... والشخصية (بأنها حاصل جمع سمات وقدرات واستعدادات الفرد الكامنة فيه وميوله ونزعاته واتجاهاته التي تميزه عن باقي الأفراد... وتعرف الشخصية كذلك (بأنها تنظيم ديناميكي داخل فرد له قدرة من الثبات والدوام لمجموعة من الوظائف أو السمات أو الأجهزة الإدراكية التوعوية والانفعالية والمعرفية والدافعية والجسمية التي تحدد طريقة الفرد المتميزة في الاستجابة للمواقف وأسلوبه الخاص في التكييف مع البيئة وقد ينتج عن هذا الأسلوب توافق أو سوء التوافق).. وقد تعددت نظريات تفسير الشخصية.

فيما يلي نعرض أهم هذه النظريات.. وهي:

١: نظرية الأنماط.
٢: نظرية التحليل النفسي.
٣: نظرية السمات.
٤: نظرية الأبعاد.
٥: نظرية الذات.
٦: نظرية التعليم الاجتماعي.

نظرية الأنماط.. نظرا لميل الإنسان إلى التصنيف رغبة منه في الاقتصاد في العمل وتسهيلا لتوجيه السلوك بتوقع ما سيحدث اهتم الباحثون بتصنيف الشخصيات. وأول ما لفت نظر الإنسان الصلة الوثيقة التي تربط بين الصفات الجسمانية والسمات الخلقية.

وقد سمي العلم الذي ينظر في صلة الصفات الجسمانية بالأخلاق النفسية علم الفراسة (physiognomy) وكتب فيه أبقراط وجالينوس.

واهتم العرب بهذا العلم، فمن أشهر كتب الفراسة للرازي وقد وضع أبقراط نظريته على الأنماط بتقسيم الناس إلى أربعة أنماط:

- السوداوي: والصفة الغالبة عليه هي التوتر.
- الدموي: والصفة الأساسية فيه هي الليونة.
- الصفراوي: والصفة الغالبة فيه هي الانتشار.
- البلغمي: والصفة الأساسية فيهم هي التماسك.

وتستند فكرة أبقراط على أن الافرجة تتوقف على توزيع سوائل معينة في الجسم وعلى الرغم من عدم قبول تفاصيل هذه الفكرة الآن إلا أن جوهرها يشبه إلى حد بعيد المفهوم السائد حاليا وهو أن الخصائص المزاجية تتأثر بدرجة كبيرة بتوزيع هرمونات الجسم.

ولم يقتصر تقسيم الشخصية على أنماط بناءاً على مؤشرات جسيمة فقط بل اعتمد أيضا على عوامل سيكولوجية، منها:

تقسيم سيراغر للشخصية بناء على الميول والقيم حيث افترض أن الميول السائدة بين الرجال والنساء هي تعبير عن خلقهم الموروث وافترض وجود ستة أنماط محددة من الشخصيات تعتمد على الإحساس الذاتي بالقيم:

- النمط النظري: ويهتم أساساً بالمواد العلمية والبحث الموضوعي.
- النمط الجمالي: يهتم بالجمال ويميل إلى أن يكون غير عملي.
- النمط الاجتماعي: ويهتم بالنواحي الإنسانية العامة.
- النمط السياسي: وتحركه الرغبة في القوة.
- النمط الديني: ويرى الدين في كل شؤون الحياة.

ومن مؤيدي هذه النظرية عالم النفس الأمريكي وليم شلدون (١٨٩٨ــــ١٩٧٧) الذي يرى أن ذوي الأنماط الجسمية المعينة يميلون إلى أن تكون لهم أنماط معينة في الشخصية حيث أن لديهم خصائص جسمية وراثية معينة تجعلهم يحددون الأنشطة التي يميلون إلى التفوق فيها.. وقد حدد شلدون أنماطاً هي:

- النمط الجسمي الحشوي: البدين ويقابله مزاج حشوي وهو اجتماعي يحب الطعام، معتدل المزاج.
- النمط الجسمي النحيف: ويقابله مزاج حاد: مكبوت مقيد خائف، راع لذاته.

استطلاع

صلاة الليل

على لسان مصليها

في جوانبها الدنيوية والاخروية

إستطلاع: عمار الطريحي

في سكون الليل المظلم وعلى ضوء النجوم المتلألئة وفي جو تسوده روح العشق والانتظار إذ المحب يحب خلوة حبيبه، هلت الدموع وخشعت القلوب ورفعت الايادي وناجى المناجون: (أَنَا يا رَبِّ الَّذِي لَمْ أَسْتَحْيِكَ فِي الْخَلاءِ، وَلَمْ أُراقِبْكَ فِي الْمَلأ، أَنَا صاحِبُ الدَّواهِي الْعُظْمى، أَنَا الَّذي عَلى سَيِّدِه اجْتَرَى، أَنَا الَّذي عَصَيْتُ جَبّارَ السَّماءِ، أَنَا...). هذه الأدعية والمناجاة وغيرها التي يناجي بها المستغفرون بالأسحار ربهم كلمات على ألسنتهم والدموع ساكبه من أعينهم وقلوبهم خاشعة يقفون بين يدي الله في آناء الليل والناس نيام يطلبون الرضا من الله وغفراناً للذنوب والخطايا أولئك هم المصلون لصلاة الليل.

إذ أن الإنسان الذي لا يستذوق الليل لينظر إلى سلوكه النهاري، حيث أن هنالك ترابطا واضحا أكيداً بينَ عمل الإنسان في النهار وفي الليل، وعليه فإن تنقيح السلوك النهاري مقدمة لقيامه لصلاة الليل قياماً متميزاً، والذي لا حركة له في جوف الليل، ولا محطة له مع رب العالمين يُخشى عليه من الجفاف الروحي، فالجفاف في بعض الحالات قد يؤدي إلى الموت في النهاية.

معطيات صلاة الليل

أعطى الله تبارك وتعالى المستغفرين بالأسحار والقائمين لصلاة الليل أثاراً في الدنيا ظاهرة في وجوههم وحياتهم اليومية. إذ بين لنا الشاب السيد حيدر الحلو أنه يكون نشيطاً في الصباح في اليوم الذي يقوم به لصلاة الليل وتكون صحة بدنه جيدة، وأضاف أيضاً أن صلاة الليل تورث صحة البدن وتعطي النشاط والحيوية في العمل، والذي أثبت ذلك قول أمير المؤمنين علي (ع): (قيام الليل مصحّة للبدن).

بينما أشار حسين علي من دولة الكويت في حديثه قائلاً: إن في مثل هكذا لقاء عظمة خاصة تستلزم مقدمات ذات تخطيط دقيق لتحقيق روح صلاة الليل، ويكون الالتزام بتخفيف الطعام قبل الصلاة بمدة، واجتناب المعاصي طوال اليوم، والنوم الكافي نهارًا، أو على الأقل محاولة الالتزام بهذه الشروط كفيل بكسب رأفة المولى جل شأنه.

فحين يرى الله الرغبة المقترنة بالعمل والإصرار فإن الله تعالى لا يخيب أبداً أمل عبد في الوصول إليه، ففي الحديث القدسي: (إذا تقرب العبد إلي شبراً، تقربت إليه ذراعاً.. وإذا تقرب إلي ذراعاً، تقربت منه باعاً.. وإذا أتاني يمشي، أتيته هرولة)، فليكن لنا عمل وإصرار في أداء صلاة الليل نسأل الله التوفيق في ذلك.

وشخص آخر من الأمارات أوضح أن كثرة الذنوب تحرم صلاة الليل قائلاً: إن قيام الليل من أمتع العبادات وألذها، وقيامها يترتب عليه كل أعمال النهار، فلن يتم توفيق العبد لقيامه إذا كان مثقلا بذنوب ذلك اليوم.

فبالاستغفار وخلو اللسان من الغيبة ومحاسبة النفس سيكون هناك توجه صحيح في صلاة الليل ومناجاة الله تعالى، وأرى نفسي حينما أرتكب ذنباً أحرم من الصلاة، وأدرك بعدها نتيجة ذلك الذنب.

هذا ما أكدته الرواية إذ جاء فيها: أنه جاء رجل إلى أمير المؤمنين علي (ع) فقال: يا أمير المؤمنين!.. إني قد حرمت الصلاة بالليل.. فقال أمير المؤمنين (ع): (أنت رجل قد قيدتك ذنوبك).

بينما بينت المستبصرة أم محمد من البحرين: أن صلاة الليل هي كرامة من الله تعالى قائلة: إن دوامنا على القيام للصلاة في الثلث الأخير من الليل هو كرامة من الله سبحانه وتعالى بأن نكون من موالي أهل بيت (ع) والسائرين على نهجهم.

ألا يجدر بنا في هذا المقام أن نذكر إمامنا الحسين (ع) وأصحابه عندما اشتغلوا بذكر الله ليلة عاشوراء، ولم يشغلهم ما سيحل بهم في اليوم التالي من القتل، وسبي نسائهم.

آلا يجدر بنا أن نذكر بطلة كربلاء زينب (ع) حين قامت ليلة الحادي عشر، على الرغم من الهموم والمصائب التي تعرضت لها، أحيتها جالسة، ولم تفرط بلقائها بالمولى عز وجل.

فإن كنا من موالي أهل البيت (ع) فليكن دوامنا على صلاة الليل وعدم تركها ومناجاة الله تعالى ليغفر لنا ذنوبنا وخطايانا.

حسين علي

إن الذنب من العوامل المؤثرة الخطرة القادرة على قطع ارتباطنا بالله، هذا ما بينته نور الزهراء من العراق قائلة: استناداً إلى ما ورد من أحاديث وروايات عن أئمة اهل البيت (ع) فإن الذنب هو من العوامل المؤثرة الخطرة القادرة على قطع ارتباطنا بالله، وعلى سلب توفيق الدعاء منا، وحرماننا من نعمه وعطاياه.

هذه الحقيقة عبرت عنها الأحاديث بأساليب متعددة، منها عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع) أنه قال: (كان أبي يقول: ما من شيء أفسد للقلب من خطيئته، إن القلب ليواقع الخطيئة فلا تزال به حتى تغلب عليه، فتصير أعلاه أسفله).

وعنه أيضاً قال: (إن الله أوحى إلى داود: إن أدنى ما أنا صانع بعبد غير عامل بعلمه من سبعين عقوبة باطنية، أن أنزع من قلبه حلاوة ذكري).

فيجب علينا أن نحاسب أنفسنا وأن ندعو الله بالاعتراف أولا بأننا مقصرون مذنبون ونستغفر الله منها ونطلب منه العفو، حتى يرضى عنا ويكون رضا الله بالتوفيق بصلاة الليل.

أبو محسن من القطيف السعودية الذي أوضح قوة العزيمة في أداء الصلاة قائلاً: إن لصلاة الليل حلاوة ولذة، لا يستشعرها إلا المواظبون عليها فتراهم دائماً يحافظون على وقتها المحبب لديهم، وكأنما هذه الصلاة قد فرضت عليهم فرضاً واجباً لما لها من أهمية قصوى في حياتهم، فهم لا يهنئون أنفسهم بنوم الليل إلا قليلاً لما يقويهم على أداء واجباتهم الأخرى، وإذا ما ناموا قاموا مذعورين خوفاً من فوات وقتها، وكأنهم قد فقدوا أعز ما يملكون، وقد قال الله تعالى في مثل هؤلاء: (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ).

إذ علينا أن نعزم على الإتيان بهذه الصلاة بإرادة قوية، لا إرادة ضعيفة متذبذبة، فإن الإرادة هي التي تتحكم في نفسك، فإن وجدت لنفسك هذه الإرادة وهذا العزم، فلن يمنعك النعاس ولم تمنعك الأهواء، بل سوف تصفى نفسك لخالقك، فتكون هذه العبادة من أحب العبادات إلى قلبك، حيث سينتابك ذلك الشعور الذي من المستحيل أن تتركه يذهب هباءً، وقد نبهت له لتغرف من ذلك الكنز الثمين.

أدعو الله العلي القدير أن يوفقنا لقيام الليل، وصيام النهار، وأن يجعلنا والمؤمنين والمؤمنات ممن يحب الله أن يراهم في أماكن عبادته، وأن لا يجعلنا من المحرومين المبعدين.

فلسفة وفضل صلاة الليل

ولمعرفة فلسفة وفضل صلاة الليل وأهميتها التقينا بسماحة السيد رشيد الحسيني الذي تحدث قائلا: (في الواقع الإنسان له جانبان جانب مادي وجانب معنوي، الجانب المادي يمشي ويسير فيه دون داعي لتوجيهه باعتبار أن حاجاته المادية تدعوه أن يتحرك، والحالة المادية باعتبار أن طبع الإنسان وفطرة الإنسان تجره إلى هذه الأمور فلا يحس بحاجة إلى هذا النحو من التوجيه.

حيدر الحلو

ولكن الجانب المعنوي أو الروحي باعتبار أن الإنسان يغفل في تربية الروح وفي نشأة الروح، ولذلك ترى أن الشارع المقدس يتكفل بأن يعطي للإنسان الأجواء للتربية الروحية، مثلاً عندما يشرع المولى الطلاق أو يشرع الصوم يكون تشريعه للصلاة يقول إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولما يأتي للصوم يقول يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام... لعلكم تتقون، فهذه الأجواء وهذه البرامج التي تدفع في بناء الإنسان إلى التقوى أو الانتهاء عن الفحشاء والمنكر، فيما يرتبط بالزكاة والحج في مسألة الحج إن الله لا ينال لحومها ولا دماءها ولكن ينالها التقوى منكم يظهر أنها قضية تقوى وصيانة النفس وصناعة الجانب المعنوي والروحي في الإنسان.

في الواقع الجانب المعنوي لأنه مغيب في حياة الإنسان وهو مغفول عنه، الله تعالى تكفل في إعطاء برامج وخطوط وسماها تكاليف شرعية. هذه التكاليف بعضها وجوب كما في الصلاة اليومية وصيام شهر رمضان والحج.. وبعضها باعتبار الإنسان بحاجة أكثر إلى التكاليف غير الوجوبية لما تعطيه من برامج روحية ولكن لا على سبيل الإلزام والتي تسمى بالمستحبات.

هذه المستحبات كثيرة؛ عندما يسأل السائل لماذا رب العالمين جعل قراءة القرآن وصلاة الليل والتصدق مستحبة يريد بها أن يزرع في الإنسان جانباً معنوياً، ولكن يجد الإنسان بأنه الجانب المادي هو المسيطر ولا يكتفي بهذا الجانب الوجوبي فيعطيه جانباً استحباباً يقول له يا أيها العابد قم وتهجد في جوف الليل المظلم واذكرني في آنائه، فلها من الوقع في

الدكتور جواد

النفس الإنسانية.

وفلسفة صلاة الليل إعطاء فرصة وإعطاء برنامج غير البرنامج الإلزامي للإنسان حتى يهيأ له مقومات التربية الروحية بشكل أكبر، وإن جانب العبادات الواجبة ينمي العبودية والتقوى وتنمي الخضوع والتربية الروحية.

ولكن صلاة الليل تلعب دوراً كبيراً في إعطاء دفعة جديدة وإعطاء خط جديد وبرنامج جديد للمؤمن المكلف حتى يتسنى له أن يربي نفسه تربية روحية أكثر.

البعد الروحي في صلاة الليل نبحثه من جانبين كيفيتها ووقتها، أما من جانب الوقت فهي من بعد منتصف الليل إلى طلوع الفجر فلما نأتي إلى هذه الحيثية حيثية الزمان نجد أن الله سبحانه وتعالى اختار زمانا مؤثرا جداً في توجه الإنسان من هدوء الناس وهم نيام وفي راحة وهو يجلس في ظلمة الليل وسكنة النفوس جميعاً إلا الوحوش والحيوانات والبشر والملوك والتجار والكل في رقاد وفي غفلة.

رب العالمين في هذا النحو يمنح فرصة للإنسان إذ قال له: قم في هذا الوقت وانفرد بي وكن معي، وهذه الفرصة فيها حيثية خشوع وانفراد، ولأن الوحدة جزءاً مهماً من التخلية الروحية والعاطفية بين العاشق المعشوق مع رب العالمين يكون أفضل للعشق الإلهي، كما في الرواية عَن الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع) أنهُ قَالَ: "كَانَ فيمَا نَاجَى اللهُ به مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ (ع) أَنْ قَالَ لَهُ: يَا ابْنَ عِمْرَانَ: كَذَبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُحِبُّنِي فَإِذَا جَنَّهُ اللَّيْلُ نَامَ عَنِّي، أَلَيْسَ كُلُّ مُحِبٍّ يُحِبُّ خَلْوَةَ حَبِيبِه، هَا أَنَا يَا ابْنَ عِمْرَانَ مُطَّلِعٌ عَلَى أَحِبَّائِي إِذَا جَنَّهُمُ اللَّيْلُ حَوَّلْتُ أَبْصَارَهُمْ عَنْ قُلُوبِهِمْ، وَمَثَّلْتُ عُقُوبَتِي بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ يُخَاطِبُونِّي عَنِ الْمُشَاهَدَةِ، وَيُكَلِّمُونِّي عَنِ الْحُضُورِ".

أما جانب كيفية صلاة الليل نجد في كيفيتها جانبا تربوياً عظيماً، إذ الاستغفار للمؤمنين في أثناء الصلاة والذي أراد الله تعالى بها أن لا تكون وحدك أمامه ودائما يكون تفكيرك في الآخرين والاستغفار لهم والتخضع إلى الله تعالى.

وعندما نتعمق في كيفية صلاة الليل نجد فيها مدرسة تربوية طيبة تخرج الإنسان من كونه أنانياً ليكون إنساناً عنده حالة جماعية وحب الجماعة في نفس الوقت وأن يكون دائماً يفكر في حب الخير للآخرين وفي نفس الوقت يستغفر الله ويطلب العفو منه، وهذه دفعة روحية كبيرة في زمانها وفي كيفيتها بشكل واضح.

أما معطيات صلاة الليل ففي الواقع هناك مجموعة روايات تؤكد أن صلاة الليل تجعل للإنسان مقاماً محموداً، والمقام المحمود هو من معطيات الآخرة، وعندنا روايات أخرى تبين أنه من صلى صلاة الليل فلا يحشر يوم القيامة إلا وضياء وجهه يضيء المحشر، هذه معطيات أخروية.

أما المعطيات الدنيوية فهناك روايات تقول كلما أصلح الإنسان ما بينه وبين الله أصلح الله بينه وبين العباد، فنجد في سورة المزمل توجيه كبير للنبي(ص) في أداء صلاة الليل، وهي واجبة عليه وإن كانت لنا مستحبة هذه من مختصات رسول الله (ص) صلاة الليل وقراءة القرآن في الليل، فنجد في سورة المزمل (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ❖ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا) ظهور في أن نفس صلاة الليل هي حالة ثقيلة على النفس وأنها تعطي للإنسان جانباً معنوياً مع الآخرين كما في رواية من أفصح سريرته لله أفصح الله علانيته للناس.

ومن الأسرار الباطنية لصلاة الليل أن فيها شيء من السرية، وهذه السرية هي الإخلاص لله تعالى في أعلى الدرجات، ونجد بعض الناس لم يعرف عنهم أنهم يصلون في الليل لأنه لا أحد يراهم، ولم يدّعوا ذلك إلى خوفاً من الرياء. فلذلك تبقى صلاته بينه وبين الله كصدقة علي بن الحسين (ع) لما وضع على صخرة المغتسل رأى الغسال على ظهره شيء من الأثر، وهذا في الواقع أثر الجراب الذي كان يحمله للفقراء ولا أحد يعلم بذلك لأنه كان متلثماً، هذه صدقة السر التي لها أثر كبير، كذلك صلاة الليل من آثارها الباطنية الكبرى إخلاص الإنسان المؤمن لله تعالى وقمع الرياء. ويقال أفضل الأذكار لا إله إلا الله كما ورد في الحديث الشريف لأنه ذكر خفي إذ لا يرى حركة الشفتين وتكون الحركة للسان فقط، وصلاة الليل من أفضل العبادات لأنها مأخوذ فيها جانب السر الخفي الذي يلعب دوراً كبيراً في زرع الإخلاص في الإنسان وإبعاده عن حالة الرياء.

عبد الله العصفور

وتحضير النفس في أداء صلاة الليل يبنى على عدة أمور: أولها القناعة إذ يكون في الإنسان أرضية واضحة وضوح بصيرة في صلاته. فكلما تعرف على فضائلها كلما ازداد التزاماً في أدائها.

فنضرب مثالا عند زيارة الإمام الحسين (ع) في ليلة الجمعة نذهب مرة باعتبار كل ليلة جمعة نزور الإمام (ع)، ولكن عندما نذهب للزيارة وقرأنا روايات في فضل زيارة أبي عبد الله(ع) فتكون زيارتنا مختلفة عن المرات الأخرى، لأنه كلما قرأنا في هذا الجانب وعرفنا فضل هذه الزيارة وآثارها المعنوية والدنيوية والأخروية يكون اشتياق أكثر، فإذا أردنا أن نلتزم ونهيئ أنفسنا لصلاة الليل فأنه يجب أن نعرف قدرها وفضيلتها، وهذا بمراجعة الروايات بين فترة وأخرى حتى يكون عنده شحنة معنوية وقوة دافعة في أدائها.

أما الأمر الثاني على الإنسان أن يصمم على أن يلتزم في أدائها. وهناك جوانب شرعية في الالتزام مثل أن ينذر لله عليّ أن أصلي صلاة الليل طول هذا العام من أول محرم هذا إلى أول محرم القادم، هذا نذر شرعي واجب الأداء، ربما أحد يقول إذا التزمت بهذا الشكل قد أفقد المعنويات يعني تكون عادية، فالإمام الصادق (ع) يقول: (لو تركوها لاستوحشوها).

فالحالة المعنوية في صلاة الليل تحتاج إلى مقدمات. منها أن يجلس الإنسان ولو للحظات قبل صلاة الليل يفكر في يومه وفي تقصيره أمام الله وفي ذنوبه ويفكر ما جعل الله تعالى للعاصين وما أعد للمؤمنين، هكذا يزداد خشوعاً وانكساراً واشتياقاً لله تعالى.

والأمر الآخر أن يوجد لنفسه مجموعة من الأجواء أو العوامل التي تساعده في الالتزام كأن يتفق مع صديقه على أن يدعم أحدهما الآخر في هذا الاتجاه أو كأن يوجد نذرا أو قسما معينا وما إلى ذلك حتى يكون هناك التزام طول الخط.

مشكلة وحلول

بعض الأخوة يواجهون بعض المشاكل الروحية عند أدائهم صلاة الليل ومن هذه المشاكل أن أحد الأخوة يقول فيما مضى أقوم لصلاة الليل وأنا أعيش حالة اللذة والأنس مع رب العالمين ولكن فقدتها منذ فترة، فهل هناك ذنوب منعتني عن قيام الليل أم إني لم أعرف قدر التوفيق في قيام الليل؟

سماحة السيد رشيد الحسيني: في الواقع أنا أعتقد أن الأخ عنده مشكلتان. الأولى أنه لم تكن لديه معلومات ولم تكن له خلفية في معرفة صلاة الليل وناشئتها فأدعوه إلى أن يراجع الآيات القرآنية الكريمة في هذا الاتجاه والروايات والأحاديث عن النبي (ص) وأهل البيت (ع) حتى تجعل لنفسه

أرضية ووضوح لهذا العمل الذي يؤديه، فلذلك لابد من المراجعة المستمرة في قراءة الروايات والأحاديث التي تدل على فضيلة صلاة الليل.

عبد الله العصفور يقول عندما أقوم في جوف الليل للصلاة والدعاء والمناجاة والتوجه إلى الله تعالى لا أجد تفاعلاً مع المعشوق مما يدعوني إلى ترك أداء الصلاة، فما هو الحل الذي يقربني في أداء الصلاة؟

السيد الحسيني: أولا أدعوه أن لا يترك العمل لأن الشيطان يدعوه بذلك فحتى لو صليت صلاة الليل دون لذة وتوجه أبق عليها لأن إبقائك عليها أفضل من تركها، والشيطان يدعوك لتركها إذ سلب عنك الخشوع وبين لك أن صلاة الليل وجودها وعدمها واحد، فلذا يجب عليك الالتزام بهذه الحالة، ولكن حاول أن تستكشف النقاط أو العوامل التي جعلت صلاة الليل بالنسبة لك جوفاء أو خالية عن الخشوع، أعتقد أن من العوامل المهمة أن هناك أخطاءً وذنوباً ترتكب، ورب العالمين يجعل لتلك الذنوب آثاراً وضعية.

ويسأل شخص آخر عن أفضل الأوقات في أداء صلاة الليل وكيفية أدائها من وقوف أو جلوس؟

سماحة السيد رشيد الحسيني: الواقع عندنا روايات تشير إلى أن كلما أقترب الإنسان من الفجر تكون فضيلة صلاة الليل أكثر، فإذا قام ورأى أنه لا يوجد هناك وقت يتسع إلى أحد عشر ركعة فالفقهاء يقولون يكتفي بالشفع والوتر فإنه على كل حال يحصل على أجر صلاة الليل كلها حتى لو أذن المؤذن ودخل الوقت أيضاً يستمر في صلاته.

ومن الناحية الشرعية كمسألة فقهية صلاة الليل وكل المستحبات من الصلوات الأخرى يمكن للإنسان أن يؤديها بأي كيفية، يمكن أن تكون تحت الغطاء وأنت جالس تصليها أو أنت ممد الرجلين إيماءً، بعض الأخوة فلاحون في الليل يعملون ويسقون الزرق فيستطيعون أن يتوضئوا وهم يسقون الزرع أو وهم يحرثون أن يصلوا صلاة الليل وهم ماشون، يعني حتى ولو لم يكن استقبالاً أو لم يكن وقوفا فانظر هذه الرحمة والسعة والتساهل من رب العالمين، حسب الرواية من تقرب إليَّ شبراً اقتربت إليه ذراعاً.

وأنا أدعوا إخواني المؤمنين وأخواتي المؤمنات وأقول لهم بقدر التحديات التي نواجهها لابد أن تكون لنا مقومات بقاء، مثلا الدولة التي لها عشرون عدواً لابد أن يكون لها جيش وقوة تتناسب مع أعدائها والدولة التي لها عدو واحد قوتها العسكرية تتناسب مع العدو الواحد، نحن في هذا الزمن والجيوش الشيطانية مجيشة بشكل كبير جدا، الانترنت، الموبايل، والفيس بوك، والعلاقات الاجتماعية، والاختلاط في الجامعات، والإعلام المزين للشيطنة، والموسيقى، والستلايت، هذا الزخم والهجوم الكبير جداً من جانب الشيطان لما تكون قوى الشر وقوى الشيطان قوة كبيرة فلابد أن نتسلح بتناسب مع تلك القوة وهذا لا يتناسب فقط مع صلاة الصبح ولا يتناسب في صوم شهر رمضان ولا يتناسب بأداء الواجبات، نحتاج إلى أن نتسلح وكلما تسلحنا نستطيع أن نقاوم. وشبابنا وشاباتنا في الجامعات كلما حاولنا أن نقوي الجانب المعنوي نستطيع

أن نقاوم، كلما حاولنا أن نقوي علاقتنا بالله ليلاً نستطيع أن نقاوم الشيطان نهاراً. فتعالوا أحبتي لنتوجه إلى المستحبات، زيارة الحسين (ع) وزيارة أمير المؤمنين (ع) والذهاب إلى مسجد الكوفة، وصلاة الليل هذه المستحبات أنا أعتقدها جملة من القوة التي ترهب الشيطان (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ).

الأسرار الطبية لصلاة الليل

إن لأسرار حركات الصلاة دورها في صحة جسم الإنسان ووقايته من أمراض عديدة، فقد بين الطب الحديث أن هذه الحركات خير تمرين لعضلات ومفاصل الظهر والرجلين وخير وقاية من إصابات العمود الفقري، فمجرد عمل حركات الصلاة من ركوع وسجود وإعادة ذلك عدة مرات وكذلك جلوس التشهد فإن الإنسان يشعر بحرية الحركة بعد الصلاة، هذا ما بينه لنا الدكتور جواد صادق اختصاص عام مقيم في بريطانيا قائلاً: إن الركوع يعمل على تقوية عضلات جدار البطن ويساعد المعدة على تقلصها، ومن ثم على قيامها بوظيفتها الهضمية كما يسهل على الأمعاء أن تدفع بالفضلات الهضمية بصورة طبيعية.

إن وضع الجلوس للتشهد من أفضل أنواع التمرينات الوقائية لحالات جلطة أوردة وشرايين الساقين، فأثناء اتخاذ هذا الوضع نلاحظ الإنثناء الكامل لمفصلي الركبتين مع ضغط ثقل الجسم كله فوق المقعدة التي يضغط بدورها على جميع عضلات الساقين، حيث يتم تفريغ الدم الزائد من أوردة وشرايين الساقين مما يؤدي إلى التخلص من حالات الإحتقان الدموي.

إن ثني الركبتين لآخرهما يفيد من منع تصلب مفصلي الركبتين، أما ثني الجذع ووضع الجبهة على الأرض تعتبر من أهم الحركات في عمل نوع من التدليك الذاتي للمعدة والجهاز الهضمي مما يساعد على عملية الهضم ويمنع الإمساك.

إن للسجود أثراً حسناً على الأوعية الدماغية، وعلى وظائف الدماغ من تفكير وإبداع، فكلما كانت حالة الأوعية الدماغية جيدة كان وارد الدماغ إليها من الغذاء والأكسجين مع الدم جيداً.

وهنالك أبحاث أجراها علماء الطب في بعض من دول العالم والتي أشارت إلى أن قيام الإنسان في الليل والقيام ببعض الحركات الرياضية لهُ تأثير مباشر على الجهاز العصبي إذ أنه يزيل التوتر ويهدئ النفس ويشفي الإنسان من اضطراباته، بل ويعتبر أفضل علاج للأرق الناتج عن الاضطراب العصبي، إذ هذه الحركة الرياضية والمتمثلة بصلاة الليل تعمق الإيمان واليقين بالله تعالى، ولها دور مؤثر في ضعف جهاز المناعة ضد مواجهة الأمراض.

النجاح الحقيقي

قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): هذه ست خصال تحتاج إلى ست خصال:

إذا أردت أن يحبّك الله فخفه واتّقه.

وإذا أردت أن يُحبك المخلوقون فأحسن إليهم وارفض ما في أيديهم.

وإذا أردت أن يثري الله مالك فزكّه.

وإذا أردت أن يصحّ الله بدنك فأكثر من الصوم.

وإذا أردت أن يطيل الله عمرك فصل ذوي أرحامك.

وإذا أردت أن يحشرك الله معي فأطل السجود بين يدي الله الواحد القهّار.

الإعلامي المتخصص في القران الكريم السيد قاسم الحلو:

طرحت عبر مؤتمرات التلفزيونات والإذاعات قضايا الوصول إلى إعلام قرآني متميز إلا إنه لم يجد طريقه للتفعيل

حوار: علي الوائلي

الحديث عن الإعلام القراني في وسائل الاعلام العراقية المختلفة يكاد لا تتجاوز الافتتاحية وقبيل الاذان وبعده وبرامج بسيطة ومكررة بعضها متخصصة وبعضها الآخر جماهيرية لكنها تجارب مستنسخة من هذه القناة وتلك أو هذه الإذاعة أو تلك.

السيد قاسم الحلو باحث في الفكر القراني وإعلامي متميز في نشر المفاهيم القرآنية وناشط في مختلف المنتديات والملتقيات القرانية المحلية والدولية له تجربة مع العديد من القنوات الفضائية والاذاعات الاسلامية في برامج قرآنية حاورته (نقطة) لمعرفة إلى أي المراحل التي وصل لها الإعلام القرآني المعاصر في العراق.

بعد مرور سنوات عدة على الانفتاح الكبير للمؤسسات القرآنية على الإعلام، كيف تصفون الواقع الإعلامي للقرآن الكريم في العراق (المرئي والمسموع والمقروء)؟

خطى الإعلام القرآني في العراق خطوات وئيدة ومتواضعة نتيجة الظروف التي مر بها العراق والتي ألقت بظلالها على كل المشاهد ولم يكن للإعلام أن ينأى بنفسه عنها وإن حاول جاهداً إلا أنه بدأ المسيرة بخطوة منتظراً الفرصة لانطلاق أقوى وللإعلام المسموع الحظ الأوفر والشوط الأكبر ـ نسبياً ـ كما أن السنتين الأخيرتين شهدتا حضوراً بارزاً لبرامج تلفزيونية متعددة متنوعة في مجال تلاوة القران الكريم خاصة، أما الإعلام القرآني المقروء فما زال غائباً أو مغيباً باستثناء بحوث تكتب لذوي الاختصاص الدقيق وصحف تنشر لغير قرائها ومنشورات هنا وهناك لا تعدو كونها اجترارا لمفاهيم مستهلكة لا تزيد قارئها ـ أن كان ـ إلّا نفرة من قراءة كل ما يكتب واكرر أن جملة الأوضاع تؤثر في الجملة.

هل الإعلام القرآني هو إعلام ما يزال في طور البدء ولماذا لا يشهد تطور، وما هي الخطوات الكفيلة للانطلاق بمستوى يرتقي ومكانة القرآن الكريم؟

للإعلام القرآني دور كبير في تحقيق أهداف الإعلام إلا أنه لما يأخذ دوره بعد فهو بحاجة إلى نقلة نوعية وانعطافة تغير مساره ولا يكون ذلك إلا بارتقاء الإعلام ككل وتصدي أناس ذوي همة عالية ومعرفة بالواقع والهدف وإفادة من ذوي الخبرة فيما يتحركون فيه من مجالات؛ بعبارة أخرى يحتاج الإعلام القرآني إلى رجوع للقران الكريم نفسه والاسترشاد به فيما يريده من وسيلة وغاية.

هل لكم أن تطلعونا على ذلك إجمالا ؟

القران الكريم يذكر مرارا ويذكّر تكرارا أن غايته المنشودة وهدفه المتوخى هداية العباد لحياة تضمن مصالحهم وسعادتهم وإصلاح حالهم وبالهم (سيهديهم ويصلح بالهم) يذكرهم بالخير ويقربهم منه ويزيل العوارض لإفاضة ما يحتاجون إليه في كل جوانب حياتهم من رحمة (يا أيها الناس قد جائكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) ويخرجهم من ظلمات الجهل والفرقة والفقر ونحوها إلى النور (وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) فتنفتح عليهم بركات من السماء والأرض ويأكلون من فوقهم ومن تحت أرجلهم فيكون لهم شرفاً وذكراً وتدين لهم الأمم لتأخذ منهم تجاربهم الناجحة (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ).

والذي يراه القران الكريم من الوسائل النافعة والطرق الناجعة لتحقيق تلك الأهداف السامية ـ حسب قراءتي المتواضعة وبما ينسجم والاختصار المرجو ـ أن يتحلى إعلامه بالصدق (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً)، والوضوح (قَد بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)، والشمولية (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ)، والتلطف (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى)، وتحري سبل البلوغ (وَقُل لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغاً)، وتنوع الأساليب (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ)، والأخذ بآداب الدعوة والتبليغ (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)، والاهتمام بالشكل كالاهتمام بالمضمون كما عليه القران الكريم بكل آياته، ولذا قدم مفاهيمه الغالية ومعارفه العالية بأساليب مختلفة كقصة ومثل واستفهام وتكرار وغيرها ذلكم ما يريده تعالى (فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ)

ما هي الأسباب التي تقف دون تطور الإعلام القرآني في وسائل الإعلام ؟ هل هي (تقنية أم فنية أم أن هناك صعوبة عرض المواد أم أن المشكلة باتت تتعلق بالمتلقي؟

اشرنا إلى أن تردي الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية

ألقت بظلالها على الإعلام ثم إن الإعلام القرآني في غير العراق وإن بدأ حركته قبل العراقي بفترة إلا أنه لم يصل للمستوى المرجو ليحاكيه العراقي ويبني على مرتكزاته، ولا يخفى على أحد ما عليه أكثر الناس من عزوف عن الدين بقدر انشغالهم بالدنيا (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ❖ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) فالمشكلة في الفاعل والقابل، فالإعلام بحاجة إلى تفعيل آليات جديدة لتسويق ما عنده من أرث عظيم، وليس الأمر بمتوقف على مجرد ذلك، فإن لم تكن للمتلقي رغبة في الإفادة وإن ترفع عن قبول الحق فلا ينفعه البتة حتى وأن كان الداعي مثل النبي الأعظم (ص) والمدعو إليه مثل القران العظيم (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا (٤٥) وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا)

هل هناك أوجه إعلامية متعددة لعرض القران الكريم عبر وسائل الإعلام؟

تتسبب بعض وسائل الإعلام بنفرة الناس عما يطرح من المعارف القرآنية على جلالتها وأهميتها بسبب أساليب الطرح فالانجماد على طرق تقديم المادة الكلاسيكية ينتج نتائج سلبية ولا أنسى قول أحد أولادي حينما أبحث في جملة من فضائيات عن برنامج نافع إذ قال أرجوك يا أبي أن لا يكون برنامجاً يتكلم فيه شيخ لنفسه، فبدى أن أثقل شيء عنده أن لا يراعى الأسلوب في طرح المادة وأن لا تهتم القناة في تقديم ما تريد إيصاله بوسائل متعددة كحوار بين مجموعة أو جولة في شارع أو تغير في ديكور أو نحو ذلك وللأسف هو ما نراه في فضائياتنا حديث يلقى ربما مباشراً وعلى نسق واحد بلا اعتبار لما قد يسببه ذلك من ملل أو نفرة كذلك في الإذاعات فما أجمل وانفع أن تقدم المعلومة كجواب لسؤال مشوق ومن صوت محبب وبطرح مبسط وعلى سبيل المثال قدمنا لبعض الإذاعات ومنذ خمس سنوات دراما قرآنية ومن نوع جديد غير مسبوق تجسد القران الكريم وتحركه في الأوساط الإنسانية كافة يجيب السائل ويسأل المقابل ويعترض ويخطئ ويصوب ويوضح في محاولة لاستنطاق القران بأسلوب عصري بسيط يقربه من الأذهان ويكشف مراداته ويجمع بيناته ويزن الأمور به إلا أنها لم تلق ترحيباً ـ وكالعادة ـ ولا رفضاً أو تعليقاً أما بالنسبة للصحف والمنشورات فلم تعد أكثر من تجزيء لكتب وجعلها في فصول على أعداد متعددة وكأن الكاتب يرى انه نفسه هو القارئ فحسب ولا يجعل نفسه في مقام المتلقي ويستقرأ ـ إجمالاً ـ حالات وظروف المتلقين.

ثم القران الكريم بحر زاخر ومعين لا ينضب لكل أن يغترف منه بقدره ويستخرج من لآلئه ما بوسعه (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا) فللقران الكريم مستويات يمنحه العالمية والخلود وله جهات تفتح أبوابا على باحاته الكبيرة ورياضه النظرة وينبغي أن يكون لمتلقيه سلالم تمكنه من اجتناء شيء من جناه... والذي نأخذه من القران الكريم ككتاب علم وعبادة وجمال قراءته وفهمه وحفظه فهي الجهات التي ينبغي أن تجعل غاية نسعى إليها بكل ما أمكن من سبل تؤدي إليها.

من خلال تجربتكم مع مؤسسات إعلامية متعددة كيف تصفون تجربتكم في الإعلام القرآني؟ وما هي أسرار النجاح أو الإخفاقات إن حدثت هنا أو هناك؟

لمسنا في العاملين في وسائل إعلامنا الإخلاص والجدية مع ضعف الإمكانات وقلة في الخبرة عند الكثيرين مما يجعل باب الأمل في الوصول إلى إعلام قرآني متميز مفتوحاً وقد شاركنا بعض مؤتمرات التلفزيونات والإذاعات الإسلامية وطرحت قضايا مهمة في سبيل الوصول إلى ذلك إلا إنها بقيت كوصايا لم تجد طريقا للتفعيل والتنفيذ...

ماذا يريد المتلقي من خلال تجربتكم من هكذا برامج متخصصة؟

المتلقون صنفان، منهم ذوو الاختصاص يطلبون المعرفة والعلم ولا يضرهم كثيرا كيفية وقوة إيصالها ومنهم من ليس كذلك، وفيهم من إذا عرف محاسن الكلام اتبعه وفيهم كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة، وفيهم من عنده المادة القرآنية المطروحة وغيرها سيان يجذبه منها أقواهم تأثيراً وأحسنهم أداء وفي ظل ما نشهده من تفنن في التسويق وتخصص دقيق في شتى المجالات الإعلامية يريد المتلقي للمادة القرآنية أن تقدم إليه كما يقدم إليه غيرها أن لم تكن أقوى كي تنتزعه من غيرها إليها كما يريد من يرفع عنه عبء تنزيل المفاهيم العامة على مصاديقها. فلا بد من بيان الحكم بشيء من تفاصيله مع ذكر بعض موارده، وإلا يعود الطرح للصنف الأول من المتلقين المستغنين أصلا عن الموضوع.

هل يتم عرض القران الكريم من خلال مادة التجويد أو الترتيل أو التفسير أم أن هناك مجالات أخرى يمكن أن يستفاد فيها الإعلام في تناوله للقران الكريم؟

غاية القران وهدفه هداية البشر وإصلاح وضعه وإرجاعه إلى ربه وحماية فكره وقلبه من أعداءه الذين يحومون حوله منتهزين فرص الغفلة، هذه الغاية تتحق بمعرفة القران الكريم الضامنة لفهم الغاية وسبل الوصول إليها، ومن هذه السبل نفس قراءة الآيات التي تبعث على الطمأنينة وتنتج صفاءً روحياً وتشرح الصدر لتملأه بالنور القاشع لظلمات الطريق الوعر فتفسير القران الكريم وإفهام مراداته وإقراءه والحث على كل ذلك هو مجالات الإعلام القرآني الرحبة.

ما هو الفرق بين الإعلام القرآني لدى المؤسسات الإسلامية الإقليمية عن الإعلام القرآني المعروض من مؤسساتنا العراقية؟

ما زال الإعلام القرآني عموما دون المستوى أما في العراق فان العاملين القرآنيين فيه يتحلون بهمة عالية وإمكانية كبيرة إلا أن الحركة ما زالت في بدايتها كما أنهم بحاجة إلى الإفادة من تجارب الآخرين لتطوير مهاراتهم وإثراء ساحتهم فيختصرون الطرق للوصول إلى الأهداف المنشودة.

هل يمكن أن تنجح الدراما القرآنية لإيصال الفكر القرآني من خلال محاورات درامية أو تمثيليات أو حتى مسرحيات؟

يقينا التفكير في أساليب طرح جديدة أمر ضروري وأسلوب القصة من أبرز أساليب القران الكريم لما فيه من توضيح المفاهيم وتقريبها للواقع مما يميل إليه أكثر الناس إلا أن بعض وسائلنا الإعلامية تتحرى طرقا سهلة وتتجنب ما يحتاج إلى مؤنة زائدة.

نسأل الله تعالى أن يوزعنا شكره ويلهمنا ذكره وان يعيننا على نشر دينه وخدمة كتابه شرفنا وعزنا الذي نسأل عنه غداً.

(وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ).

الإعلام بحاجة إلى تفعيل آليات جديدة لتسويق ما عنده من ارث عظيم

ما أجمل وانفع أن تقدم المعلومة كجواب لسؤال مشوق ومن صوت محبب وبطرح مبسط

نهج البلاغة والمعاصرون

الباحث السيد هادي عيسى الحكيم / النجف الاشرف

نهج البلاغة عند العلماء والمفكرين والأدباء أحد الذخائر الإسلامية الكريمة بعد كتاب الله والسنة النبوية ومن كنوز الإسلام النفيسة التي لا تضاهى فهو بحق تراث غني معطاء، كان ولم يزل مصدراً للبيان العربي وطاقة ضخمة حية تمد أدبنا العربي بالأسلوب والروح والحياة والفكر لا يجد الأديب والمفكر بدّاً من الورود على حوضه المترع. وقديماً استعان به كبار العربية لأدبهم وتفكيرهم كعبيد الله بن المقفع وعبد الحميد الكاتب وابن نباتة وأحزابهم من الكتاب والبلغاء والأدباء، فأكسبهم هذا الخصب في بيانهم وأسلوبهم وأدبهم، ومن المجمع عليه أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) أرحب الصحابة باعا في البلاغة والبيان وأقواهم منطقاً وأسطعهم حجة، وكان يؤاتيه الكلام، ويذلل له القول وتنقاد له أسباب الحجة دون تكلف حين يرد، وعلا كلامه (ع) إشراقةٌ سمحة من روح القرآن وعبقه ندية من عبقات النبوة وفي كل كلامه الخطب والرسائل وسواهما من فرائد الحكم وشوارد الكلم، وعلى ضوء كلامه سار البلغاء، من معينه صدر الفصحاء وقال عبد الحميد الكاتب المقتول سنة ١٣٢هـ (حفظت سبعين خطبة من خطب علي بن أبي طالب ففاضت ثم فاضت).

وقال ابن نباتة المتوفى سنة ٣٧٤هـ (حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيده الإنفاق إلا إلى سعة حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن أبي طالب).

وقال الأستاذ حسين السندوجي إن عبد الله بن المقنع المتوفى سنة ١٤٢هـ تخرج في البلاغة على، خطب الإمام علي ولذلك يقول: (شربت من الخطب رياً ولم أضبط لها روياً ففاضت ثم فاضت فلا هي نظام وليس غيرها كلاماً).

وقد كان كلامه (ع) ملك قلوب العلماء والمفكرين والأدباء وملك أسماعهم وأبصارهم استهوتهم روائقه وسحرتهم أساليبه وألوانه فوصفوه بما يدل على بعد أثره فيهم وإعجابهم به، ونهج البلاغة سجل حافل بعناصر تاريخية واقعية تمد الباحث والمؤرخ بالحقيقة ويمثل كذلك سائر الشيعة واتجاهاتهم المذهبية الرئيسية تمثيلاً صريحاً واضحاً ومكانة أهل البيت(ع) وعصمتهم والتوحيد وتنزيه الخالق وصفاته والعدل والجبر والاختيار وبخاصة حول الخلافة.

لقد حظي كلام أمير المؤمنين (ع) وخطبه بعناية العلماء والأدباء قبل عصر الرضي فعكف فريق منهم على جمع شوارده ونظم فرائده حتى تألفت من ذلك مجاميع كثيرة. قال المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦هـ في كتابه مروج الذهب والذي حفظ الناس من خطبه في سائر مقدماته أربعمائة ونيف وثمانين خطبة يوردها على البديهة وتداول الناس ذلك عنه قولا وعملا روى السبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص عن الشريف المرتضى وقع إلى من خطب أمير المؤمنين (ع) أربعمائة خطبة إلا أن هناك جماعة من العلماء والأدباء عكفوا على جمع كلام الإمام (ع) قبل أن يخلق الشريف الرضي، وقد ذهبت هذه المجموعات مع الزمن كما ذهب سواها من تراثنا العربي وبقيت أسماؤها.

وأذكر ممن أشار إلى نهج البلاغة إشارة عامة ابن النديم والنجاشي والطوسي وياقوت الحموي وحاج خليفة وآغا بزرك الطهراني والسيد محسن أمين العاملي، وأعجب جهابذة المعاصرين من الأدباء والشعراء والكتاب وكبار الباحثين بنهج الإمام، منهم الشيخ محمود شكري الآلوسي والشيخ ناصيف اليازجي والدكتور زكي مبارك والأديب اللبناني أمين نخلة وعباس محمود العقاد ومحي الدين عبد الحميد، وكثير ممن أثروا البناء على الهدم وحرروا عقولهم من التقليد لدعاة الشك في التراث الإسلامي الخالد، وقد اعتنى العلماء والأدباء بشرحه وتفسيره والتعليق عليه، وكتبت عليه شروح كثيرة وآخرون تخصصوا في إحصاء المصادر والمراجع حتى كانت كتبهم عن هذا السفر الجليل أشبه بدوائر معارف عامة وفهارس منظمة تعين الباحثين على توثيق ما ورد في نهج البلاغة من نصوص خطبا كانت أو رسائل أو مواعظ وحكم، وقد اعتنى بجمع كلامه بعض المتقدمين على الشريف الرضي منهم أبو الحسن علي بن محمد بن علي المدائني المتوفى سنة ٢١٥هـ له كتاب وخطب ذكره ابن النديم في الفهرست، وهشام بن محمد السائب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٦هـ له كتاب وخطبة علي ذكره ابن النديم في الفهرست وجاء الشريف الرضي فاختار من خطبه ومراسلاته وحكمه وكلامه في المواضيع الكثيرة في ضمن مجموعة أسماه (نهج البلاغة) ورتبه وبوبه بعناوين ووضع كل كلمة اختارها في موضعها المختص بها، والشريف الرضي نفسه لا يدعي أنه جمع كل ما نسب إلى الإمام وإنما اقتطف من كلماته مختارات جمعها في هذا الكتاب (نهج البلاغة).

ونهج البلاغة بما له من هذه المكانة وأثره البعيد في الأدب العربي فقد شك فيه جماعة من المؤرخين من قدامى ومحدثين في نسبة ما في النهج إلى الإمام علي بن أبي طالب (ع)، بل تجاوز بعضهم إلى القول بأن جميع ما فيه أو بعضه على الأقل منحول موضوع على الإمام، وأنكروا الصلة بين نهج البلاغة وبين الإمام كلاً أو بعضا متذرعين بأسباب عديدة، وابن خلكان (شمس الدين) المؤرخ المتوفى

سنة ٦٨١هـ أول من عرفناه من هؤلاء الشاكين والمنكرين، ثم تبعه ابن تيمية في كتابه منهاج السنة المتوفى سنة ٧٢٨هـ، والذهبي صاحب ميزان الاعتدال المتوفى سنة ٧٤٨، واقتفى أثرهم جماعة آخرون كاليافعي في تاريخه المتوفى سنة ٧٦٨هـ، والصفدي المتوفى سنة ٧٦٤هـ، كما اقتفى أثر هؤلاء جماعة من المحدثين أمثال جرجي زيدان في كتاب آداب اللغة العربية، وأحمد أمين في كتابه فجر الإسلام، ومحمد كروعي عضو المجمع العربي السوري في كتابه الإسلام والحضارة العربية، وأحمد حسن الزيات في تاريخ الأدب العربي، ومحمد سيد كيلاني في كتابه أثر التشيع في الأدب العربي، وطه حسين، وربما نأخذ بعض العذر لطه حسين بالذات لأن منهج الشك في شيء يمتّ إلى التراث استولى حتى على مشاعره، وأصبح جزءاً لا يتجزأ من فكره وأسلوبه التهكمي الساخر. ولا يزال المعاصرون يخوضون في بحار شكهم في نسبة هذا السفر العظيم إلى الإمام أمير المؤمنين الذي لقبه النبي الكريم بلقب (أنا مدينة العلم، وعلي بابها)، ولا يعلم الا الله ما سينهي إليه منهج الشك في التراث الإسلامي.

لنقف على حقيقة أقوالهم وآرائهم حول نهج البلاغة. قال ابن تيمية في كتابه منهاج السنة: (إن أكثر الخطب التي ينقلها صاحب نهج البلاغة ـ يقصد بذلك الشريف الرضي ـ كذب على علي، وعلي (رض) لأجل وأعلى قدراً من أن يتكلم بذلك الكلام وهذه الخطب المنقولة في نهج البلاغة لو كانت كلها عن علي من كلامه لكانت موجودة قبل هذا المصنف ـ أي نهج البلاغة ـ منقولة عن علي بالأسانيد)، ويقول محمد كرد علي عضو المجمع العربي السوري ومن ذلك نهج البلاغة الذي ألفه الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) روى فيه خطباً وكلاماً يستحيل أن يقوله ومنه ما لا يصدر عن عربي من أهل الصدر الأول من الإسلام، لأن فيه ألفاظاً من مصطلحات القرن الثاني والثالث، ويقول احمد أمين ونسبوا إليه ما في نهج البلاغة وهو يشتمل على كثير من الخطب والأدعية والكتب والمواعظ والحكم وقد شك في مجموعها النقاد قديما وحديثا كالصفدي وهوار واستوجب هذا الشك أموراً وما في بعضه من سجع منمق وصناعة لفظية لا تعرف لذلك العصر كقوله (وأكرم عشيرتك فإنهم جناحك الذي به تطير وأصلك الذي إليه تصير) وما فيه من تعبيرات إنما حدثت بعد أن نقلت الفلسفة اليونانية إلى العربية، ويقول احمد حسن الزيات في كتابه تاريخ الأدب العربي والصحيح إن أكثر ما في هذا الكتاب أي نهج البلاغة منحول مدخول لأن كثيراً من أرباب الهوى يقولون إن كثيراً من نهج البلاغة كلام محدث صنعه قوم من فصحاء الشيعة وربما عزوا بعضه إلى الشريف الرضي وغيره وهؤلاء قوم أعمت العصبية أعينهم فضلّوا عن النهج الواضح، ويبدو أن الشك في نهج البلاغة أو دعوى أنه منحول ليس بجديد بل إنه كان حتى قبل عصر شارح النهج ابن أبي الحديد في أوائل القرن السابع الهجري. ومن أسباب الشك في نهج البلاغة دعوى أنه منحول كله أو بعضه وأن النهج قد ضم بين دفتيه ٨١٨ ما بين خطبة وكلام وكتاب ورسالة وحكمة وموعظة وأن هذا المقدار الضخم يتعذر حفظه ولا سيما أنه لم يدون إلا في العصر العباسي، وكان العرب يمتازون بما يحفظونه من الآثار الجاهلية من شعر وكلمات وخطب وتاريخ من قبل الإسلام من أيامهم وغاراتهم ووقائعهم وسواها من الآثار التي كانوا يتلقونها خلفا عن سلف والتي اعتمد عليها الرواة والمؤرخين في عصر التدوين وكانت تلك هي المصادر الأساسية لنا في التاريخ والأدب، ولولا ذلك لضاع علينا تاريخ حقبة مترامية الأطراف بجميع ما فيها من تراث كبير (وأغلب المشككين في الخطبة الشقشقية وهي أهم ما ورد في نهج البلاغة لكثرة طرقها ولأنها مروية في أكثر من مصدر قبل أن يؤلف الشريف الرضي كتابه، وقد وردت في مختلف الكتب بشيء من الاختلاف في مضامينها مع المحافظة على الأسس العامة لمحتوياتها في الجميع ومثل هذه المضامين مما تقتضيها طبيعة ظرف الإمام وما أكثر ما نقد الصحابة بعضهم بعضا) مقالة مخطوطة. محمد تقي الحكيم، وأما بالنسبة إلى ما يشم في بعض فصوله من علم الغيب والأخبار عن مستقبل الأمور فما يبعد بعلي عن ذلك بعد صحة صدوره عن الرسول الكريم وهو باب مدينة علمه والخصيص وموضع سره وأفضل من تخرج عليه، وقد تواتر عن النبي من مضمون أعلميته وأفضليته وعمق مكانته واعترف بذلك أحرار الأفاضل من الناس، فقد قال أبو نعيم الأصفهاني في كتابه حلية الأولياء: هو باب مدينة العلم والعلوم ورأس المخاطبات ومستنبط الإشارات وآية المهتدين ونور المطيعين وولي المتقين وإمام العادلين أقدمهم إجابة وإيماناً وأقومهم قضية وأعظمهم حلما وأوفرهم علما علي بن أبي طالب وروى في حقه حديث (أنا دار الحكمة وعلي بابها) وعن النبي (ص) من انه سئل عن علي فقال قسمت الحكم عشرة أجزاء فأعطيت علي (ع) تسعة أجزاء والناس جزءاً واحداً.

وأنه (ص) قال يا علي أخصك بالنبوة ولا نبوة بعدي.. هذه المضامين في طبقات ابن سعد وتذكرة الخواص وذخائر العقبى والكثير من هذه المضامين تناقلتها الكتب بسند أو بغير سند، ومن هؤلاء الأستاذ امتياز علي في كتابه إسناد نهج البلاغة والأستاذ حسن بستانة في بحثه عن الشبهات الحائمة حول النهج الذي نشرته مجلة الاعتدال النجفية والسيد هبة الدين الشهرستاني في كتابه ما هو نهج البلاغة والشيخ محمد حسن آل ياسين في كتابه نهج البلاغة لمن والشيخ هادي كاشف الغطاء في كتابه مدارك نهج البلاغة والسيد عبد الزهرة الخطيب في كتابه القيم مصادر نهج البلاغة وأسانيده. أثار نهج البلاغة اهتمام المفكرين والأدباء وأستهوتهم صوره البيانية الرائعة وثروته الفكرية الفنية وهيمنت على مشاعرهم ثروته الروحية والدينية وعاشوا معه في مناخ إسلامي نقي. ومن اجل ما احتواه نهج البلاغة من حقيقة دينية واجتماعية ومن لمحات مشرقة عن الحياة والكون والإنسان ومن رؤية واضحة واعية لما بعد الحياة وما إليه كل ذلك دفع الباحثين والعلماء إلى دراسته والاستفادة منه وعكفوا على شرحه وتفسيره على اختلاف نزعاتهم ومذاهبهم وعلى اختلاف اختصاصاتهم وقدراتهم الثقافية لأنه كنز من كنوز المعرفة الإسلامية والإنسانية، فكان من شارحيه المعتزلي والاشعري والحنفي والشافعي والشيعي والزيدي وغيرهم. وقد أربت شروح نهج البلاغة على سبعين شرحا منذ عصر الشريف الرضي إلى اليوم. ومن شروحه التي طبعت شرح ابن أبي الحديد المدائني المعتزلي المتوفى سنة ٦٥٦هـ وشرح كمال الدين ميثم البحراني المتوفى سنة ٦٧٩هـ وشرح حبيب الله الهاشمي المتوفى سنة ١٣٢٤هـ والشيخ محمد عبده المصري. وأبرز هذه الشروح شرح ابن أبي الحديد. ويرجع ذلك إلى طاقة الشارح الضخمة في الثقافة والفكر والأدب وإلى ما كان يتمتع به هذا الشارح من حس أدبي وعلمي فريد، الأمر الذي جعل هذا الشرح أكثر فائدة وأعم نفعاً، مع ذلك فإن هذه الشروح جميعها تمثل روح عصرها الذي وضعت فيه، ولشراح النهج عذرهم ومبرراتهم في ذلك. فهم قد رسموا في شروحهم صورة عن ذهنيات عصرهم في كثير من فصول شروحهم، ومن أسباب الشك هو علم الإمام بالمغيبات كقوله (ع) في وصف الأتراك كأني أراهم قوماً كأن وجوههم المجان المطرقة.. إلى أن قال فقال له بعض أصحابه لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب فضحك (ع) وقال للرجل وكان كلبياً يا أخا كلب ليس هو بعلم غيب وإنما هو تعلم من ذي علم وإنما علم الغيب علم الساعة وما عدده سبحانه بقوله: (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) الآية الشريفة فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه أحد إلا الله وما سوى ذلك فعلم علمه الله لنبيه (ص) فعلّمنيه ودعا لي بأن يحيى صدري وتضطم عليه جوانحي.. إلى غير ذلك أن أمير المؤمنين (ع) أسند جملة من أخباره عن الغيب إلى نفس رسول الله (ص)، فمن ذلك قوله: (أَيُّهَا النَّاسُ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ عِصْيَانِي وَلَا تَتَرَامَوْا بِالْأَبْصَارِ عِنْدَ مَا تَسْمَعُونَهُ مِنِّي فَوَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ إِنَّ الَّذِي أَنْبَأَكُمْ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ (ص) مَا كَذَبَ الْمُبَلِّغُ وَلَا جَهِلَ السَّامِعُ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى ضِلِّيلٍ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ..).

بلاغة الإيجاز في نهج البلاغة

د. حسن الخاقاني/ كلية الآداب/ جامعة الكوفة

يعد كتاب "نهج البلاغة" الذي جمعه الشريف الرضي (ت ٤٠٦ ه) من أقدم ما وصل ألينا من تراث الإسلام، وله المكانة السامية والمقام الرفيع إذ هو يأتي بعد القرآن الكريم وكلام الرسول الأمين (ص) منزلة، فهو دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين.

والكتاب فيه ما جمعه الشريف الرضي من خطب الإمام علي بن أبي طالب أمير المؤمنين (ع) ورسائله وأقواله مقسمة على فصول، وله نسخ مشروحة منها التي لابن أبي الحديد المعتزلي ت ٦٥٦هـ في أكثر من عشرين مجلدا، والنسخة التي علق عليها الإمام محمد عبده (١٨٤٩-١٩٠٥م)، وقد وضعها في أربعة أجزاء بمجلد واحد جعل الجزء الأخير منها للحكم والمواعظ والقصير من الكلام.

وقد تناوب العلماء على مدى التاريخ في شرح هذا الكتاب وبيان ما فيه من كنوز حتى جاوزت شروحه ١٢٥مئة وخمسة وعشرين شرحاً، وهذا ما لم ينله كتاب آخر في الإسلام بعد القرآن الكريم وحديث الرسول الأمين (ص).

أما صاحب النهج فهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ت٤٠ هـ رأس البلاغة والبيان وأمير الفصاحة، فهو ربيب النبي (ص) الذي يقول عن نفسه ـ وهو لا ينطق عن الهوى – أنا أفصح العرب بيد أني من قريش، وهو الذي تخلق بأخلاق النبي الأكرم الذي يقول عن نفسه: أدبني ربي فأحسن تاديبي، وشهد له بذلك الله سبحانه وتعالى بقوله: (إنك لعلى خلق عظيم)، فعلي وارث علم النبوة، وهو الأذن الواعية، وعيبة علم الله ورسوله، وباب مدينة علم الرسول، يدور معه الحق أينما دار، لا يضاهيه في ذلك مضاه ولا يزحمه مزاحم، تفرد بالكمال، ومكارم الأخلاق، وأوتي من جوامع الكلم مما أوتي رسول الله (ص) فهو القرآن الناطق، واللسان الذرب الذي يصدر عن صدر ممتلىء علما ويقينا لم يخالجه شك مذ عرف الحق أول ما عرف في دنياه فاتبعه حتى أشرف على آخرته، لم يشك، ولم يرتب مهما اشتدت به الفتن، أو تكالبت عليه المحن.

ومن يتصفح هذا السفر الخالد ـ نهج البلاغة ـ يجد فيه عجباً عجاباً. يجد البلاغة بأعلى طبقاتها، والفصاحة بأجلى صورها، فصاحبه هو القائل إذ يوازن بين آل عبد شمس وآل هاشم وقد سئل عن قريش: هم أكثر وأمكر وأنكر، ونحن أفصح وأنصح وأصبح، فهو من بيت الفصاحة وقد جبلوا عليها فطرة، وفي ذلك يقول الإمام زين العابدين علي بن الحسين (ع): أوتينا ستا وفضلنا بسبع، أوتينا الحلم والعلم والسماحة والفصاحة والشجاعة والمحبة في قلوب المؤمنين... فالفصاحة في هؤلاء القوم عطية من الله جل شانه، ومنحة الهية لا ينازعهم فيها أحد ممن ارتقى مدارج العلم أو الحلم، يقر لهم بذلك المبغض قبل المحب، فهم كما قال شيخ كبير من بني جعف حين سمع خطبة أم كلثوم بنت علي في أهل الكوفة عقب مقتل الإمام الحسين سنة ٦١هـ: كهولهم خير الكهول ونسلهم إذا عد نسل لا يبور ولا يخزى.

الإيجاز: هو من الفنون البلاغية التي يستعملها البلغاء عند مقتضى الحال يقابل الاطناب، وبينهما المساواة، وقد ذكره القدماء وفصلوا القول فيه، فقد بين أرسطو في كتابه (الخطابة) أهمية الإيجاز في موضعه، والإطناب في موضعه ضمن دراسته للأسلوب.

أما العلماء العرب فكانت وقفتهم طويلة عنده إذ افرد له الجاحظ ت٢٥٥هـ مكاناً فسيحاً في كتابه (البيان والتبيين) وجعله الإمام عبد القاهر الجرجاني ت٤٧١هـ من دلائل الإعجاز الذي دل عليه بنظريته في النظم فقال: (ليس النظم شيئاً إلا توخي معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه فيما بين معاني الكلم، وإنك قد تبينت أنه إذا رفع معاني النحو وأحكامه مما بين الكلم حتى لا تراد فيها جملة ولا تفصيل خرجت الكلم المنطوق ببعضها في أثر بعض في البيت من الشعر والفصل من النثر عن أن يكون لكونها في مواضعها التي وضعت فيها موجب مقتض، وعن أن يتصور أن يقال في كلمة أنها مرتبطة بصاحبة لها ومتعلقة بها) لكن أبا منصور الثعالبي ت٤٢٩هـ خص الإيجاز بكتاب جعل عنوانه (الإعجاز والإيجاز)، فدل بذلك على أن الإعجاز إنما يتجلى في الإيجاز فقال (من أراد أن يعرف جوامع الكلم وينبه على فضل الإعجاز والاختصار ويحيط ببلاغة الإيماء ويفطن لكفاية الإيجاز فليتدبر القرآن وليتأمل علوه على سائر الكلام، فمن ذلك قوله عز ذكره: ((إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا)) استقاموا كلمة واحدة تفصح عن الطاعات كلها في الائتمار والإنزجار وذلك لو أن إنساناً أطاع الله سبحانه مائة سنة ثم سرق حبة واحدة لخرج بسرقتها عن الاستقامة).

الإيجاز عند علماء البلاغة:

الإيجاز فن بلاغي يقصد إليه المتكلم البليغ لأغراض مختلفة (فدواعي الإيجاز كثيرة منها: الاختصار وتسهيل الحفظ، وتقريب الفهم، وضيق المقام، وإخفاء الأمر على غير السامع، والضجر والسآمة، وتحصيل المعنى الكثير في اللفظ اليسير).

ومعناه في اللغة القصر، وفي الاصطلاح: أن يكون اللفظ أقل من المعنى مع الوفاء به وإلا كان إخلالاً يفسد الكلام، وقال السكاكي: أما الإيجاز والإطناب فلكونهما نسبيين لا يتيسر الكلام فيهما إلا بترك التحقيق والبناء على شيء عرفي مثل جعل كلام الأوساط على مجرى متعارفهم في التأدية للمعني فيما بينهم، ولابد من الاعتراف بذلك مقيساً عليه ولنسمه "متعارف الأوساط "وأنه في باب البلاغة لا يحمد ولا يذم).

أما صاحب الإيضاح فقال: (المقبول من طرق التعبير عن المعنى هو تأدية المراد بلفظ مساو له أو ناقص عنه أو زائد عليه) وقد أوضح سعد الدين التفتازاني ذلك بقوله: (فالإيجاز أداء المقصود بأقل من عبارة المتعارف، والإطناب أداؤه بأكثر منها) وهذا ما نجده في عبارة صاحب التعريفات إذ يقول: (الإيجاز أداء المقصود بأقل من العبارة المتعارفة) وهو ما درجت عليه كتب البلاغة في العصور اللاحقة، ومنها كتاب جواهر البلاغة إذ يوضح صاحبه المراد بقوله: (الإيجاز هو وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ أقل منها وافية بالغرض المقصود مع الإبانة والإفصاح كقوله تعالى:"خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين " فهذه الآية القصيرة جمعت مكارم الأخلاق بأسرها).

قسم علماء البلاغة الإيجاز على قسمين هما: إيجاز قصر، وإيجاز حذف، (فإيجاز القصر ـ ويسمى إيجاز البلاغة ـ يكون بتضمن المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة من غير حذف كقوله تعالى: "وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ.."،

وإيجاز الحذف يكون بحذف من العبارة لا يخل بالفهم عند وجود ما يدل على المحذوف الذي يكون: حرفا، أو اسما، أو مضافا، أو صفة، أو موصوفا...

الإيجاز عند العرب:

عرفت العرب معنى الإيجاز وقيمته في تأدية المعاني الكثيرة باللفظ القليل المختصر فهو من خصائصهم في استعمال اللغة إذ كانوا لا يطيلون في الشرح، وكانوا يعدون الإيجاز هو البلاغة، وهذا دليل ذكائهم، قالت ابنة الحطيأة لأبيها: ما بال قصارك أكثر من طوالك؟ قال: لأنها بالآذان أولج، وبالأفواه أعلق. وقيل لشاعر: لم لا تطيل شعرك؟ فقال: حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق.

وقد كان الإمام علي – كشأنه في العلوم – على بينة من أمر الإيجاز وأهميته، فقد وردت له أقوال واضحة في ذلك، منها قوله: ما رأيت بليغا قط إلا وله في القول إيجاز وفي المعاني إطالة، وقد قال بعض الأعراب: اللهم هب لي حقك وارض عني خلقك، فسمعه الإمام علي فقال: هذا هو البلاغة.

ولعل في كتاب (الإعجاز والإيجاز) ما يدل دلالة واضحة لا تقبل اللبس على رفعة مقام الإمام علي وعلو كلامه على سائر الكلام بعد كلام الله وكلام رسوله (ص) فهو أوفر الكلام في الكتاب، كما إذ افرد المؤلف - وهو علم من أعلام اللغة والأدب - ست صفحات للقرآن الكريم، وتسع صفحات لكلام الرسول (ص)، ثم بدأ بالخلفاء الراشدين بحسب تسلسلهم في الحكم فجعل لأبي بكر سطرين ونصف السطر، ولعمر بن الخطاب خمسة اسطر، ولعثمان بن عفان دون السطرين، وحين بلغ الإمام علياً بلغ البحر الزاخر فجعل له عشر صفحات ممتلئة بقصار الكلم بما فيها من إيجاز وبلاغة.

اشتمل كتاب (نهج البلاغة) على أربعة أجزاء - بحسب نسخة الإمام محمد عبده رحمه الله - أختص الجزء الرابع منها بباب سماه (باب المختار من حكم أمير المؤمنين (ع) ومواعظه، ويدخل في ذلك المختار من أجوبة مسائله والكلام القصير الخارج في سائر أغراضه) ثم جعل فيه فصلاً بعنوان (فصل نذكر فيه شيئاً عن اختيار غريب كلامه المحتاج إلى التفسير)، وهذا من عمل الشريف الرضي جامع الكتاب، ولذلك أكثر فيه من الشرح والتعليق حيث وجد حاجة لذلك.

جاء هذا الجزء في مائة وإحدى عشرة صفحة جمعت قصار الكلم، وهو حجم كبير لا يمكن أن تحيط بمثله دراسة موجزة كهذه، لذا لابد من الوقوف عند بعض المواضع أكتفاءً بالأمثلة التي تدل عليها.

من ذلك قوله: البخل عار، والجبن منقصة، والفقر يخرس الفطن عن حجته، والمقل غريب في بلدته، والعجز آفة، والصبر شجاعة، والزهد ثروة، والورع جنة. فهذه عبارات على خير ما يكون عليه الإيجاز من القصر باستعمال المبتدأ والخبر متلازمين مع بعضهما بطريق الإسناد، ولا يخرج عن ذلك الخبر الذي جاء جملة فعلية (يخرس) أو المتبوع بجار ومجرور (في بلدته) فهذا من الإيجاز أيضاً لأنه متعلق به، ويوفي بمعنى الجملة، ولو حذف لأخل بالمعنى، وليس هذا من شان الإيجاز.

ومن الإيجاز قوله في وصف بعض حواس الإنسان وأدوات حياته: (أَعْجَبُوا لِهَذَا الْإِنْسَانِ يَنْظُرُ بِشَحْمٍ وَيَتَكَلَّمُ بِلَحْمٍ وَيَسْمَعُ بِعَظْمٍ وَيَتَنَفَّسُ مِنْ خَرْمٍ). فقد أجمل وصف الإنسان وآلات حياته على أشد ما يكون عليه من الإيجاز فهو ينظر بشحم ولو شئنا أن نفصل القول في آلة النظر (العين) لاحتاج الأمر إلى مجلدات ضخمة، وكذا الحال مع الكلام والسمع والنفس، فهو يلفت عقول الناس إلى أنفسهم ليتفكروا في خلقها كما أمرهم الله بذلك.

وقال (ع): (مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ)، فما أدق هذه العبارة على إيجازها في تشخيص علة اجتماعية ونفسية مستحكمة ضربت أطنابها في مجتمع العرب الجاهلي وظلت آثارها ظاهرة في مجتمع الإسلام إلى يومنا هذا، فكم من الناس من يتوكأ على عصا نسبه معتقدا أنها مغنية عن عمله الذي كلفه الله به ليحاسبه به يوم القيامة على رؤوس الأشهاد إذ نسي الإنسان قول الله: يوم لا أنساب بينهم.

ومن الناحية الفنية انظر إلى هذا الطباق البديع بين الفعل الماضي المثبت أبطأ والفعل المضارع المنفي يسرع، وبين عمله ونسبه.

وما أعجب قوله: (إِذَا كُنْتَ فِي إِدْبَارٍ وَالْمَوْتُ فِي إِقْبَالٍ فَمَا أَسْرَعَ الْمُلْتَقَى)؟ في تقصير مسافة الأجل وقطع الطريق على المتعلقين بطول حبل الأمل، فكأن الإنسان يطلب أجله وأجله يطلبه، كلاهما يجري حثيثاً من حيث لا يشعر المرء بذلك، فكل خطوة تقصر الطريق، وكل لحظة تقصر العمر وتستنفده باتجاه ملاقاة الموت الذي يجري باتجاه الإنسان يطلبه ولا يفتر عنه لحظة، ولا يغفل أبداً، ولعل في قول الإمام تفسيراً يغني إذ يقول: (نَفَسُ الْمَرْءِ خُطَاهُ إِلَى أَجَلِهِ)، فبكل نفس يستنشقه الإنسان ثم يخرجه إنما يستهلك به من رصيد حياته المذخور بأجل محتوم حتى يأتي على آخر نفس في حياته فيستنشقه ولا يخرجه، أو يخرجه ولا يستنشق غيره.

ومن الأقوال البليغة في معناها العميقة في مغزاها على ما فيها من شدة الإيجاز قوله: فقد الأحبة غربة، وقوله: العفاف زينة الفقر، وقوله: القناعة مال لا ينفد، وقوله: المال مادة الشهوات، وقوله: أشرف الغنى ترك المنى، وقوله: الغنى في الغربة وطن والفقر في الوطن غربة،، وقوله: ما أعال من اقتصد، وقوله: قلة العيال أحد اليسارين، وقوله: الفقر الموت الأكبر. فهذه أقوال قصيرة في لفظها طويلة في معانيها، بل هي تشخص عللاً نفسية واجتماعية واقتصادية كتب فيها المفكرون والفلاسفة المؤلفات الضخمة وما زالت محل أخذ ورد وموضع نقاش وجدال يذهب الناس فيها مذاهب شتى.

ومن الأقوال الأخرى قوله: (الْمَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ)، وقوله: (لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ)، وقوله: (مَنْ مَلَكَ اسْتَأْثَرَ)، وقوله: (مَنِ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ)، وقوله: (كَمْ مِنْ أَكْلَةٍ مَنَعَتْ أَكَلَاتٍ)، وقوله: (قَدْ أَضَاءَ الصُّبْحُ لِذِي عَيْنَيْنِ)، وقوله: (الطَّمَعُ رِقٌّ مُؤَبَّدٌ)، وقوله: (آلَةُ الرِّيَاسَةِ سَعَةُ الصَّدْرِ).

فهذه أقوال كأنها قوانين جامعة تسلك سبلها الحياة في شتى شؤونها، وهي من جودة الرصف وتماسك السبك حتى أصبحت أمثالاً يتناقلها الناس في مؤلفاتهم وأحاديثهم، وهذا من فؤائد الإيجاز الذي يجعل العبارة أيسر وأسير على السنة الناس وأقلامهم.

وقد ورد في هذا الجزء بعض العبارات التي استدعت تدخلاً من الشريف الرضي بالشرح والتعليق إعجاباً بما فيها من إيجاز وبلاغة وتوضيحاً لبعض ما به حاجة إلى التوضيح، ومن ذلك قول الإمام (ع): (لِسَانُ الْعَاقِلِ وَرَاءَ قَلْبِهِ وَقَلْبُ الْأَحْمَقِ وَرَاءَ لِسَانِهِ)، فقد علق الشريف الرضي بقوله: (وهذا من المعاني العجيبة الشريفة والمراد به أن العاقل لا يطلق لسانه إلا بعد مشاورة روية، ومؤامرة الفكرة، والأحمق تسبق حذفات لسانه وفلتات كلامه مراجعة فكره ومماخضة رأيه، فكأن لسان العاقل تابع لقلبه، وكأن قلب الأحمق تابع للسانه) فانظر بعد ذلك شدة إيجاز كلام الإمام وطول تفسير الشريف له.

ومن الأقوال التي أعجبت الشريف الرضي ووقف عندها معلقاً قول الإمام: (قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ)، فقال الشريف الرضي: (وهذه الكلمة التي لا تصاب لها قيمة، ولا توزن بها حكمة، ولا تقرن إليها كلمة) وهو أعجاب سبقه إليه أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ حين أورد هذه الكلمة في كتابه البيان والتبيين مثلما أعجب بقول الإمام: (بَقِيَّةُ السَّيْفِ أَبْقَى عَدَداً وَأَكْثَرُ - أو أنمى - وَلَداً)، فبقية السيف – كما يشرح الإمام محمد عبده – هم الذين يبقون بعد الذين قتلوا في حفظ شرفهم ودفع الضيم عنهم فضلوا الموت على الذل فيكون الباقون شرفاء نجداء، فعددهم أبقى وولدهم يكونون أكثر بخلاف الأذلاء فأن مصيرهم إلى المحو والفناء، وقد علق الجاحظ على هذا القول بقوله: (وقد رأينا ذلك في ولد علي وآل هاشم..)

يظهر أسلوب الإمام علي (ع) في استعماله الإيجاز رصيناً قوياً يحتمل غايات كثيرة لا تقتصر على أغراض الحكمة والموعظة والتأمل حسب، وإنما يجاوز ذلك إلى طريقة بناء الجملة ورصفها إذ تبدو قطعة واحدة لا تحتمل الحذف أو الزيادة، خالية من النقص المخل أو الحشو الزائد، لذا جرى كثير من كلامه مجرى الأمثال، وللأمثال خصائصها المعروفة لدى المختصين باللغة العربية وآدابها، فهي تمثل الإيجاز بأدق صورة عرفها العرب منذ الجاهلية، وما زالت قائمة إلى اليوم. وهكذا هو كلام الإمام علي (ع) غير مرتبط بزمانه أو مكانه أو أحداثه أو أشخاصه فهو يحوي من المعاني المطلقة ما يجعله خالدا على مر الزمان وتغير الأماكن والأحداث والأشخاص الذين ارتبط بهم لحظة إطلاقه.

حوار مع رئيس جمعية الوقاية من العمى العالمية

الدكتور (مقبول حسين)

حاوره: نصير الحسناوي

مقبول حسين عضو الكلية الدولية الأمريكية للجراحيين في أمريكا، حائز على عدت شهادات في جراحة العيون، ورئيس قسم العيون في مستشفى (بورت تراست) بكراتجي، وعضو مجلس إدارة (جمعية الوقاية من العمى، وعلاجه)، قدم العديد من الخدمات الإنسانية في العراق، ترأس في هذا العام وفداً من (٢٥) متخصصاً في مجال جراحة العيون وأمراضها، استوقفنا أدائه الإنساني الكبير في العراق، والعديد من دول العالم، أنجز وفريقه الطبي المميز أكثر من مليون عملية في مختلف أنحاء الكرة الأرضية وبالخصوص في الدول الفقيرة أو النامية، فكانت لنا معه هذه الوقفة..

بعد أن أتقدم باسم العراقيين بالشكر الوافر لما قدمتموه من خدمات جلية فيما يهم صحة العيون وأجراء المئات من العمليات الجراحية، بودي أن أتعرف على كادركم الطبي، وما هي طبيعة مهمته الإنسانية فيما يهم طب العيون؟

ج: بودي أنا مَن يتقدم بالشكر الوافر لهذه الفرصة أولاً ولما قدمه مكتب سماحة المرجع الديني الكبير الشيخ بشير حسين النجفي (دام ظله) من جانب ومن جانب آخر ما قدمته مؤسسة الأنوار النجفية من تسهيلات لمهمتنا الإنسانية هذه، ويود أن يشير أولاً أن هذه الفرصة لم تكن الأولى، فنحن قد قمنا بزيارتنا الأولى قبل عام وأدركنا ما هو مقدار الإمكانات الطبية الموجودة في العراق من جانب ومن جانب آخر استطعنا أن نحصل على تصور لأهم ما هو موجود من أمراض لما يهم طب العيون في العراق، وعلى هذا الأساس تم تحركنا لتطوير نشاطنا في هذا العام، وعلى هذا عمل فريقنا دراسة علمية لما يحتاجه العراق، فكان في مقدمتها توسيع كادرنا الطبي وتقسيم المهام لتقديم أفضل خدمة خلال زيارتنا للعراق، وتوسيع نطاق الأجهزة والمعدات الطبية، وكذلك العلاجات الطبية.

من هو صاحب فكرة هذه الخدمة الإنسانية في العراق؟

ج: في الواقع كانت لنا زيارة لمكتب سماحة المرجع (دام ظله) وبعد أن أطلعناه على نشاطنا الإنساني في شتى أنحاء العالم، فاقترح علينا سماحة المرجع (دام ظله) أن نقوم بتقديم خدماتنا لفقراء العراق، ومن جانبه (دام ظله) سيقدم ما يمكن تقديمه للكادر الطبي من تسهيلات لهذه المهمة الإنسانية وبالفعل بعد مباركته (دام ظله) قمنا بعمل نستطيع أن نفتخر به داخل العراق، وبعد أن طرحت مقترح سماحة المرجع على كادري الذي عبر عن سعادته لهذا الاقتراح علماً أن فيهم من هم غير مسلمين، هذا إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أننا تجمع من الأطباء نعمل على توسيع طواقمنا لتقديم ما يمكن تقديمه من خدمات إنسانية، وبالفعل قمنا بعمليات كبيرة في العراق وبالتعاون مع مؤسسة الأنوار النجفية، واستطعنا أن نعيد النظر للعديد ممن أصيب بالعمى، ففي هذا العام قمنا بإنقاذ (٦١٥) من العمى المصابين بمرض (ماء العمى) وغيرها من الأمراض في محافظة الكوت، وفي كربلاء (٢٥٠) عملية، (٣٥٠) في النجف الأشرف، و(١٨٥) عملية بسيطة، فيكون المجموع (١٤٠٠) عملية تماثلت للشفاء خلال الرحلتين، كما وتم فحص وتقديم علاجات لباقي أمراض العيون لأكثر من (٢٥,٠٠٠) حالة خلال عامين، علماً أن كل هذه الأعداد تم علاجها وتقديم الخدمات لها مجاناً، من دواء وعدسات وعوينات طبية، وكانت لمدارس دار الزهراء خصوصية باعتبارها مختصة للأيتام حيث تم فحص وعلاج ما يقارب (٢٥٠) طالباً، والكادر سعيد لاستطاعته أن ينقذ

الكثير من الأطفال من العمى خلال رحلاتنا إلى العراق.

بالتأكيد في كل رحلة علاجية سيكون هناك تطور أكثر في عملكم، بحكم تجربتكم داخل العراق، بيد أن هناك العديد من المشاكل أو العقبات التي مررتم بها، هل لديكم ما يمكن أن تبينوه لنا عن هذه العقبات؟ كما أن هناك العديد من الملاحظات للواقع الطبي لدينا، أتمنى أن نقف عندها.

ج: بما أن المراجعين هم جميعاً من الطبقة المحرومة، فإننا وجدنا أن هؤلاء المساكين يتهافتون ويتسابقون على هذه الفرصة للحصول على العلاج خصوصاً إذا ما نظرنا إلى مجانية العلاج، بيد أن محدودية وقت الرحلة العلاجية أدت إلى حصول بعض حالات عدم الانتظام في مراجعة المواطنين لنا، وبالتأكيد إن التزاحم سيؤثر على مدى تركيزنا كأطباء يطلب من عملنا التركيز فيه، كما ولاحظنا عدم وجود المؤهلات الطبية المتكاملة في غرف العمليات في العديد من المستشفيات والمستوصفات التي مارسنا فيها عملياتنا الجراحية أو العلاجية، ومن المؤسف أن أقول: إن هناك مستوصفات قمنا بزيارتها وهي غير مؤهلة لتلقي المرضى، هذا من جانب، وللأسف أن هناك أطباء يحتاجون لتطوير من قبل (طبيب أقدم)، ليتمكنوا من العلاج، وللأسف هم يمارسون الفحص والعلاج بصورة مستقلة عن المشرف، فالطب يجب أن يمارس بحذر شديد فكيف بها وهي من أجهزة الجسم الصغيرة ألا وهي العين التي تحتاج لدقة أكثر، ومن قبل أطباء مقتدرين ومتدربين جيداً. ومن الملاحظ أنه كثر التزاحم على المستوصفات والمستشفيات وهذا ما يعيق عمل الأطباء وعلى ما يبدو أن المراكز الصحية لا تتناسب ومقدار المرضى في العراق..

من المؤكد أن السيد الدكتور مقبول وكادره متعبين جداً بعد هذه الكم الهائل من رحلتهم العلاجية، ولكنني مطمأن أن هناك سعادة في داخلهم هل يمكن أن نقف عند هذه المشاعر الطيبة.

ج: في البدء بودي أن أشكركم أنتم على حُسن ظنكم عن قراءتكم لهذه المشاعر، وإنني أؤكد أن الكادر جميعه يفتخر بتقديم خدماته للعراق وأبنائه لأنهم يملكون الأرضي المقدسة التي يجب على كل إنسان أن يقف لها باحترام وإطراء كبيرين، وبودي أن أشكر سماحة المرجع الديني الكبير الشيخ بشير حسين النجفي (دام ظله) لأنه هو من زرع في داخلنا الحب للعراق، وأرشدنا لكرامة هذه التربة الطيبة في لقائنا الأول معه.

أتصور أنكم تنبهتم لوجود بعض الأمراض أو العوارض فيما يهم صحة العين، هل سجلتم مثل هذه الحالات؟

ج: لابد أن أُأكد إن معظم الأمراض وبالخصوص مسألة العيون تبدأ وتنشأ من الطفولة، بل ومنذ الولادة، وقد لاحظت ذلك عن كثب، وأشرت إلى الكم الكبير الذي قمنا بعلاجه فيما يهم الأطفال، وعلى هذا أأكد أن مرحلة العلاج ربما تكون سهلة جداً إذا ما شخصت مبكراً ويكون علاجها سريعاً وسهلاً، وذلك ما يتأتى عن طريق الفحص في المراكز الصحية ومتابعة صحة عين الطفل منذ الساعات الأولى، وتستمر مرحلة المتابعة من المدرسة، فيجب أن تكون هناك رعاية صحية في المدارس ويكون هناك فحص دوري بنحو واجب خلال كل ستة أشهر، ومراحلنا العلاجية للأطفال فيها دلالات لعدم وجود هذا الاهتمام.

بحسب قراءتكم للواقع المرضي وسبل علاجه في العراق، ما هي آليات الوصول بمجتمع سليم . فيما يخص العيون . وخصوصاً في الواقع العراقي؟

ج: يفترض أن تقوم الآلية الصحية على عدّة عوامل، وكُلها تنصب على الطفل من مرحلة الحمل به وإلى عمر ١٠ سنوات، فيجب التدقيق في العقاقير والأدوية التي تتناولها الأم، كما يجب العناية بغذائها وفق برنامج صحي دقيق، شاهدت العديد من الأمراض كان منشأها من تلك المرحلة، وتتصاعد الدقة والأهمية في مرحلة الولادة فهي من أخطر وأهم المراحل للوصول بجنين يولد بصحة عالية، فيجب أن تفحص عين الطفل بعد ولادته بدقة وعلى يد دكتور حاذق، لتلافي ما إذا تعرضت العين لأي إصابة أو تلوث أثناء الولادة، ولتلافي مشاكل ما قبل الولادة مبكراً، ثم تتحول المسؤولية إلى المراكز الصحية، والمدرسة، فيجب على المدارس أن تُعد برنامج فحص طبي سنوي للطفل من (٢-٣) مرات، لتفادي أمراض العيون مبكراً.

ويجدر أن أعطي ملاحظة مهمة في صدد صحة العيون، وهي أنني لاحظت خجل وعدم تقبل بعض العوائل العراقية للعوينات، رغم أهميتها، فمن المعلوم أن أي خلل في مستوى النظر يأخذ بالتدني في مجال الرؤيا إذا ما لم يُتدارك بالعوينات الطبية ووفق برنامج طبي وفحوصات دورية مستمرة للعين، فيجب إشاعة الثقافة الصحية دون أي تحرج تجاه العوينات أو غيرها من العلاجات.

من خلال حديثكم الشيق هذا هل يمكن أن أقول أن أكثر أمراض الكبار في مسألة العيون جاءت من عدم العناية في الصغر؟

ج: نعم بإمكاننا أن نقول ذلك، بل وكما أشرت مسبقاً إن العناية المبكرة لأدق أجهزة جسم الإنسان تبدأ من الطفولة بل من مرحلة الحمل، وقد وجدت العديد من الحالات المرضية في العراق جراء الإهمال الصحي في المراحل الأولى من العمر، فيجب على الجهاز التربوي والصحي في العراق أن يعملان معاً وبمساعدة العائلة لخلق الأجواء الصحية المناسبة لأبناء هذا البلد..

• أتقدم بالشكر الوافر... لما قدمه مكتب سماحة المرجع الديني الكبير الشيخ بشير حسين النجفي (دام ظله) من جانب ومن جانب آخر ما قدمته مؤسسة الأنوار النجفية من تسهيلات لمهمتنا الإنسانية هذه..

• تم فحص وتقديم علاجات لباقي أمراض العيون لأكثر من (٢٥,٠٠٠) حالة. وأجراء (١٤٠٠) عملية تماثلت للشفاء.

• استطاع كادر العيون إنقاذ (١٥٥٠) طفل من العمى.

• وجدت العديد من الحالات المرضية في العراق جراء الإهمال الصحي في المراحل الأولى من العمر..

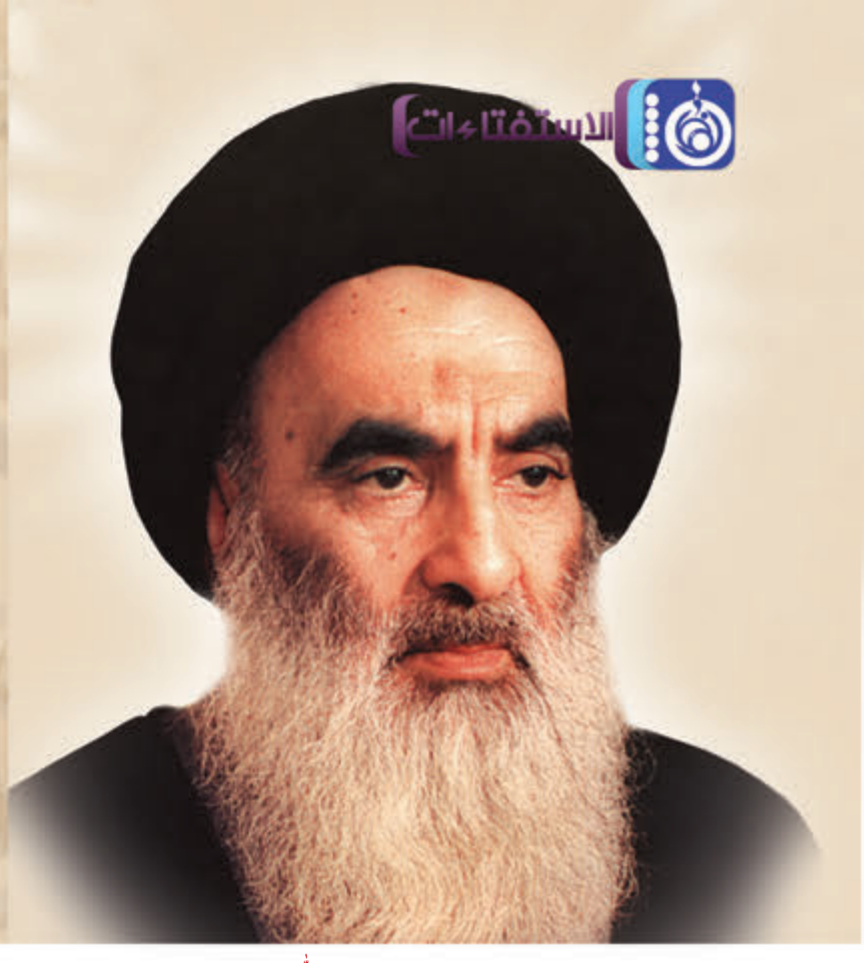

سماحة المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله)

السؤال: لقد تفشى ما يسمى بـ(الفساد الإداري) في أوساط الموظفين الحكوميين بحدّ لم يسبق له مثيل، ويتخذ أشكالا مختلفة: منها: تخلف الموظف عن أداء واجبه القانوني تجاه المراجع إلا بعد أخذ مبلغ من المال. ومنها: قيام الموظف بالتجاوز على القوانين والقرارات الرسمية لصالح المراجع إذا دفع له الرشوة على ذلك. ومنها منح الموظف مقاولة المشاريع الخدمية وغيرها بمبالغ تفوق بكثير متطلبات إنجازها إلى من يوافق على إعطائه جزءا من مبلغ المقاولة. ومنها: تولي مجاميع من الموظفين مهمة القيام بمشروع ما ويتقاضون أموالا طائلة عليه في حين أنه من ضمن واجباتهم الوظيفية التي يمنحون بإزائها الرواتب الشهرية. وهناك الكثير من الأشكال الأخرى، نرجو بيان الحكم الشرعي في جميع ذلك. أدام الله تعالى سيدنا المرجع ذخرا وملاذا.

الجواب: يحرم على الموظفين التخلف عن أداء واجباتهم بمقتضى عقود توظيفهم النافذة عليهم شرعا، كما يحرم عليهم تجاوز القوانين والقرارات الرسمية مما يتعين رعايتها بموجب ذلك، وما يأخذه الموظف من المال ـ من المراجع أو غيره ـ خلافا للقانون سحت حرام، كما أن إهدار المال العام والاستحواذ عليه بل مطلق التصرف غير القانوني فيه حرام ويستوجب الضمان واشتغال الذمة والله الهادي.

السؤال: يقوم البعض بتوزيع قطع الأراضي الموات على الناس لبنائها بيوتاً لهم ويدعي بعض المتصدين للتوزيع أن لديه الإذن من سماحة السيد السيستاني، فهل هذا صحيح؟

الجواب: هذا غير صحيح، ولا إذن بإحياء الأراضي الموات من دون استحصال الموافقات الرسمية.

السؤال: ما حكم تهريب المخدرات وهل يفرق فيه بين إذا قصد المهرّب نقلها إلى بلد آخر وبين إذا ما قصد بيعها على المواطنين في داخل العراق؟

الجواب: بسمه تعالى. يحرم تهريبها على كل حال.

سماحة المرجع الديني الكبير آية الله العظمى الشيخ بشير حسين النجفي (دام ظله)

س: ما هي قراءة سماحتكم للواقع الاجتماعي في العراق بعد السقوط؟

الجواب: يعيش الشعب العراقي نتائج التجاوزات الأخلاقية والقانونية والدستورية، التي صنعها حكم الطاغية، ولهذا فالشعب يحتاج إلى إعادة صياغة أخلاقية وقانونية وذوقية للنهوض نحو التقدم والازدهار، ولعل التقدم في هذا المجال مستمر رغم بطأه، نسأل الله التوفيق للخروج من المأزق القيمي في المجتمع العراقي بالجهود المستمرة من المراجع العظام والحوزة العلمية، رغم الظروف القاسية والعوائق المتنوعة.

س: ما هو رأي سماحة الشيخ (دام ظله) في إمام جماعة خالف فتوى المجتهد وحول ما يسمى بالفرق الحزبية إلى حسينية ورفع عليها شعارات الحسينية وأجرى عليها أحكام المسجد والحسينيات فهل هذا الإمام عادل تجوز الصلاة خلفه وهل هذه الحسينية تجوز الصلاة فيها، أفتونا آجركم الله؟

ج/ بسمه سبحانه الأموال والمراكز العائدة إلى الدولة المنهارة لا يجوز التصرف فيها ولا يصح جعلها حسينيات أو مساجد والله العالم.

س: لقد جرى الاستحواذ على بعض الأبنية الحكومية والحزبية. فمنهم من جعلها مسكنا له ومنهم من جعل منها جامعا أو حسينية فهل يجوز ذلك؟

ج: بسمه سبحانه. إن هذه المباني تعود إلى الشعب ولا يجوز التصرف فيها بأي نحو بدون الآذن من الحاكم الشرعي فإن الأموال العامة التي أشرت إلى بعضها يجب أن تصان من كل عبث وكل تصرف في الوقت الحاضر، ومن حصل في يده شيء عليه أن يسلمه إلى الجهة المسؤولة شرعاً وإن لم يتمكن يبقى بيده أمانة إلى حين تمكنه من التسليم إلى وليه الشرعي والله ولي التوفيق.

س: ما هو رأيكم بالدستور وهل يعكس واقع المجتمع العراقي؟

الجواب: إن الدستور بما هو دستور ضمان لمسيرة الدولة ورسم لنهجها الإداري وتوزيع صلاحيتها، وهو ليس تشريعاً دينياً، وهو بهذا المعنى ضرورة لازمة لضمان استقرار الدولة والمجتمع، فيكون من قبيل الأمور الحسبية على أقل تقدير، على أن لا يخالف الثابت من الشريعة، وفي سبيل أن يعكس الواقع العراقي ينبغي أن يعمل كل العراقيين على تطبيقه بحرص وفاعلية، وأن يقوم العقلاء من ممثلي الشعب بتعديل أي ثغرة فيه ليكون مطابقاً لطموح المجتمع العراقي كله، وليس لجهة دون جهة. فيجب أن يكون دائما هو القاسم المشترك بين للمجتمع العراقي من دون حيف أو تحيز لأهداف خاصة وإنما وفق المصالح الوطنية العامة.

سماحة المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم (دام ظله)

س: هل يجوز مخالفة القانون مطلقاً؟ أم الحرمة خاصة بالقانون المنفذ من قبل الحاكم الشرعي؟

الجواب: ينبغي الإلتزام بالقوانين مطلقاً ما دامت ذات مصلحة عامة للنظام المدني، ولا تتنافى مع الأحكام الشرعية.

س: شخص يملك سيارة، ولكنه يعطيها لمن لا يملك رخصة القيادة مع ثقته بأنه يعرف القيادة جيداً، ولكن القانون في البحرين يحظر قيادة السيارة بدون رخصة قيادة، فما هو حكم الشارع على فعل صاحب السيارة؟ وما هو حكم قيادة السيارة بدون رخصة القيادة؟

ج: لكيلا يترتب عليه المفاسد الشرعية يلزم رعاية قانون القيادة.

س: هناك بعض الموظفين في بعض الدوائر إذا أراد المراجع ـ مثلاً ـ قضاء حاجته بأسرع من الموعد المحدد يعطيه شيئاً من المال لتسريع معاملته، مع العلم بأنه إذا قدم عمله فيكون سبباً لتأخير بقية أعمال المراجعين على حساب هذه العملية، هل هذا يعد من مسألة الراشين والمرتشين فيكون عمله محرماً؛ من باب تقديم عمله أن يعمل زيادة على ذلك، أي من باب عمل المسلم محترم فيجوز أخذ المال ليقدم العمل المذكور؟

ج: إذا كانت المعاملة ترجع إلى دفع ظلامة عن المراجعين ـ كمعاملة إطلاق سراح المساجين، أو إطلاق البضائع من الكمارك، أو إعطاء جواز سفر ـ حرم تأخير المراجعين، وأشكل أخذ المال مقابل تعجيل بعض المعاملات.

وإذا كانت المعاملة ترجع إلى جلب مصلحة صرفة للمراجع، كالمنح الحكومية المالية، فلا بأس بأخذ المال في مقابل تعجيل بعض المعاملات، ولا يحرم تأخير المراجعين بسبب ذلك.

سماحة المرجع الديني الكبير آية الله العظمى الشيخ إسحاق الفياض (دام ظله)

السؤال: شخص أخذ من أموال الجيش السابق بعض الأشياء المستعملة واستخدمها في بيته مما أدت إلى نقصان في عمرها والآن هو نادم على فعلته، فهل يجوز له أن يقدر أسعار هذه الأشياء ويدفعها على شكل أموال إلى مكتب سماحتكم؟

الجواب: بسمه تعالى. نعم يجوز له أن يقدر أسعارها ويدفع ثمنها وأما إذا كان فقيراً وتاب من هذا العمل في المستقبل فلا شيء عليه. والله العالم

السؤال: أحد الأشخاص يعمل في لجنة المشتريات التابعة لأحدى دوائر الدولة، وفي كثير من الأحيان تبقى لديه بعض الأموال المتأتية من جراء الفرق في أسعار المواد الموجودة في السوق وهو يعلم إذا ما ردت هذه الأموال إلى الدائرة سوف تذهب إلى جيوب الموظفين القائمين على الصرف لأنها شطبت من سجلات الحسابات، هل يجوز له أن يتصدق بهذه الأموال على بعض العوائل المتضررة؟ وإذا كان هناك حل آخر أفتونا وفقكم الله.

الجواب: بسمه تعالى. نعم يجوز له أن يتصدق بها على فقراء المؤمنين. والله العالم

السؤال: لنا بستان مساحة (١٦ دونماً) كان مزروع نخيل وأشجار أشتراه جدي من مالكه الأول بمبلغ قدره مائتان وثلاثون ليره سكة السلطان العثماني الأرض والأشجار ولدينا طابو عثماني ومبايعة بالمحكمة الشرعية آنذاك برئاسة الشيخ باقر آل حيدر في سنة (١٣١٨هـ)، ولكن قام نظام صدام بعمل ساتر ترابي بحجة الفيضان وقطع الماء والبزل عن البستان وبقي هذا الساتر موجود حتى أدى إلى موت الأشجار والنخيل في البستان وأصبح البستان شبه أرض جرداء، وبقي الحال على ما هو عليه حتى سقوط الطاغية وتجاوز عليه بعض الناس وبنوا دور سكن على جزء من البستان إضافة إلى أن الدولة بنت عليه بعض المنشاءات على جزء آخر وبقيت مساحة فارغة الآن في البستان، والآن نحن قمنا بحفر بزل حول جانبين من البستان وطالبنا الناس المتجاوزين برفع تجاوزهم ما هو حكمكم حول الناس المتجاوزين وحقوقنا في البستان والأرض؟

الجواب: بسمه تعالى. هذه دعوى بينكم وبين الأشخاص الذين بنو على الأرض المذكورة فلا بد من إثبات أن الأرض المذكورة جزء من بستانكم، وأن الدولة البائدة لم تشترها منكم ولم تعوضكم برضاكم، ثم بعد ذلك يمكن إجبار المتجاوزين من الناس والدولة على رفع التجاوز. والله العالم

كلمة الملف

سيلاحظ القارئ الكريم إن هذا العدد بدأ ينحو إلى الدمج بين الدراسات الدينية والأفكار العلمية، وذلك تعمدا من إدارة المجلة عسى أن تثير المواضيع العلمية خيال شبابنا للاندفاع باتجاه العلوم لما يخدم مؤسسة المجتمع العراقي بكل اتجاهاته.

ملف هذا العدد هو عن سيدتنا فاطمة الزهراء (س)، ليكون محاولة متواضعة للإلمام بجوانب بسيطة مما يمكن دراسته لهذه الشخصية العظيمة التي حيرت عقول العلماء بالنظر لعظيمِ ما أنجزت مع عمر قصير جداً، بما لا يستطيع فعله الإنسان العادي مهما اتصف بالعبقرية وطال عمره حتى كثر انجازه وتعلم من الحياة، ولكن الاستثناء كان واضحاً في الزهراء (ع) حيث مع قصر عمرها وقصر مدة فاعليتها حيث بدأت بعد رسول الله (ص) ولم تمهل في بناء وتأسيس القوة الشرعية الكاملة التي أودعها فيها رسول الله (ص) حيث توفيت في ظروف غامضة في ابعد تقدير بعد ستة شهور من استشهاد الرسول (ص)، فهنا استثناء لا يعرف البشر على طول عمر البشرية في الأرض فيما قامت به الزهراء صلوات الله عليها.

وقد كتب أحد علمائنا في ذلك قائلاً: كل إنسان حينما تُدرس شخصيته، يصار إلى دراسة فترة فاعليته وإلى نوع فعله، وليس إلى فترات تحضيره كإنسان، فالعالم تدرس فترة عطائه ونوع عطاءه، والمخترع تدرس فترة اختراعاته ونفس اختراعاته، والمؤلف تدرس مؤلفاته وظروفها المحيطة بالمؤلف.

العقاد وكتابه فاطمة والفاطميون

الزهراء (ع) قدوة نابضة بالحياة على مرّ العصور

ترتيلة في ذكرى وفاة الصديقة فاطمة الزهراء (ع)

وقفة اعتبارٍ مع الصدّيقة الزهراء (ع) في إسوتها الحسنة

دور (المرأة المبادرة) في تغيير المجتمع والأنساق الثقافية المهيمنة

ومضات من سلوك الزهراء (ع) في التربية

هل أثرت سيرة السيدة فاطمة الزهراء (ع) في شخصية المرأة العراقية؟

ارتباط السيدة فاطمة الزهراء (ع) بشروط التوحيد

قبس من دلائل الصدق على عصمة الصديقة الطاهرة فاطمة بنت رسول الله (ص)

الزهراء (ع) / قطوف عقائدية

أسرار ومعاني أسم السيدة (فاطمة) ع

اعلموا إنّي فاطمة!

أدب فاطمة الزهراء (ع) للدكتور محمود البستاني

الأزهر بين الماضي.. والحاضر.. والمستقبل

وأغلب فترات عطاء الإنسان هي بعد نضجه العقلي وتراكم الخبرات وتعاظم المعرفة لديه لينتج إنتاجا منظوراً في عالم الفكر والواقع. وفترة النضج طبيعياً كانت لا تقل عن أربعين عاماً في حياة الإنسان. ثم بعدها يبدأ إنتاجه في التبلور. وهذه الفترة كانت تسمى فترة العقل واكتمال الشخصية.

لقد اخترع الإنسان طريقة التعليم المكثف، فقلل من فترة النضج باعتبار إن الإنسان قابل للتعلم، وكثف فترة النضج فأصبح الإنسان يمكن أن يبدأ في الإنتاج في سن مبكرة بحدود خمس وعشرين عاماً من عمره ويبدأ في بلورة إنتاجه وتطويره نحو الكمال في فترة عشر سنوات فيكون الإنسان في عصر التعليم المكثف منتجا متكاملاً فكرياً في فترة خمس وثلاثين، ولكن العباقرة والأذكياء قد يصل قمة إنتاجهم في الثلاثين عاماً.

نأتي إلى السيدة فاطمة الزهراء (س).

فإنها ولدت سنة خمس من المبعث بمكة في العشرين من جمادى الآخرة، وأن النبي (ص) قبض ولها ثمانية عشر سنة وسبعة أشهر.

وفي أبعد رواية أن الزهراء ماتت وعمرها ثلاث وعشرون سنة. ولكن النصوص الصحيحة والصريحة هو أنها ماتت ولم تبلغ العشرين بل هي بنت الثمانية عشر.

وهذا يعني أن الزهراء بالمقياس الطبيعي لم تصل حتى للعمر الذي ينتج فيه العباقرة. فلو أنتجت شيئا متميزا في الإنسانية، لكان يفوق إنتاج العباقرة بمسافة، باعتبار عدم الوصول إلى نهاية الفترة التحضيرية لنضج حتى الإنسان العبقري، فكيف نضجت واكتملت الزهراء؟ إنها لمعجزة حقيقية.

ثم نأتي إلى فترة الفاعلية؟

فترة الفاعلية بالنسبة للإنسان قد تكون فترة قصيرة كمعركة قتال يتحدد فيها تاريخ الإنسان. وهي قد لا تتجاوز الساعات أو الأيام، وهذا لا يكون في عالم الإنتاج الفكري، لأنه عالَمٌ معقدٌ وبطيءٌ في تكوينه، فمن يريد أن ينتج فكرا لا يمكنه عادة أن ينتجه دفعة واحدة وفي فترة قصيرة جدا.

ولكن ما هو حال الزهراء؟

الزهراء لم تخرج إلى عالم الفاعلية إلا بعد وفاة الرسول وقبل وفاتها، ولكن كم هذه الفترة؟

الفترة تتراوح بين خمس وأربعين يوما وبين أربعة أشهر في أبعد رواية يمكن الركون إليها، وحقيقة التعرض الفكري والإنتاج الثقافي لم يكن أكثر من عشرين مقابلة وخطبتان أو أربع خطب.

ولكنها شغلت الدنيا بفكرها وإنتاجها إلى هذا اليوم، ولو تمعنا لوجدنا إن اغلب الحراك السياسي والفكري في عالمنا الإسلامي، يرجع إلى تحرك الزهراء (ع)، وكل حراكنا، وصراع الحركات الإسلامية، هو عيال على حركة الزهراء (ع).

أليس مذهلاً أن تنتج بنت الثمانية عشر عاما حركة فكرية هائلة يقوم عليها فكر عظماء وأكابر امة بأكملها من ألف وأربعمائة سنة إلى هذا اليوم؟ ولم تنته جذوة عطائها.

إنها لمعجزة حقيقية..

وهذه وحدها تحتاج إلى دراسة وتمعن في ظاهرتها الفريدة. فهي لم تقف موقفا سلبيا أو ايجابيا يتصف بوحدة الموضوع أو ضيقه، إنما أثارت زوبعة هائلة من مختلف المواضيع ومختلف الاتجاهات، وكأنها هيجت نار الحقيقة لتكشف عن نفسها بعد أن غطاها رماد بسيط.

فقد قدمتْ الزهراء (ع) الفقه والقانون والحكم العقلي والحكمة واللغة والمنطق والسياسة والدين والعقيدة والتاريخ والنظم القيادية الإنسانية وممارستها، كما قدمت الإعلام الواعي، والتبليغ والوعظ والإرشاد، والنقاش، والمحاورة الهادئة تارة، والعنيفة أخرى، بكل صورها من دون خروج على أصل مواضيع الحوار، وقدمت العاطفة والشجاعة المفرطة والقوة الهائلة مع الضعف البين، إنها قدمت مواضيع تجل عن الحصر فقد كانت كأنها مبرمجة لتقديم كل لحظة وكل حركة بطريقة واعية تعالج بها الواقع والمستقبل بشكل لا يمكن فهم عمقه، ولكنه يصنع التاريخ ويبرمج التاريخ والمعارف بكل يسر وسهولة.

هذا شيء لا يمكن وصفه بكلمات بسيطة.

وهو حالة يمكن التوقف عندها في حيرة وذهول وتجمد أعضاء لا يعرف الإنسان ما يقول فيها.

فإذن نحن أمام ظاهرة كبيرة جدا، حيث عدم التناسب بين فترة الفعالية، وبين حجم الحدث تاريخيا، وبين عمر صاحبة الحدث، وبين ضخامة الحدث وامتداداته التاريخية.

فلهذا يجب أن يكون هذا بالذات منطلقا في تفسير هذه الظاهرة ودراستها بعمق.

وعلينا دراسة كل شاردة وواردة خلال هذه الفترة القصيرة جدا من حياة فاطمة الزهراء وصناعتها للحدث.

فلو نظرنا في فترة فاعلية بحدود خمسين يوما، بل بحدود اقل من عشرين تحركا، ومِنْ شابة لمْ تتجاوز التاسعة عشر من عمرها، ومِنْ محجبة مستورة لم تخرج للناس قبلا، فسنجد أشياء مدهشة جدا، ففي تحركها كان أول تحرك سياسي معارض في الإسلام، أسس الأساس الفكري المذهبي، وبذلك الموقف وبيانه -من قبل الزهراء- تأسس لأول مرة فقها سياسياً في الإسلام بشكل واضح المعالم، لما بعد فترة الرسول، وكان على أساس فكري يناقض سياسة (نصلي خلف من غلب بالسيف) وإنما بسياسة (نتبع الحق)، وقد كان هذا التحرك مصحوبا بالمحاججات والمحاكمات وطرح الأفكار وتحديد المعالم، فقد حَدَدت معالم فقه متكامل، وأسست لموضوع الشرعية الدستورية في الإسلام، وأسست لموضوع الفرق بين ملكية الحاكم وملكية الشعب، وأسست لموضوع البناء الاقتصادي للفرد المسلم في ظرف دولة الإسلام ونادت بعدم جواز سلب الفرد ممتلكاته بحجة تأميمه بالملكية العامة، وهي أول من ناقش في حوار الديانة على أساس حضاري، حيث قارنت بين منجزات الإسلام الحضارية وبين منجزات الشرك والضلال، ودعت إلى عدم النكوص بعد التقدم الحضاري (تشربون الطرق. وتقتاتون القد، أذلة خاشعين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله برسوله (ص) بعد التي واللتيا)، وقد أسست لأخلاقية الخلافات السياسية والتعاطي السياسي، وحددت المعالم القانونية حتى لشخصية الرسول ولشخصية الحاكم، فقد أسست مبدأ إن أحكام الإسلام الدستورية تشمل النبي ولا تقفز عليه ليكون مهدورا، وهذا أمر لم يكن مفهوما جيدا في تلك الفترة العصيبة، وقد أسست لأول منظومة حقوقية تتعلق بالحق والحرية والالتزام، فقد وازنت بين الحق والالتزام، بشكل قانوني ملفت للنظر، وأكدت إن الفقه الإسلامي قائم على أساس نظريات الالتزام والحق وحرية الإنسان، وأسست لدخول المرأة معترك السياسة على أساس الحق، ونبذ المخالفة (نظرية المحاسبة الجماهيرية)، وقد أسست الخطب النسائية الجريئة الرنانة، والبلاغة الفريدة والأدب النسائي الرفيع، وقامت بدور القيادة النسائية. ومن يتابع كل ما فعلت فسيجد إعلانا وتأسيسا لمعارف وأحداث نعيشها لحد هذا اليوم، كان نتيجة حتمية لقيام الزهراء (ع) بحركتها المباركة).

إننا في هذا الملف حاولنا أن نطرح تأملات علماء ومفكرين في جوانب متعددة من شخصية الزهراء (ع) غير متناسين لهذه الصورة المعجزة من عظيم الفاعلية مع قصر فترة الفاعلية وقصر العمر بما لا يمكن تحقيقه في العالم الواقعي إلا بالمعجزة الحقيقية.

متاهات المشككين

العقاد وكتابه فاطمة والفاطميون

العلامة الشيخ خالد البغدادي

يفترض أن يتوقع القارئ أمانة وأنحيازية كتاب كبار أمثال العقاد، بيد أن القراءة المتأملة تكشف اللثام وقائع غير متصورة، فنجد أن هذه الشخصية مثلاً قد كتبت للعديد ومن النساء مؤلفات مطولة وتستكثر بعض الوريقات تجاه من وصفها الرسول الأعظم (ص) بأنها سيدة نساء العالمين، ورضاها من رضا الله.. بل الأسوأ من هذه الإنحيازة نجد أن الكاتب أعلاه قد أساء للسيدة الزهراء (ع) في موقع متعددة، وضعنا بين يدي العلامة الشيخ خالد البغدادي هذه التأملات لنقف عند زيف التأريخ، وانحيازية الأقلام..

هذا الوصف من (العقّاد) للسيدة الزهراء (ع) في كتابه (فاطمة والفاطميون) بأنها منطوية على نفسها لا يخلو من أحد أمور ثلاثة:

إما أن يكون الكاتب ___العقّاد___ جاهلا بالاصطلاح وما يؤدي إليه هذا اللفظ (الانطواء) من معنى في (علم النفس).

أو انه كان يريد به معنى آخر غير المعنى المراد له اصطلاحاً.

أو انه كان يقصد به فعلا معناه الثابت له في (علم النفس).

وهذا الفرض الثالث ـ لو ثبت ـ (سيؤول بالنتيجة) سواء كان الكاتب يقصد ذلك أم لم يقصده إلى التنقيص من مكانة السيدة الزهراء (ع) التي وضعها الله ورسوله (ص) فيها، والثابتة لها بالنصوص والروايات.

فالانطواء ـ كما يفسره علماء النفس ـ: مرض نفسي، واضطراب كاسح في النمو يطال جميع أبعاد النمو، وخاصة في ثلاثة ميادين رئيسية منه، وهي: التفاعل الاجتماعي، التواصل، اضطرابات السلوك. وله أعراض تظهر على صاحبه بشكل سلوكيات شاذة، نحو: الانفعال بشكل حاد ومفاجئ وبدون سبب، المزاج المتقلب، أذية الذات وأذية الآخرين، عدم القدرة على التفاعل مع الآخرين ويتمثل في الهروب من الواقع مع هيمنة الحياة الداخلية (الذاتية المطلقة) على صاحبه.. ونحو ذلك من السلوكيات الشاذة.

والذي يظهر من الكاتب ـ بحسب تعبيراته المشار إليها آنفاً ـ أنّه يريد بالانطواء هذا المعنى الاصطلاحي الثابت له في (علم النفس). فانظر إلى قوله: (ويبدو لنا انطواء الزهراء على نفسها من الأحاديث المروية عنها، فلم تعرض قط لشأن غير شأنها وشأن بيتها...).

وقوله: (وانطواء على النفس لا تستغربه ولا تحب أن تتبدله...)، ونحو ذلك من كلماته التي تتناغم مع المعنى المذكور لهذه المفردة في (علم النفس)، كما مر بيانه.

وهنا نسجل ملاحظتين على الكاتب في تعبيراته هذه: الأولى عقائدية والثانية علمية.

أما الملاحظة الأولى (العقائدية) فمن الثابت عند المسلمين جميعا لزوم محبة الزهراء (ع) وعدم التنقيص من قدرها وشأنها الذي رتبه الله لها، ونبزها بمثل الوصف المذكور ـ الانطواء ـ لا يخلو من تنقيص وحط من قدرها، لما يظهره من عدم استواء شخصيتها، واضطرابها في سلوكها، وهو أمر يأنف أي إنسان أن يوصف به لما فيه من جنبة التنقيص فضلاً عن أن توصف به امرأة ندب الله ورسوله (ص) عباده للاقتداء بها والتمسك بحبلها، كما يدل على ذلك حديث التمسك بالثقلين: الكتاب والعترة، وفاطمة (ع) من العترة بلا ريب.

وأما الملاحظة الثانية (العلمية)، فقد يقال: إنّ الكاتب كان في مقام التحليل العلمي لشخصية الزهراء (ع)، وهو قد طرح الوصف المذكور

نتيجة علمية لتحليله هذا.

ونقول في الرد على هذه الدعوى: أنّ الكاتب لم يكن موفقا في قراءته وتحليله لشخصية السيدة الزهراء (ع)، حيث كان الأولى به أن يستشف شخصيتها وما تمتلكه من مواصفات نفسية عالية من خلال قراءته للنصوص الصحيحة الثابتة الواردة في حقّها (ع)، والتي يمكن من خلالها استكشاف المواصفات المذكورة بدل أن يترك لخياله أن يسرح في تصوير شخصيتها (ع) وواقعها النفسي من خلال ملاحظته لها كما يلاحظ أي فتاة أخرى يراها تدرج وتنشأ في أزقة مصر.

وفي هذا الجانب نذكّر العقّاد بأمور ثلاثة:

الأول: أنّ النبي (ص) قال في حقّ ابنته الصديقة الزهراء (ع) بأنّها (سيدة نساء أهل الجنة) (كما يروي ذلك البخاري وغيره..)؛ وهذه هي أعلى رتبة تُمنح لامرأة في دنيا الوجود؛ إذ ليس بعد الجنة ومراتبها منزلة يمكن أن ينالها المؤمنون في وجودهم، قال تعالى: (فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى)، وهنا نسأل: إن لم تكن السيدة الزهراء (ع) قد انطوت على مكنون نفس قد تسامت في سجاياها وتعالت في شمائلها كيف يمكن أن تستحق مثل المقام المذكور، خاصة إذا علمنا أن هذه المقامات لا تنال بالمواصفات المادية أو الاجتماعية كالنسب ونحوه، فمثل هذه الأمور لا قيمة لها في ميزان الحق سبحانه بل الميزان هو التقوى، كما قال تعالى: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ).

وهذه المنزلة للزهراء (ع) - كما نلاحظ - تناهض دعوى الانطواء والاضطراب النفسي بالمرّة؛ فإن الشخص المنطوي قد يقع في أذية نفسه وأذية الآخرين، من حيث يدري أو لا يدري، لأنه في الغالب يكون ضحية لانفعالاته ومزاجه المتقلب الحاد، كما مر بيانه، وبالتالي يكون عرضة للمخالفات الشرعية هنا وهناك، فمثل الشخص المذكور لا يكون من أهل التقوى كما هو واضح، فضلاً عن أن يكون في أعلى درجاتها، كما هو شأن الزهراء (ع) وحالها، الذي دلّ عليه الحديث المتقدم.

الثاني: روى البخاري وغيره أنّ النبي (ص) قال: (فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني)، وقد دلّ العقل والكتاب والسنة على أن غضب النبي (ص) هو غضب الله تعالى، وهذا يعني بالتالي أنّ غضبها (ع) غضب الله تعالى. بل روى بعض علماء أهل السنة كالطبراني والحاكم في حديث صححوه عن النبي (ص) أنّه قال لفاطمة: (أنّ الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك). فهذه الأحاديث ونحوها تكشف على أنّها (ع) قد رزقت روحا طاهرة ونفسا نقية بل عالية في النقاء، وأنّه لا يمكن لمثلها أن تغضب من دون سبب مشروع أو ترضى من دون سبب مشروع، أو تكون ضحية لانفعالات شخصية ومزاج متقلب، كما يوحي إليه حديث الانطواء هذا الذي جاءنا به العقّاد، فهذه الأحاديث الصحيحة التي تتحدث عن أهم خصلتين يُعرف بهما الواقع النفسي للإنسان، وهما: الرضا والغضب، تناهض دعوى العقّاد هذه بالمرّة.

الثالث: أنّ الزهراء (ع) قد عاشت بعد أبيها فترة قصيرة جداً لم تتجاوز بضعة أشهر في أحسن الأحوال، فهي لم يتسن لها نشر الحديث وروايته كما تسنى لغيرها، ومن هنا كانت الأحاديث المنقولة عنها قليلة، ومع ذلك فهي لم تقتصر في أحاديثها هذه على شؤونها أو شؤون بيتها كما يدعي ذلك العقّاد - ومنه استفاد حديث الانطواء هذا -، بل اشتملت أحاديثها على جوانب مختلفة من شؤون الحياة والشريعة، فمن هذه الأحاديث: حديث المسارة، وحديث القول عند المسجد، وحديث ألا يلومن امرؤ إلا نفسه يبيت وفي يده رمح مخمر، وحديث ترك الوضوء مما مسته النار، وحديث ساعة الإجابة في يوم الجمعة، وغيرها من الأحاديث.

هذا فضلاً عما روي عنها في خطبتها الموسومة بـ(الفدكية) في المسجد النبوي، والتي اشتملت على معارف جمّة من علوم الإسلام وفلسفة الشريعة والتي كانت قد صاغتها (ع) ببلاغة ترقى إلى بلاغة أبيها المصطفى (ص) وبعلها المرتضى (ع)، فانظر في ذلك ما ذكر ابن طيفور (المتوفى سنة ٣٨٠للهجرة) من هذه الخطبة في كتابه (بلاغات النساء).

ولكن الملاحظ قبل هذا وذاك أنّ هذه الدعوى لم تستقم للعقاد في سطرين حتى وقع ـــ بسببها ـــ في التهافت والتناقض من حيث يدري أو لا يدري.

فانظر إلى قوله: (ويبدو لنا انطواء الزهراء على نفسها في الأحاديث المروية عنها، فلم تعرض قط لشيء غير شأنها وشأن بيتها). ثم انظر إلى قوله بعد ذلك مباشرة: (ولم تتحدث قط في غير ما تُسأل عنه أو يلجئها إليه حادث لا مليء منه، فلا فضول هنالك في عمل ولا مقال).

فإن هذا الذيل من كلامه يناهض صدره، فالشخص الذي لا فضول في عمله ولا في مقاله، هو شخص منضبط غاية الانضباط، وملتزم مع نفسه غاية الالتزام، وهذا المعنى لا يستقيم بأي حال مع دعوى الانطواء التي تصدّر بها الكلام، فإنّ الشخص المنطوي ـــ كما علمنا ـــ هو شخص متقلب، مضطرب المزاج، لا ضبط ولا التزام له في أقواله أو أفعاله.. فالتهافت واضح في الطرح المذكور. وكأنّ هذه الفكرة التي أراد (العقاد) تسويقها لنا عبر هذه المفردة (الانطواء) لم تصمد أكثر من سطرين حتى انسابت الكلمات الأخيرة بعفوية لتدفعها وتدحضها من الأساس، وكأنّ حال هذه

• أكبر الظن أن الزهراء الصغيرة لم تستغرب شيئاً مما كان يحيط بها وهي تدرج في مهدها، ولكن الطفل الذي يحسب هذه المشاهد من مألوفاته ينفرد بمألوفات لا تتكرر من حوله، ويتخذ له قياسا للألفة والغرابة منفردا بين أقيسة النفوس.

• وأكبر الظن أنه ينشأ منطويا على نفسه، مستخفا بما يخف له الناس من حوله، متطلبا من عادات النفوس وطبائعها غيرما يتطلبون.

البرعوى كما قال المولى سبحانه في محكم كتابه المجيد: (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأرض).

وأما قول العقاد في ص ٢٧ و٢٨

- جاء في أسد الغابة عن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب أنه قال: (لما تأيّمت أم كلثوم من عمر بن الخطاب دخل عليها حسن وحسين أخواها فقالا: (إنك ممن قد عرفت سيدة نساء المسلمين وبنت سيدتهن، وإنك والله إن أمكنت علياً من رمتك لينكحك بعض أيامه، وإن أردت أن تصيبي بنفسك مالاً عظيماً لتصيبنه)، فوالله ما قاما حتى طلع علي يتكئ على عصاه، فجلس فحمد الله وأثنى عليه وذكر منزلتهم من رسول الله، وقال: قد عرفتم منزلتكم عندي يا بني فاطمة وآثرتكم على سائر ولدي لمكانكم من رسول الله (ص)، فقالوا: صدقت رحمك الله، فجزاك الله عنا خيرا. فقال: أي بنية! إن الله (عز وجل) قد جعل أمرك بيدك، فأنا أحب أن تجعليه بيدي. فقالت: أي أبه! إني امرأة أرغب فيما يرغب فيه النساء وأحب أن أصيب مما تصيب النساء من الدنيا، وأنا أريد أن أنظر في أمر نفسي. فقال: لا والله يا بنية! ما هذا من رأيك. ما هو إلا رأي هذين! ثم قام فقال: والله لا أكلم رجلاً منهما أو تفعلين، فأخذا بثيابه فقالا: اجلس يا أبه، فوالله ما على هجرتك من صبر. اجعلي أمرك بيده. فقالت: قد فعلت! قال: فإني قد زوجتك من عون بن جعفر، وإنه لغلام، وبعث لها بأربعة آلاف درهم.

- هذه المؤامرة المحبكة بين أخوين وأختهما ليسعداها بزواج أرغد من الزواج الذي يختاره أبوهم ___تنتهي بطاعة الحب للأب الذي لا يصبر على غضبه وتدل في سرها وعلانيتها على أجمل ما يكون بين الأخوة والآباء من عطف وتوقير..

- وليس فيها من الشبه برواية البلاذري غير إشفاق الفتاة من عيشة الضنك دون أن يكون هناك خطيب معروف تقابل خطبته بالاعتراض والمراجعة، وشتان مقال أم كلثوم وما رواه الرواة عن أمها البتول.

فنقول: هذه القصة التي ساقها العقاد عن (أسد الغابة) باطلة لأمرين: وجداني وتاريخي:

أمّا الأمر الأول (الوجداني): فمن المعلوم عند المسلمين جميعا من سيرة أهل البيت (ع) أنهم في العبادة والزهد والخلق الرفيع بمقام لا تصح معه مثل هذه النقولات الغريبة عنهم وعن واقعهم، لما توحي إليه بأنهم كانوا يميلون إلى حطام الدنيا وزخرفها، وأن تأدب صغارهم مع كبارهم لم يكن بالمستوى المطلوب. إنّ هذا النقل يشبه بمن يريد أن يخبر الناس عن بخل حاتم الطائي، أو جبن عنترة بن شداد العبسي ويطلب منهم أن يصدقوه في خبره.. إن هذا مردود مرفوض لأنه مخالف لما هو معلوم بالوجدان، بل لا يبعد أن تكون هذه الرواية من موضوعات بني أمية كما يشهد بذلك الأمر الثاني الآتي بيانه.

وأمّا الأمر الثاني: فمن المعلوم ـ تاريخياً ـ أنّ عون بن جعفر كان قد

أستشهد في حرب تستر كما يذكر ذلك ابن الأثير نفسه، وفي ذات المصدر الذي ينقل العقاد هذه القصة عنه. (انظر: أسد الغابة٤: ١٥٧ ترجمة عون بن جعفر).

وهذه الحرب، أي حرب تستر كانت قد وقعت في عهد عمر، كما هو معلوم، الأمر الذي يعني أنه لا يمكن أن تصح معه دعوى عودة عون بن جعفر حياً بعد مقتل عمر ليتزوج أرملته أم كلثوم (كما جاء في أسد الغابة ٥: ٦١٥).

فالرواية المذكورة منحولة موضوعة يكشف مضمونها عن زيفها، فضلاً عن هذا الدليل التاريخي الذي سقناه، ومن نفس المصدر الذي كان العقاد ينقل هذه القصة عنه.

نقول: وكان حرياً بالعقاد حين أعوزه الدليل التاريخي لكشف زيف هذه الرواية وبطلانها أن يردها وجدانياً لما ثبت عنده وعند غيره من السيرة المقطوع بها عن واقع أهل البيت (ع) وسلوكياتهم التي لا تتلاءم ومثل هذه النقولات.

قول العقاد في ص ٣٠:

• وكان أسعد ما يسعدان به عطف الأب الأكبر الذي كان يواليهم به جميعا ولا يصرفه عنه شاغل من شواغله الجسام في محتدم الدعوة والجهاد، وقد أوشكت كل كلمة قالها في تدليل كل وليد أو الترحيب به أن تصبح تاريخا محفوظا في الصدور والأوراق.

• فلما ولد الحسن سماه والداه حربا فجاء رسول الله فقال: أروني ابني ما سميتموه؟ قالوا: حرب! قال: بل هو حسن، وهكذا عند مولد الحسين، وعند مولد المحسن، وقد مات وهو صغير.

نقول: ما يزال يخف ويأتي العقاد للروايات الموضوعة، ولا تعينه خبرته وثقافته الإسلامية على تمييز الصحيح من المنحول، فهذه الحكاية التي نقلها في تسمية الحسن (ع) من قبل علي (ع) أو غيره عند ولادته بحرب، ثم تسمية الحسين (ع) بهذا الاسم كذلك ثم تسمية المحسن السقط (ع) به أيضاً تكذّبها عدة أمور:

الأوّل: لما ورد عن النبي (ص) فيما رواه احمد وأبو داوود والنسائي والبيهقي وغيرهم وصححه الألباني في سلسلته الصحيحة (٣: ٣٣ برقم ١٠٤٠) أنّه قال: (أحبّ الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة).

فهل يعقل أحد من المسلمين أن أهل بيت النبوة (ع) كانوا يسارعون إلى تسمية أولادهم باسم هو من أقبح الأسماء إلى الله، إن هذا الفعل يرده المنطق والعقل السليم.

الثاني: أن حرباً هو جد الأسرة الأموية التي هي من ألد أعداء الدين وأعداء أهل البيت (ع) بالخصوص، فهو يمثل رمزاً من رموز الجاهلية التي يناهض أبناؤها الإسلام ويحاربونه سراً وجهراً، ولا يعقل من أحد دخل الإسلام وشرح الله صدره بالإيمان أن يسمي أبناءه بمثل هذا الاسم فضلاً عن أهل البيت (ع)، إن هذا بعيد جداً، بل هو من موضوعات بني أمية أرادوا به رفع القباحة عن اسم جدهم التي صدح بها الحديث الصحيح المتقدم.

الأمر الثالث: من المعلوم ـ باتفاق المؤرخين ـ أن المحسن السقط (ع) لم يولد في حياة النبي (ص)، وإنما ولد بعد حياته بقليل، وهذا يكشف عن زيف هذه الرواية التي استند إليها العقاد والتي تقول أن رسول الله (ص) لما ولد الثالث من ولد فاطمة (ع) قال: أروني ابني ما سميتموه؟ قلت: حرباً، فقال: بل هو محسن. (رواه احمد وغيره).

فهذه الرواية التي أستند إليها العقاد هنا ـ كسابقتها ـ لا نصيب لها من الصحة وإن صححها البعض سنداً، بل هي من موضوعات بني أمية من دون أدنى شك، فإنّ صحة السند لا تكشف عن صحة المتن دائماً، فكم من أسانيد صحيحة لها متون موضوعة، فالذي يضع المتن لا يعسر عليه وضع السند.

• وخلاصة الحديث في أمر (فدك) أنها قرية كان النبي يقسم فيئها بين آل بيته وفقراء المسلمين، فلما قضى (ع) أرسلت فاطمة إلى أبي بكر تسأله ميراثها فيها وفيما بقي من خمس خيبر!.. فقال أبو بكر: (إن رسول الله (ص) كان يقول: إننا معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة.. وإني والله لا أغيّر شيئاً من صدقة رسول الله عن حالها التي كان عليها) ويقال أن الزهراء احتجت عليه بقوله تعالى عن نبي من أنبيائه ـــ زكريا ـــ: (يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) وقوله تعالى: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ).. وإن أبا بكر قال لها: (يا بنت رسول الله! أنت عين الحجة ومنطق الرسالة لا يد لي بجوابك ولا أوقعك عن صوابك، ولكن هذا أبو الحسن بيني وبينك هو الذي أخبرني بما تفقدت، وأنبأني بما أخذت وتركت).

قول العقاد في ص٤٢ فيما يتعلق بأمر فدك وأن أبا بكر قال للزهراء (ع): (... ولكن هذا أبو الحسن بيني وبينك.. بما أخذت وتركت).

نقول: إنّ هذا المقطع الذي جاء به العقاد هنا منحول كسابقه؛ إذ المعروف عن علي (ع) أنّه كان أحد شهود الزهراء (ع) بأحقيتها في فدك (انظر: فتوح البلدان١: ٤٣٤)، ومعه كيف يصح جعله قاضياً هنا في نفس القضية؟!

• جد من كل جانب تركن اليه، وانطواء على النفس لا تستغربه ولا تحب ان تتبدله، ملاذها في كل هذا حنان أبوين لا كالآباء: حنان جاد رصين.

• ويبدو لنا انطواء الزهراء على نفسها من الأحاديث المروية عنها، فلم تعرض قط لشيء غير شأنها وشأن بيتها، ولم تتحدث قط في غير ما تسأل عنه أو يلجئها إليه حادث لا ملجأ منه، فلا فضول هنالك في عمل ولا في مقال..

قدوة نابضة بالحياة على مرّ العصور

علياء الانصاري/ كاتبة وباحثة اسلامية/ مديرة منظمة بنت الرافدين/ بابل

السيدة الزهراء بنت محمد عليهما أفضل الصلاة والسلام، من الشخصيات العظيمة التي عاشت لأجل البشرية كلها، لم تعش لنفسها يوما، بل عاشت للإسلام فهي خالدة ما دام الإسلام خالدا.

الزهراء (ع) أعطت كل ما تملكه للإنسانية، فهي قدوة لها ما دامت الإنسانية تنبض بالحياة.

فالقدوة كل شخصية نابضة بالحق ومجسدة للمبادئ. أعطت من نفسها للآخرين لأن الآخرين كانوا جزءاً من حياتها.. تلك الحياة التي تحتاجها البشرية دوما لتستمر في العطاء.

وفي هذا البحث سنقدم على عجالة الإنسانة القدوة التي تحتاجها البشرية في كل مفردات حياتها وخاصة في الزمن الصعب الذي يعاصر الحقبة التأريخية الحالية بما فيها من تضبيب وتشويه لصورة الإنسان المسلم وخاصة المرأة المسلمة التي عاشت ظروفا صعبة وتحملت أعباء موروثات فكرية واجتماعية أعطت لنفسها الحق في التحكم بمصير المرأة وصياغة حقوقها وطبيعة حياتها وأحكمت قبضتها على مفردات مفصلية في حركة المرأة.

سنستعرض بضعاً من الزهراء (ع) المرأة القدوة لكل المسلمين رجالاً ونساء.. وعلى مرّ العصور والأزمان.

قراءة التأريخ

للتأريخ دور مهم في حياة الشعوب، وقراءة التأريخ فن له أصوله وقواعده، فالأمة التي لا تجيد هذا الفن ستكون أمة متكورة على نفسها، متزلزلة على أرضها، هشة في واقعها.

ولذلك كانت القراءة الخاطئة للتأريخ الإسلامي من أهم عوامل تدهور الأمة الإسلامية فيما بعد وضياعها.

ولذلك تأتي الظاهرة الاستذكارية للمناسبات الدينية المختلفة في حاضر الأمة أمراً مهما يحرص عليه المخلصون والمثقفون والحركيون في الأمة وعلى ممارسته باستمرار، تلك الممارسة الواعية للمفهوم والفكرة حتى تصبح المناسبة الدينية عنصرا مهما من عناصر تكوين الشخصية الإسلامية للفرد المسلم وعاملاً حيوياً في بناء المجتمع المسلم المتكامل الذي وصفه القرآن الكريم بأنه خير أمة أخرجت للناس.

فالمناسبة الدينية مضخة أمل كما هي مضخة عمل، يتزود منها الإنسان ما يستعين به ليواصل مسيرته الاستخلافية على وجه الأرض بما وكل إليه من واجبات ومسؤوليات تجاه نفسه وعالمه الصغير والكبير في كل قضاياه ومواقفه وتفاصيله.

وفي هذا المضمار تطرح أسئلة نفسها:

١) يا ترى ألا يوجد في الزمن المعاصر الحافل بالشخصيات والأحداث ما يشغل بال الإنسان ويثير فضوله ويغنيه عن تلمس الفكرة في أعماق التأريخ؟

٢) لماذا التوقف عند التأريخ والحياة تركض بسرعة، والإنسان يصنع في كل يوم تاريخاً جديداً.. هل هناك حاجة إلى الرجوع إلى الماضي والحاضر زاخر بكل ما هو جديد؟

في حقيقة الأمر إن التأريخ بعناصره المشرقة، ونماذجه الحية، وصوره الرائعة، يمثل جذورنا، والجذور يجب المحافظة عليها وتعميقها وتأصيلها على أساس الحق والعدل لأن أمة بلا جذور هي أمة يمكن لأية ريح أن تستأصلها بسهولة، هي أمة لا تصمد لا في معترك الحضارات وصدامها، ولا في حوارها وتلاقيها.

ودعوتنا إلى الرجوع إلى التأريخ لنأخذ من شخصياته مثلنا الأعلى أو قدوتنا لا يعني أن نجمد فيه أو ننغلق عليه.. ليس معناه أن نعود بحاضرنا إلى التأريخ، بل نعني أن نأتي بتلك الشخصية إلى الحاضر الذي نعيشه بكل مفرداته ويومياته لتكون معنا بكل مفرداتها ويومياتها.

فعندما نسبر غور التأريخ فلأن لنا فيه أكثر من قيمة، قيمة ترتفع بالروح عن كل ما هو مادي وأرضي، لنا في التأريخ خط لابد أن نسير عليه، لنا في التأريخ رسالة لابد أن نجسدها في واقعنا اليومي.

لماذا القدوة في حركة الإنسان في الحياة؟

الغريزة الفطرية الملحة في كيان الإنسان والمتمثلة برغبته في التقليد والمحاكاة تدفعه إلى البحث عن الأنموذج الذي يلاقي إعجاباً لديه ويلبي رغبته في التقليد، فيأخذ الإنسان وخاصة الناشئة والشباب بالبحث عن الأنموذج المحبب لنفوسهم لكي يقلدوه ويحاكوه، وفي دراسة أجريت على (٤٤٦) شابا و(٩٤) فتاة تبين أن ٧٥٪ يرون أن وجود القدوة مهم جداً. وهي من أكثر الوسائل

تأثيرا فيهم.

وتكمن أهمية القدوة في حركة الإنسان في أن الفكرة هي في حقيقتها خيال وتصور ذهني لا يرى الإنسان فيها أي واقعية؛ وقد تثير علامات استفهام كثيرة في أنها لا تملك كل عناصر التطبيق في حركة الواقع الإنساني، لذلك يبحث الإنسان عن واقعية الفكرة وعن حركيتها يبحث عن مدى قابليتها للتجسيد على أرض الواقع. فالفكرة تبقى شيئاً في العقل فإذا تحركت في الواقع صارت إنساناً يتحرك.

فحيوية الفكر وفاعليته لا يمكن أن تتكرس إلا من خلال التجربة الإنسانية، فمثلاً لا يمكن أن ندرك عمق الصدق ما لم نجد شخصيات صادقة جسدت هذه الفكرة في حياتها، ولا يمكن أن ندرك عظمة التسامح والمحبة ما لم نجد شخصيات فاضت بالحب على الآخرين، بل كانت هي حباً متجسداً بالخير والتسامح والعفو والعطاء سائراً على قدمين يجوب الأرض.

فالقدوة أو الشخصيات القدوة في التأريخ الإسلامي هي التي تمثل حركية الفكرة على أرض الواقع، تلك الحركية الواقعية التي تمنحنا الثقة بالفكرة كشيء يمكن أن يدخل حياتنا وأن نطبقه في يومياتنا وأن نعيشه في كل تفاصيل حياتنا.

يقول الشهيد السيد محمد باقر الصدر (رض) في كتابه (المدرسة القرآنية): (بقدر ما يكون المثل الأعلى للجماعة البشرية صالحا وعاليا وممتدا تكون الغايات صالحة وممتدة، وبقدر ما يكون هذا المثل الأعلى محدودا أو منخفضا تكون الغايات المنبثقة عنه محدودة ومنخفضة أيضاً).

ولو تساءلنا مع أنفسنا: لماذا لا يتخذ الكثير من الناس وخاصة الشباب تلك الشخصيات قدوة لهم في حياتهم، ويميلون إلى اتخاذ المغنين أو الرياضيين وغيرهم قدوة لهم في الحياة.

أعتقد أن السبب في ذلك يعود إلى نمطية عرض الشخصيات التأريخية الإسلامية، حيث يكون عرضها وخاصة بالنسبة للأنبياء والأئمة والمعصومين (ع)، عرضاً خاطئاً، فتقدم تلك الشخصيات على أنها شخصيات ذات صفات وأحوال خاصة بها يصعب على المرء تطبيقها أو يعجز الشاب عن إدراك مكنونات تلك الشخصية؛ فيراها بعيدة المنال، محلقة في السماء، صعب عليه أن يأخذ شيئاً منها لينزله إلى واقعه ويتفاعل معه في حياته.

إنهم يحبون الزهراء (ع) ابنة رسول الله (ص) ويعظمون دورها في التأريخ بل ويقدسون ذكراها، ولكنهم لا يتخذونها قدوة لهم، لأن الزهراء شخصية تأريخية سماوية (حورية أنسية)، لا يمكن أن يأخذوا منها ما ينفعهم في حياتهم لأن تلك الشخصية لا تمثل مفردات واقعهم ولا يمكن أن تنزل إلى يومياتهم.

علينا أن نقدم القدوة بأبسط صورة لكي يتمكن الناس وخاصة الشباب من التعرف عليها بوضوح والتفاعل معها، أن نقدم القدوة بالشكل الذي يستطيع الشاب أن يقرأ صفاتها وأفعالها قراءة موضوعية واقعية تقدم له التجربة الناضجة والخط الواضح والحقيقة الصريحة بما تمكنه من الاستزادة منها والتحلي بصفاتها.

نحن بحاجة إلى القدوة التي تعيش معنا تفاصيل حياتنا وإن كانت شخصية تأريخية، لسنا بحاجة إلى شخصيات تأريخية مقدسة بعيدة المنال وصعبة الفهم على واقعنا وأذهان شبابنا.

الزهراء (ع)، قدوة للإنسانية

في هذه العجالة سنقرأ السيدة الزهراء (ع) كشخصية إسلامية قدوة لجميع المسلمين، وإن بقيت شخصيتها المقدسة قدوة للنساء بشكل خاص باعتبارها سيدة نساء العالمين.

السيدة الزهراء (ع) شخصية متجددة في كل زمن، لأنها تختزن حيوية الفكرة المتجددة بالحياة المعطاء التي لا ينضب معينها.

في خضم الصراعات الفكرية والتحديات الكثيرة التي تواجه المرأة المسلمة اليوم وخاصة المرأة العراقية أحوج ما تكون إليه هو تلاحم الفكرة النابضة بالحياة مع التجربة الصادقة المجسدة لتلك الفكرة، وتطابق المفهوم مع السلوك لصياغة الشخصية المتزنة السائرة نحو الكمال.

وفي هذه العجالة، سنسلط الضوء على دور الزهراء (ع) في الساحة الاجتماعية والسياسية لأهمية هذين الدورين في عصرنا الراهن ولتغييب هذين الدورين عن حركة المرأة المسلمة في واقعنا وإقصاءها عن هاتين الساحتين.

شرعية العمل السياسي للمرأة

عندما نستقرئ حركة الزهراء (ع) في الواقع الإسلامي وهي المرأة

المعصومة بحيث أن كل ما تقوم به من عمل أو تتحدث به يمثل شرعية بكل ما تعنيه الشرعية نستوحي منه شرعية دخول المرأة في ساحة الصراع السياسي من موقع المسؤولية، تلك المسؤولية التي أوجبتها الآية المباركة: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ).

فالمعروف يتسع لكل عدل وكل حق في الحياة كما المنكر يتسع لكل الظلم والباطل في الحياة.

كما أن مفردة (بعضهم) تدل على تلاحم الجهد البشري وتنوعه في الذكر والأنثى، والتنوع لا يعني المفاضلة كما لا يعني الفوقية أو التبعيض في الأدوار على حساب فئة نوعية معينة.

(البعض) يعني التلاحم، يعني الاتحاد.. هما واحد المؤمن والمؤمنة، ولأنهما واحد فكلاهما يكمل الآخر في كل أدوار الحياة.. ومنها الدور الإصلاحي في المجتمع، فحديث الآية المباركة عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يختزن أمرين مهمين:

١) بديهية تواجد المرأة في الساحة الاجتماعية والسياسية (تواجدها خارج البيت)، فلا يمكن أن تمارس هذا الدور داخل جدران البيت.

٢) ضرورة تسلح المرأة بالعلم والمعرفة والوعي والحكمة، بل بكل العلوم والمعارف على اختلافها، فعندما تتحرك في المجتمع وتمارس هذا الدور الرسالي المماثل لدور الأنبياء عليها أن تكون ذات شخصية قوية ناضجة تتمتع بصفات عالية من الخلق والتسامح والمحبة ورحابة الصدر والكياسة والحكمة والصبر والفصاحة لأن كل هذه الأمور تحتاجها الشخصية المصلحة حتى تتمكن من التأثير في الآخرين وحتى تكون كلمتها مسموعة ذات وقع محبب في النفوس لتتمكن من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالوجه الصحيح.

كما على هذه الشخصية أن تكون ملمة بالعلوم والمعارف المكتسبة من علم الاجتماع وعلم النفس وعلم الفقه ودراية بمواطن الحق والباطل وأن تدرس الساحة التي تتحرك فيها.

واحتراز الأمر الثاني لا يقتصر على المرأة وحدها، بل على الرجال أيضاً، حتى يتمكن من القيام بدوره على أكمل وجه.

في المعارك

في رواية مسلم في صحيحة، الجزء الثالث في الصفحة ١٤١٦، الحديث ١، جاء ما يلي: (أنه سمع سهيل بن سعد يسأل عن جرح رسول الله (ص) يوم أحد فقال، جرح وجه رسول الله (ص) وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة بنت رسول الله (ص) تغسل الدم، وعلي بن أبي طالب يسكب عليه بالمجن (الترس)، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة، أخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رماداً ثم ألصقته بالجرح فأستمسك الدم).

مع الأحداث

المتتبع لسيرة الزهراء (ع) يجد أنها استقبلت نساء المهاجرين والأنصار (دلائل الزهراء، ص ٨٧). وأنها تحدثت إلى رجالهن في حوارها معهم في قضية الخلافة، كما استقبلت الشيخين أبا بكر وعمر عندما جاءا يسترضيانها (الإمامة والسياسة، ص ١٤). كما تتحدث سيرتها أنها كانت تطوف على نساء المهاجرين والأنصار لتحدثهن عن حق علي (ع).

كما كانت تخرج مع زوجها علي وتطوف على بيوت المسلمين، سيما الأنصار، لتحدثهم عن حق علي (ع) وجدارته في الخلافة، وهذا العمل على كونه نشاطاً سياسياً فهو يعتبر نشاطاً إعلامياً أيضاً. لأن الإعلام ركن مهم من أركان السياسة بل هو المسند الذي تتكئ عليه السياسة، لذلك انشغلت الزهراء (ع) بهذا النشاط الإعلامي لإدراكها أهميته وخطورته في دعمه لتحركها السياسي الرامي إلى إقامة دولة العدل والحق.

وقد جاء في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة: (وخرج علي كرم الله وجهه يحمل فاطمة بنت رسول الله (ص) على دابة ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النصرة، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أن زوجك وابن عمك سبق الينا قبل أبي بكر ما عدلنا به، فيقول علي كرم الله وجهه، أفكنت أدع رسول الله (ص) في بيته لم أدفنه وأخرج أنازع الناس سلطانه؟ فقالت فاطمة: ما صنع ابو الحسن إلا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم) (الإمامة والسياسة، ص ١٢).

لقد عاشت الزهراء (ع)، في قلب الأحداث بعد رسول الله، ولم تنعزل يوما أو تهمش دورها كما كانت في قلب الأحداث مع رسول الله ولم تغب لحظة واحدة عن رسالة الرسول ودعوته ومسؤوليته في الحياة، فكانت معه في كل تفاصيل رسالته وكل تفاصيل دعوته وكل يومياته في الجهاد حتى لقبها الرسول ب (أم أبيها).

الزهراء رائدة النشاط السياسي للمرأة

لقد خاضت الزهراء (ع) العمل السياسي كأقوى ما يكون، ووقفت وحدها من دون النساء في وجه السلطة لتتحدث وتقيم الحجة وتذكر الأمة بكلمات رسول الله (ص) ومع أنها لم تسمع غير الاعتذارات المقنعة، إلا أنها بقيت في خط المواجهة ودائرة المعارضة بكل عزيمة وطاقة وإصرار وثبات.

وقد عبرت عن معارضتها أجلى تعبير وأصدقه من خلال خطبتها في المسجد والتي تمثل وثيقة حية في التشريع الإسلامي والمفردات السياسية.

كما تعتبر خطبتها التي ألقتها على نساء المهاجرين والأنصار - في تلك الزيارة التي جاءتها فيها النساء ليعدنها في مرضها الذي توفيت فيه وأخذن يسألنها عن صحتها ومرضها - من أروع الخطب، والتي تلون نشاط الزهراء (ع) بصبغة المعرفة والحكمة والدراية والعزيمة والثبات. حيث أجابتهن قائلة: (أصبحت والله عائفة لدنياكن، قالية لرجالكن..).

ويذكر صاحب الاحتجاج بعد إيراده الخطبة نقلا عن سويد بن غفلة: (فأعادت النساء - نساء المهاجرين والأنصاري قولها (ع) على رجالهن، فجاء إليها قوم من المهاجرين والأنصار معتذرين، وقالوا: يا سيدة النساء، لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الأمر قبل أن يبرم العهد ويحكم العقد لما عدلنا عنه إلى غيره، فقالت: إليكم عني، فلا عذر بعد تعذيركم، ولا أمر بعد تقصيركم).

ويمكن مراجعة هذه الخطبة في مصادر عديدة كمعاني الأخبار للشيخ الصدوق، والأمالي للشيخ الطوسي، وشرح النهج لابن أبي الحديد.

قمة الاحتجاج

وكانت قمة احتجاج الزهراء (ع) ولنقل كمال نشاطها السياسي تمظهر في وصيتها بأن تدفن سراً في الليل وأن لا يحضر جنازتها الذين أذوها وظلموها، لترتسم في الأفق الرحب الممتد ما بين التأريخ والحاضر في أزمنة العصور كلها علامة استفهام كبيرة، لماذا أوصت الزهراء أن تدفن ليلاً؟

مسؤولية المرأة الثقافية

لنقرأ محطات في حياة الزهراء (ع):

١. جاء في مسند فاطمة، ص ٥٨٥، وفي دلائل الزهراء للطبري، ص ٨٢: (لما جاءت فاطمة تشكو إلى رسول الله (ص) بعض أمرها، أعطاها كربة - أصل السعفة وكان يكتب عليها - وقال تعلمي ما فيها.. فإذا فيها، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو يسكت).

من خلال استقراء الحديث، نجد حرص الرسول على تعليم الزهراء (ع)، ذلك الحرص الذي لا يدع فيه فرصة أو مناسبة إلا وأغتنمها ليعطي لابنته درسا في فن الحياة.

وهذا المربي العظيم حرص دوما على تربية وإعداد ابنته لتكون إنسانة متحركة في الحياة واعية لدورها وقيمتها في الوجود. كما حرصت هي (س) على أن تكون التلميذة المجدة والابنة الدؤوبة.

في هذا الدرس أراد الرسول أن يعلم فاطمة (س) ويعلمنا جميعا أن نخفف الآلام من خلال الانشغال بالقيم الإنسانية، فالإنسان الواعي يعيش الاهتمام بالقضايا الكبرى لكي ينسى آلامه ويستصغرها. عندما نتحرك بالهم الإنساني الكبير، ونندمج في المجتمع وقضاياه الكبيرة تذوب عندها قضايانا الغصيرة ومتاعبنا الذاتية... وهكذا كانت الزهراء.

في هذا الحديث نقرأ أيضاً، أهمية العلم والعلم والمكتوب بشكل خاص، نجد حرص الرسول على أن يدون العلوم لتبقى ذخرا للآخرين.. وهذا ما فعلته الزهراء عندما دونت العلوم والمعارف في أول كتاب تألفه امرأة في تأريخ البشرية، وهو ما تعارف على تسميته لاحقا ب (مصحف فاطمة).

٢. روى الشيخ الكليني ، جاء رجل إلى فاطمة (ع) فقال: (يا ابنة رسول الله. هل ترك رسول الله ـ عندك ـ شيئاً "تطرفينيه" فقالت: يا جارية هات تلك الحريرة فطلبتها، فلم تجدها. فقالت: ويحك اطلبيها فإنها تعدل عندي حسنا "وحسينا" ، فطلبتها فإذا هي قد قممتها في قمامتها، فإذا فيها: قال محمد النبي: ليس من المؤمنين من لم يأمن جاره بوائقه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يؤذي جاره. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً، أو يسكت، إن الله يحب الخير الحليم المتعفف، ويبغض الفاحش والضنين السائل الملحف، وإن الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، وإن الفحش من البذاء، والبذاء في النار) (وهكذا رواها الهيثمي في مجمع الزوائد بفارق بسيط)، في هذه الرواية نجد الزهراء الأم تعادل ولديها الحسن والحسين (ع) بوريقات فيها حديث!!

وفي هذا لأكبر دلالة على منزلة العلم لدى سيدة نساء العالمين وحرصها على أن تدون كل علومها ومعارفها على ورق للحفاظ عليه ولكي ينفع الآخرين أيضاً فيما بعد.

ومن خلال قراءتنا لهذا الحديث، نجد أن الزهراء (ع) كانت تستقبل الرجال وتجيب على اسئلتهم واستفساراتهم وتعظمهم أيضاً.

كما ينقل كتّاب السيرة ومؤرخو التأريخ أن الزهراء كانت تعطي دروساً لنساء المهاجرين والأنصار في المدينة حيث كن يجتمعن عندها في حلقة واحدة بما يشبه الحلقات الدراسية والندوات الثقافية، تعلم النساء وتثقفهن وتجيب على أسئلتهن في مختلف المجالات.

٣ – جاء في بحار الأنوار ج ٢٦، ص ٣٨، عن الإمام الصادق (ع) في خبر: (...وعندنا مصحف فاطمة، أما والله ما هو بالقرآن).

في هذا الحديث وفي غيره نجد الزهراء (ع) رغم انشغالها ببيتها وأولادها ومتاعب الحياة آنذاك بحيث تأخذ أعمال المنزل وقتاً كثيراً من المرأة وجهدا كبيراً، ورغم انشغالها كونها ابنة النبي ومشاركتها له في أمور الدولة وأعباء الرسالة، وكذلك متاعبها ومشاغلها كزوجة، وما كان لها من ارتباطات وعلائق مع المجتمع.. مع كل هذا كانت الزهراء (ع) تفرغ من وقتها لتوظفه في عملية التدوين والتأليف، فيؤرخها التأريخ كأول كاتبة في الإسلام.

وعن ماهية ذلك الكتاب قال الإمام الصادق (ع): (مصحف فاطمة (ع) ما أزعم أن فيه قرآناً، وفيه ما يحتاج الناس إلينا ولا نحتاج إلى أحد، حتى أن فيه الجلدة ونصف الجلدة وربع الجلدة وأرس الخدس) (البحار / ج ٢٦، باب١، ص ٣٧، رواية ٦٨).

٤ – كما ورد في كتب الرواية أن الزهراء (ع) تعيش الجو الإيماني الروحي في هذا البيت، حتى أن أولادها كانوا يتنفسون في طفولتهم ذلك، ويحدث ولدها الإمام الحسن (ع) وقد كان طفلاً، أنه كان يراقبها، وكان يراها تعبد الله ليلة وليلة، حتى قال أنها كانت تقوم الليل حتى تتورم قدماها، ومن الطبيعي أن ذلك يكون من خلال طول قيامها، لأن طول القيام هو الذي يضغط على القدمين، وطول القيام يوحي بطول المناجاة وطول الانفتاح على الله، ويصغي ولدها بكل طهر طفولته، وفي ركعة الوتر كانت تدعو للمؤمنين والمؤمنات، وينتظر هذا الطفل الإمام أن تدعو لنفسها، وهي الضعيفة بدنياً والتي عاشت المعاناة في كل أوضاعها، فلا يسمع ذلك فيسألها بعد أن تفرغ من صلاتها: (أماه لم لا تدعين لنفسك).. فتجيبه: (يا بني الجار ثم الدار).

من خلال هذه الحادثة التأريخية التي ينقلها كل المؤرخين على اختلاف مشاربهم، نستوحي:

أ: الشخصية الرسالية التي تحمل هموم الآخرين قبل همها، وتتحدث عن متاعب الآخرين قبل أن تتحدث عن متاعبها، وتطالب بحقوق الآخرين قبل حقوقها.

ب: الشخصية الرسالية التي تسعى لإدماج همومها مع هموم الجماعة، بحيث لا يبقى هناك متسع للتفكير في الأنا الفردية.

ج: الشخصية الرسالية التي تتمتع بشبكة علاقات واسعة في المجتمع، والزهراء كان لها هذا العدد الكبير من المعارف والجيران والأصدقاء والأخوة في الإيمان، بحيث ينقضي الليل وهي تدعو لهم.

د: المرأة في مجتمع الرسول (ص) والمرأة التي نتحدث عنها هي الزهراء (ع)، كان لها الحق في الخروج وإثبات دورها في حركة المجتمع، كما كان لها علاقات اجتماعية واسعة ومعارف كثر وروابط أخوية تصل إلى القمة المتمظهرة في الدعاء والمناجاة.

بعد هذا الاستعراض الموجز للمحات من حياة الزهراء (ع) ـ المرأة المسلمة ـ لا يبقى أدنى شك من ضرورة مشاركة المرأة في كل تفاصيل الحياة، وخاصة في المرحلة الراهنة التي تمر بها أمتنا، فعلى المرأة أن تعيش الإسلام في طاعة الله، وفي الدعوة لدينه والعمل في سبيله، وسبيل الله كما يصفه الشهيد محمد باقر الصدر (ره) هو سبيل المجتمع، فكل شيء في سبيل المجتمع يصب في سبيل الله.

ومسؤولية المرأة لا تقل في شيء عن مسؤولية الرجل، فكلاهما مخاطب بالنداء الإلهي: (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ). وتتمظهر أهمية تحمل المرأة لمسؤوليتها، في الزمن الصعب الذي يعيشه مجتمعنا اليوم، زمن الإرهاب وتضليل الحقائق، الزمن الذي أصبح فيه الإسلام مدانا بالإرهاب والقمع ومصادرة الحياة.

ترتيلة في ذكرى وفاة الصديقة فاطمة الزهراء (ع)

الشاعر الدكتور عبد الهادي الحكيم

قال الإمام علي (ع) وهو يناجي رسول الله (ص) عند دفن البتول فاطمة الزهراء (ع):(السّلامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ عَنّي، وَعَنِ ابْنَتِكَ النّازِلَةِ فِي جِوَارِكَ، وَالسّرِيعَةِ اللّحَاقِ بِكَ!

قَلّ يَا رَسُولَ اللهِ، عَنْ صَفِيّتِكَ صَبْرِي، وَرَقّ عَنْهَا تَجَلُّدِي، إلاّ أَنّ لِي فِي التّأَسّي بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ، وَفَادِحِ مُصِيبَتِكَ، مَوْضِعَ تَعَزّ، فَلَقَدْ وَسّدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ، وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ. (إنّا لله وَإنّا إليه رَاجِعُونَ)، فَلَقَد اسْتُرْجِعَتِ الْوَدِيعَةُ، وَأُخِذَتِ الرّهِينَةُ! أَمّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ، وَأَمّا لَيْلِي فَمُسَهّدٌ، إلى أَنْ يَخْتَارَ اللهُ لِي دَارَكَ الّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ.

وَسَتُنَبّئُكَ ابْنَتُكَ بِتَضَافُرِ أُمّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا، فَأَحْفِهَا السُّؤَالَ، وَاسْتَخْبِرْهَا الْحَالَ، هذَا وَلَمْ يَطُلِ الْعَهْدُ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذّكْرُ..) نهج البلاغة للإمام علي (ع)/٢٢٠.

" أَلا أَيُّهَا المَوتُ الذّي لَيسَ تَارِكِيْ
أَرِحْنِي فَقَدْ أَفْنَيْتَ كُلّ خَلِيلِ
أَرَاكَ خَبِيراً بالذّينَ أُحِبُّهُمْ
كَأَنّكَ تَسْعَى نَحْوَهُمْ بِدَلِيلِ"
كَأَنّكَ جَاثٍ فَوقَ صَدْرِيَ مُوَكّلٌ
بِجَذّ فُرُوعِي وَاجْتِثَاثِ أُصُولِي
تُرَاقِبُهَا حَتّى إذا مَا تَشَابَكَتْ
بِدَلّ غُصُونِي بَعْدَ طُولِ مُحُولِ
وأَزْهَرَ عُودٌ واسْتَطَالَتْ فَسَائِلٌ
وَظَلّلَتِ القَفْرَ اليَبَابَ نَخِيلِي
هَوَيْتَ عَلى قَلْبِي تُبَضّعُ حُبّهُ
بِسَيفٍ رَقِيقِ الشّفْرَتَينِ صَقِيلِ
أَيا مَوتُ ما أَشْجَاكَ لاهبُ أَضْلُعِي
وَحُرْقَةُ آهاتي وَطولُ ذُهُولِي..؟!
خَطِفْتَ حَبِيبِي "أَحْمداً" ثُمّ عُدْتَ لِيْ
"لِتَخْتَلِسَ الزّهْرَاءَ" بَعدَ قَلِيلِ
وَكُنتُ "إذا ما اشْتَقْتُ رُؤيَةَ أَحمدٍ"
وَتَاقَتْ إلى الوَصْلِ الحَبِيبِ طُلُولِي
"أَرَتْنِيه" فِي تَبْتِيلِهَا وَخُشُوعِهَا
و"أَذْكَرَنِي تَرْتِيلُهَا بِخَلِيلِي"
فَضُمّ أَبَا الزّهْرَاءِ "بَضْعَتَكَ" الّتِي
أَتَتْكَ مَشُوباً غُصْنُهَا بِذُبُولِ
وَ"سَلْهَا" تُجِبْكَ الآهُ عَنْ كُلِ صَرخَةٍ
مُكَبّلَةٍ أو كُمّةٍ لعويلِ
وَأَلْحِفْ فَكَمْ مِنْ لاعجٍ بِفُؤَادِهَا
خَبِيءٍ وَكَمْ مِنْ حُرقةٍ وغَلِيلِ
وَعُدّ أَبا الزّهْرَاءِ أَضْلاعَ صَدْرِهَا
وَأَرْفِقْ فَمَكْسُورٌ بِجَنْبِ عَلِيلِ
وأَمْرِرْ عَلى المَتْنَينِ كَفّيكَ وَالْتَمِسْ
مَرَارَةَ حِقْدٍ أَسْوَدٍ وذُحُولِ
وَأَطْفِيءْ بِعَيْنَيها تَلَهّبَ جَمْرَةٍ
بِطِيبٍ مِنَ الثّغْرِ الرّحِيمِ جَمِيلِ

كتبت في سجن نظام البعث الفاشي/ أبي غريب:١٩٨٩م

وقفة اعتبارٍ مع الصدّيقة الزهراء (ع) في إسوتها الحسنة

قراءةٌ معرفية في ضرورة استيحاء القيم الجديدة من أصالتها المعصومة

الباحث مرتضى علي الحلي/ النجف الأشرف

بدايةً لابد من الاعتقاد بضرورة الأخذ من القيم الإيمانية الواعية التي وصلتنا من الصديقة الكبرى المعصومة فاطمة الزهراء(ع) فحريٌ بنسائنا من المهتديات بهدي الزهراء والمتثقفات بثقافة الزهراء (ع) والتي هي تُمثل ثقافة الله تعالى القويمة، ثقافة معرفة الله تعالى وثقافة معرفة حقوقه تعالى علينا ثقافة لا يُستَنكَف منها في هذه الوقت فتبدل الزمان والمكان لا يُغيّر من صورة القيم شيئاً بل تبقى القيمة قيمة وإن جرى ما جرى، وهنا أضيف شيئاً مهما وهو أنّ مشكلة الإنسان بشكل عام (رجل أو امرأة) تكمن في ابتعاده عن الله تعالى، فمعرفة الله تعالى مهمشة ثقافياً في تكوين أغلب الناس. وهنا تكمن الطامة الكبرى فالإنسان إذا جهل أمر ربه تعالى فقطعا سيجهل معرفة أوليائه وهذا ما أكدته الروايات في باب معرفة الله تعالى فهناك فقرة كثيراً ما نقرئها تؤكد هذه الحقيقة: (أللّهُمَّ عرفني نفسك فإنّك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف رسولك: اللّهُمّ عرفني نبيك فإنّك إن لم تعرفني نبيك لم اعرف حجتك: (اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي نَفْسَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفْ نَبِيَّكَ. اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي رَسُولَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي رَسُولَكَ لَمْ أَعْرِفْ حُجَّتَكَ. اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي حُجَّتَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي).

وعلى هذا الأساس فإنّ ابتعاد بعض النساء عن الزهراء (ع) ابتعاداً قيمياً ناتجٌ عن ابتعادهنّ حقيقة عن الله تعالى، وإلاّ لو كُنّ قريبات من الله تعالى لما رأينا ما رأينا هذا أوّلاً.

وثانياً: إنَّ نفس قيم الزهراء (ع) ومنظومتها الفكرية والسلوكية والمعرفية والعقدية مهمشة واقعاً في مؤسساتنا العلمية والدراسية، فشبابنا وشابتنا لا يعرفون الشيء الكثير عن تأريخ وحقيقة الزهراء (ع) في وقت نحن فيه بأمس الحاجة الوجودية إلى التأسي بالمعصوم، فالذي يُرجِع الفروعَ إلى أصولها في طرح مفهوم القدوة الحسنة في وقتنا هذا المتمثل بشخص الصديقة الزهراء (ع) هو تحديث أدوات الطرح معرفيا بما يتلائم ولغة الوقت وخصوصياته وتحديث البحث في موضوع قضية الزهراء (ع) بما يستوعب جميع مساحات حياتها، لا أن نركز على جانب ونهمل جوانب أخرى تاركين استيحاء الجديد من الأصيل قيمياً، فأئمتنا المعصومون (ع) علّمونا التفريع على التأصيل وخاصة ما ورد عن الإمام جعفر الصادق (ع) في قوله: ((إنما علينا أن نُلقي إليكم الأصول وعليكم أن تُفرّعوا))، وتقدم الشعوب يتحقق بقدر ما تحتفي وتقتدي بقدواتها قيمياً، ولذا حثنا الله تعالى على ذلك في قوله تعالى: ((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا))، وقوله تعالى: ((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ))، فبحكم هذا النص القرآني الشريف نكون نحن اليوم بأمس الحاجة المعرفية لقيم الزهراء (ع) وثقافتها البشرية كأنثى وزوجة وصدّيقة معصومة لأنَّ المعرفة التأريخية لوحدها فقط لا تكفي بل المطلوب التأسي وفق التأسيسات الأخلاقية والمنهجية المُستقاة من منظومة الزهراء (ع)، مثلاً عندما كَبُرَت الزهراء (ع) وشبّ معها حُبُ أبيها محمد (ص) رعتْ والدها (ص) رعاية الأم لولدها وخاصة بعد وفاة أمها خديجة (ع) حتى سماها النبيُ (ص) (بأم أبيها)، وهنا نأخذ قيمة واعتبار بسلوك الزهراء(ع) هذا وضرورة استيحائه عملياً في تنضيج علاقة الأبناء بآبائهم

علاقة تقوم على الحنان المُتبادل والحب والعاطفة لا علاقة تقوم على الجفاء والعقوق، فاليوم الأبناء يرمون آبائهم خارج البيت بعد أن يكبروا ويعجزوا وهم في حال أحوج فيه لأبنائهم الذين ربوهم وصاروا ينظرون إليهم بشفقة ورحمة علّهم يردون لهم جميل ما صنعوا معهم ولكن فقدان الأخلاق يجعل الأبناء يَعقونَ آبائهم ظلماً. وممكنٍ أيضاً أن نقف بوعي عند كل خطابات وسلوكيات الزهراء (ع) المعصومة نصياً ومطلقاً، فخطابها وسلوكها حجة شرعية علينا إذ أنه يُمثل في حقيقته دليلاً شرعيا لخصته بقولها وفعلها وسلوكياتها الخارجية في تعاطيها مع الناس بشرياً. فكل قول وسلوك وفعل قامت به الزهراء(ع) يمكن لنا الأخذ بقيمته وكلياته والعمل به في حياتنا المعاصرة وإن اختلف الحال وتبدل الزمان. فالمهم قيمة وقداسة خطابها وسلوكها؛ نعم ظروف سلوكياتها تختلف كليا عن زمننا ولكن قيمها هي هي واحدة في المضمون والهدف كالذي يُريدُ أن يشرب الماء في حال عطشه فتارة يشربُ بيده وأخرى بقدح والمحصلة واحدة وهي تحقق الإرتواء بحقيقة الماء فقيم وقدسية سلوكيات المعصوم (ع) ـ وأعني الزهراء (ع) ـ تكمن في هذا، وإلاّ كيف يُعقل جعل الحجية العقدية والأخلاقية والشرعية إلهيا لها علينا إن لم نتكمن من الاستفادة من منهاجها الخاص والعام.

وفي عنوانها كزوجة الكثير مما يصلح إنموذجاً اجتماعياً وأخلاقياً للنساء المتزوجات من توفير القدرة الذاتية على تدبير شؤون بيت الزوجية إلى العمل الشخصي بنفسها في إدارة البيت الزوجي وترك الاعتماد على الخدم كما هو شائع عندنا اليوم فالتاريخ ينقل لنا أنّها (ع) كانت تطحن الشعير بيدها الشريفة وتدير الرحى بيدها أيضاً ببساطة الحياة آنذاك وتكنس البيت وهي في حال تعب وجهد مع ما كان من علي(ع) من تقديمه المساعدة لها شخصياً، فالمهم هو أننا نرى القيمة هنا جليا في صبر الزهراء (ع) وقناعتها الاختيارية بحياة الزوجية، ولما رآها رسول الله: (ص) على حالها هذا صابرة محتسبة وخاطبها بقوله (ص) ((يا فاطمة تجرعي مرارة الدنيا اليوم لنعيم غدا)) فقالت (ع) ((يا رسول الله: الحمدُ لله على نعمائه والشكر لله على آلائه))، وهنا نرى بوضوح ثقافة الحمد والشكر لله تعالى من قبل الزهراء (ع)، وهذه هي القيمة التي يجب أن نستوحيها عملياً فالزوجة اليوم يجب أن تقنع بما هو موجود في بيتها فلا تتكلف إلاّ للضرورات الحياتية، فالترف زائل وما ينفع الناس يمكث في الأرض.

ويجب أن تكون مُطيعة لزوجها بصورة عادلة ومعتدلة مثلما هي تُريدُ منه، فالتعامل بين الزوج وزوجته يجب أن يقوم على أساس مراعاة كل منها لحقوق وواجبات الآخر، فهذا أمير المؤمنين علي (ع) ينقل لنا عن صورة تعاطيه مع زوجته الزهراء (ع) وتعاطيها معه فيقول (ع): ((فو الله ما أغضبتها ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله (عز وجل) ولا أغضبتني ولا عصت لي أمر))، ولا يقول قائل إنّ علياً (ع) والزهراء(ع) هما شخصان معصومان وهذا قياس مع الفارق؟ فلا يمكن لنا أن نكون مثلهما.

ونحن نقول ليس المطلوب أن نكون مثلهما ولكن المطلوب أن نقتدي بنهجهما، فهو ممكن عرفاً وعقلاً، فترك الزوج لإغضاب وإكراه زوجته ليس مستحيلاً في لائحة الأخلاق العملية، وكذا الزوجة فليس مُتعسراً عليها ترك إغضاب زوجها وعصيانه.

فكانت حياة الزهراء (ع) كزوجة مع علي (ع) حياة قوامها الأخلاق والإخلاص والحب المتبادل بينها خصوصاً ففي مقطع قصير ورد عن علي (ع) في حق الزهراء (ع) أنه قال: ((لقد كنتُ أنظرُ إليها فتكشف عني الهموم والأحزان))، وهذا المقطع العميق يكشف بوضوح عن مدى سعادتهما الخاصة وتطبيق المنهج الزوجي القويم فأي امرأة هذه بحيثُ إذا نظر لها زوجها تجلي همه وحزنه؟

ثم يأتي دور الزهراء (ع) المنهجي القيمي للنساء في تعاطيها كأم في قدرتها على تربية أولادها خيرُ تربية

منطلقة من القرآن الكريم وسنة أبيها محمد (ص) مُطبَّقة لقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ))، فالزهراء (ع) كانت خير أم لخير أولاد حيث اهتمت بهم (ع) وربتهم تربية قائمة على سلوك التقوى والفضيلة وحثهم على فعل الخيرات، وقد ورد في الروايات أنها (ع) كانت تحثهم على إحياء ليالي الجمع وليالي القدر والذهاب إلى المسجد. مُركِّزة (ع) في نفوس أبنائها الحسن والحسين وزينب (ع) روح الإيثار والإحسان إلى الغير نفسياً وسلوكياً وهذا ما أفصح عنه القرآن الكريم في سورة الإنسان (الدهر) حيث قال تعالى بشأنهم: ((وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً ❖ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللّهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلاَ شُكُوراً ❖ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً ❖ فَوَقَاهُمُ اللّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً))، وهذه الآيات نزلت في حق آل البيت المعصومين (ع) وباعتراف المفسرين كلهم.. ولا ينبغي لنا أيضاً أن نغفل قيم الزهراء(ع) الصالحة لكل وقت وإنسان حتى من غير المتدينين فلو حدثتهم بأنّ الزهراء (ع) كانت تدعو للغير وتحبهم قبل ذاتها وحتى في صلاتها لا تنسى الخلق والعباد لوقفوا لها إجلالاً وقالوا هذا خُلقٌ إنساني مكين فعن الحسن (ع) يسأل أمه: (ع) بعد أن تنتهي من صلاتها فيقول: ((أماه لمَ لا تدعي لنفسك))؟ فيأتيه الجواب منها (ع) ((يا بني الجار قبل الدار))، وهذا ذرة من بحر أخلاق الزهراء (ع) وليتنا التفتنا إلى ذلك لا إلى غيرها؟

فإذن كل ما تركته الزهراء (ع) من سلوك وقول فهو أنموذج مُؤهلٌ للإقتداء به في حياتنا المعاصرة وهذا هو عين الإقتداء والولاء للمعصومين (ع) فإحياء ذكراهم (ع) يجب أن يعني إحياء منهج هدايتهم للعباد وهذه حقيقة ركزها القرآن الكريم في ضرورة تنضيج التأسي أخلاقيا وإنسانيا بالمعصومين (ع) فقد قال تعالى: ((أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ))، والعبرة تكمن حقيقة في واقعية الإقتداء لا الذكر فقط. ولنا أيضاً أن نستوحي قيماً أخرى من سلوكيات الزهراء (ع) منهجياً فهي (ع) شاركت وبصورة مباشرة في فعاليات الدعوة الإسلامية من الهجرة وحركتها في مواجهة الأعداء وخاصة في أخطر معركة وهي (معركة احد)، والتي جُرِحَ فيها رسول الله (ص) وتكسرت أسنانه وأستشهد فيها عم النبي حمزة بن عبد المطلب بطل الإسلام ونخبة معه من المؤمنين ونلحظ في هذه المعركة دورا ظاهرا وقيمياً لشخصية الزهراء (ع) فعملت (ع) على تضميد جرح أبيها (ع) وكانت هي واحدة من ضمن النسوة اللاتي شاركن في واقعة أحد كما ذكر التاريخ ذلك فقال الواقدي: (وكُنّ أربع عشرة امرأة منهن فاطمة بنت رسول الله (ص) يحملن الطعام والشراب على ظهورهن ويسقين الجرحى ويداوينهم))، وهذا النص التأريخي يعطينا صورة مشرفة عن جهاد المرأة المسلمة والمؤمنة في حركتها الدعوية إلى الله تعالى حتى في سوح الوغى فضلاً عن مشروعية مشاركة المرأة في كل فعاليات التثقيف الرسالي الإسلامي في الحياة المعاصرة من باب أولى إذ أنه بمشروعية السماح لها بالمشاركة في ساحة الحرب ضد الأعداء فطبيعيٌ مشروع لها العمل في مناشط الدعوة بصورها كافة لاسيما الدعوة إلى التمهيد للإمام المهدي (ع) والعمل على انتظاره الشريف انتظاراً تعبدياً وتأسيسياً يبسط آثاره الفعلية على مستوى الذات والمجتمع.

وأما خطابها (ع) بعد شهادة أبيها الرسول الأكرم محمد (ص): فهذا ما يستدعي فتح عبائره ودلالته الرائعة في التأسيس والتطبيق فقالت (ع) في خطبتها الشهيرة في المسجد النبوي الشريف (فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك)، وهذا المقطع من أروع ما تركته الزهراء (ع) في مجال العقيدة الإسلامية، فالإيمان بالله وحده هو الذي يتكفل بتطهير الذهن والنفس في شخصية الإنسان المسلم من قذارة الشرك ولوثاته.

والإيمان هذا على إطلاقه يشمل كل أصول الدين الإسلامي من التوحيد والنبوة والإمامة الحقة وعدله تعالى والمعاد وهنا تدخل موضوعة الإيمان بالإمام المهدي (ع) في صُلب التوحيد لله تعالى والإمامة إذ أنّ الإمام المعصوم هو مظهر واقعي وتجلي عملي لتوحيد الله تعالى وعدله (والصلاة تنزيها لكم عن الكبر)، وفعلاً إنّ الصلاة هي تواضع لله تعالى، وخضوع يقضي على التكبر والذي هو ميزة أهل النار (والزكاة تزكية للنفس ونماء في الرزق) المقصود هنا أن يزكّي الإنسان نفسه وماله؛ كي يصلح ذاته ومجتمعه سلوكيا ومالياً، فبإخراج الحق الإلهي من الأموال، يعم التكافل الاجتماعي بين الناس وتكثر البركات في الأرض (والصيام تثبيتاً للإخلاص)، وهنا تؤكد السيدة الزهراء(ع) ضرورة تحصيل الإخلاص من العبادات، ومن الصوم خاصة، والذي هو أمر عبادي يُنمي التقوى في نفس صاحبه، ويقضي على الرياء المُبطل لقيمة العمل (والحج تشييداً للدين)، والحج اجتماع ديني عبادي كبير للمسلمين في وقت واحد، وهو عبادة تتوحد فيها الصفوف والأهداف، وبه يتعارف المسلمون على بعضهم، وتزداد به ثقتهم بدينهم الإسلام الحق (والعدل تنسيقاً للقلوب)، وهنا تظهر الفصاحة والوعي على لسان الزهراء(ع) منهاجاً سديداً، فالعدل ـ وهو وضع الأمور في نصابها المستقيم والتسوية في الأشياء. يكون بحق تنسيقاً وتنظيماً للقلوب، كتنسيق خرز المسبحة ونظمها في نظامها أي خيطها الذي يجمعها بالترتيب، فإذا اختل التنظيم واختفى العدل من الحياة تشتت القلوب وتنافرت.

والعدلُ على ما ذكرت الصديقة الزهراء (ع) يكشفُ عن مطلوبيته الفطرية والوجدانية في سائر عقول ونفوس البشر جميعاً وهذا ما سيُحققه الإمام المهدي (ع) إذ بإقامته للعدل وبسطه في ربوع الأرض ميدانياً وواقعياً سيتمكن من جمع القلوب ولملمت شتاتها لذا نحن نقرأ في دعاء الافتتاح في شهر رمضان: (أللهمّ ألمم به شعثنا وإشعب به صدعنا وإرتق به فتقنا)، لذا يجب الالتفات إلى ذلك عَقدياً وثقافياً وسلوكياً، فالدين الإسلامي منهج حكيم وسديد من جميع جهاته قادر على تلبية طموحات البشر جميعاً ووضعهم عند رغباتهم المشروعة إسلامياً وفطرياً. (وإطاعتنا نظاماً للملة)، وتعني الزهراء(ع) ضرورة تأمين الأخذ من منهج أهل البيت المعصومين(ع)، وإتباع إمام الوقت (ع) الإمام المهدي حتى تنحفظ الشريعة والعقيدة الإسلامية، نظاماً صالحاً لقيادة الناس وهدايتهم في هذه الحياة، وقد قال تعالى: ((وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)، وفي آية أخرى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)، وأولي الأمر أهل البيت (ع) بنص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

وأبرز مصداق وأحق واقع لولي الأمر اليوم هو الإمام المهدي (ع) لأنّ الله تعالى لا يُكلفنا بطاعة غير المعصومين لزومياً وخاصة وهم يرتكبون المعاصي والذنوب وهذا ما لا يتفق وعدالة وحكمة الله تعالى المُنزّه عن فعل القبيح عقلاً وشرعاً (وإمامتنا أمانا للفرقة) والإمامة المعنيّة هنا هي الإمامة الإلهية بالجعل والنصب، والمتمثلة بأئمة أهل البيت المعصومين (ع) رمزها اليوم هو الإمام المهدي (عج) ووجه كونه (ع) اليوم أماناً للفرقة الناجية لأنه مجعول من الله تعالى كإمام معصوم ومفترض الطاعة على الناس. والإمامة هي صمام الأمان، ومركز التوحد الإيماني والديني للمسلمين، ونحن قد رأينا كيف جرت الأمور بعد انحراف الناس عن جادة أئمة أهل البيت (ع)، فلو أنّ الناس اجتمعوا حول إمامة الأئمة المعصومين (ع) لما تفرّقت الأمة وأصبحت طرائق قدداً.

دور (المرأة المبادرة) في تغيير المجتمع والأنساق الثقافية المهيمنة

أ. م.د.ناهضة ستار عبيد/ جامعة القادسية كلية الآداب

يدل مفهوم (المرأة المبادرة) في علوم التنمية البشرية الحديثة على تلك المرأة الناجحة التي تواجه الحياة بصدر ملئ بالثقة والعزيمة والإيجابية لا تلقي باللوم على الظروف ولا تسوغ فشلها بقلة حيلتها، يكون سلوكها نتاجاً لقراراتها الحرة المسؤولة النابعة من مرجعية القيم والمبادئ التي تتبناها فكراً وتطبيقاً، وهي القادرة على توجيه شراع الأهداف والطموحات إلى الجهة التي تطمح إليها متحدية أعتى الأعاصير ومتخطية أعقد العقبات في طريق إثبات وجودها ورسم البصمة المغايرة التي يتخلد اسمها بفضلها في الحياة الأولى والآخرة.

نقرأ سيرة السيدة العظيمة فاطمة الزهراء (ع) ومواقفها الخاصة في حرية الرأي والمبادرة في التغيير وإثبات وجودها الفاعل والتغييري في المجتمع والأخلاق وتهشيم الأنساق الثقافية المهيمنة والراكدة في ذهنية مجتمع ما واستبدالها بقيم مغايرة وصحيحة وقيمية ومبتكرة متخذين من أنموذج سيدة النساء مثالاً ناصعاً على المرأة القائدة والمبادرة والناجحة، في ضوء أطروحات علوم التنمية البشرية وعلم البرمجة اللغوية العصبية التي تقدم لنا الإطار التنظيري لصورة المرأة الناجحة والمرأة المبادرة والمرأة القائدة المشاركة والمتفاعلة والمنصهرة بهموم واقع مجتمعها وحاجات المرحلة وأزمة القيم وحجم الانحرافات، فتتفاعل معها وتدرسها بوعي ناقد وقدرة إيجابية وفعل مدروس ورصين ومحسوب النتائج لأنه سليم المقدمات، من خلال استقراء سيرة حياة السيدة العظيمة (ع) والمواقف التاريخية التي نهضت بثقلها ومسؤوليتها الكبيرة؛ (لذا ندعو للتأمل) وفحص أركان التأثير والفاعلية عندها (ع) في:

١. الفكر الإيجابي المبادر.
٢. التطبيق السليم والمسؤول.
٣. أدوات التأثير والموقف اللغوي.

فهي الرؤية المنهجية التي تروم فيها تعشيق أوثق الصلات التحليلية بين الموقف التاريخي والنظريات المعاصرة من أجل قراءة مختلفة للتراث تحقق أهدافاً سامية وقابلة للتطبيق والممارسة في عالمنا المعاصر عالم ثقافة الانفتاح والعولمة الأمر الذي يتيح مجالاً إيجابياً للنماء الأخلاقي والوجداني والمعرفي في مشهد يجب أن لا تغيب عن تفاصيله المرأة بكل معطياتها الوجدانية والعقلية.

ومضات من سلوك الزهراء (ع) في التربية

صلاح حسن الصرّاف / باحث في شؤون الإعلام

تعدّ تربية الأبناء من أكبر نشاطات المرأة وأعظم مهامّها الحياتية، ومهمّة سامية تقدّمها في بناء المجتمع من خلال بناء نواته الأولى وهي الأسرة، بعيداً عن الآراء الأخرى المجانبة للواقع والساعية للخروج المنحرف عن المسيرة المطلوبة للمرأة من خلال رفع شعارات برّاقة هدفها ـ غير المعلن ـ أن تكون المرأة شأناً من شؤون تلبية الحاجة والغريزة، وهذا لا يعني تحجيم دورها البنائي والتطوري لمجتمعها، ولكن وفق القواعد والسياقات التي ترفع من شأنها، وحسب إعداد دقيق مدروس يُتوخى منه بناء الشعوب والأمم، ولنعلم أن كل موقف وحركة وتصرّف تصدر من الأم يقتدي به الأبناء بشكل طبيعي ويكون له بالغ الأثر على مواقفهم ومتبنياتهم المستقبلية.

إن تربية الأطفال وتنشئتهم تبدأ من اليوم الأول لولادتهم، وهذا كان فعل الزهراء (ع) في ثقافة أمومتها وتعاملها مع أبنائها، ثم في مراحل تربيتهم اللاحقة لتتعامل معهم ككيان إنساني مستقل كامل الأهلية لتلقي أسس التربية وقواعد التعليم وأصوله وضوابطه، والتي استمدّتها (ع) من الله تعالى عبر والدها المصطفى (ص)، لتؤسّس بأسلوبها الرفيع وتُنشأ مدرسة خاصة للتربية المثالية والتعليم المتقدّم الذي يخرّج القمم من الشخصيات ممن ترك أثره وبصمته على جبهة التاريخ الإسلامي بشكل خاص والإنساني بشكل عام.

رعاية دقيقة في التعليم

كان البذل الذي قدّمته سيّدة النساء (ع) في تربيتها لأبنائها مقنناً ومدروساً، ومن بين أساليبها المستخدمة نذكر:

ـ الرعاية الدقيقة وإحاطة الأبناء بجو يملؤه العطف والحنان والتربية الإسلامية، فقد أشارت الروايات إلى أنها (ع) كانت حريصة بشكل كبير على رعايتهم وتعليمهم طرق الابتهال لله تعالى والتهجّد من خلال اصطحابها لهم إلى محراب عبادتها في الليل والنهار، إذ يُروى عن الإمام الحسن المجتبى (ع) أن والدته الزهراء (ع) أجلسته إلى جانبها وهي تتضرّع إلى الله تعالى من أول الليل حتى بزوغ الفجر، وهي آخذة بالدعاء.

ـ وروايات أخرى تشير إلى أنها (ع) كانت تتابع تعليم الإمامين الحسنين (ع) خطب جدّهما (ص)، ولم يكونا قد بلغا الخامسة من عمرهما الشريف، إذ كانت تطالبهما بقراءة ما سمعاه من جدّهما (ص)، ثم تطلب منهما إعادة القول مرة ثانية بحضور أبيهما أمير المؤمنين (ع) لتترسّخ الكلمات عندهما.

ـ ورد في المناقب لابن شهرآشوب (٣: ٣٨٩)، وأعيان الشيعة (١: ٥٦٣) أنها (ع) كانت حينما تلاعب الإمام الحسن (ع) تقول:

أشبهُ أباكَ يا حَسَنْ ... واخلعْ عن الحـــقِّ الرَّسَنْ

واعبُـدْ إلهًا ذا مِنَنْ ... ولا تـــــــوالِ ذا الإحَنْ

ونرى من الأبيات المتقدّمة كيفية غرس الزهراء (ع) معالمَ الفضيلة عند أبنائها، وتنشئتهم على التشبه بآبائهم خصوصًا خصال النبل والرفعة والشجاعة والفضل كتلك التي يحملها أب كأمير المؤمنين علي (ع)، مع إرضاعه أفكار الدفاع عن الحق والوقوف إلى جانبه في التفاتة ثانية في الأبيات، وثالثة مهمة من خلال الإشارة إلى توحيد الله وعبادته وحده كدعامة أولى من دعائم الإيمان الحق فهو وحده من يستحق العبادة لأنه هو من له المنة، وأخيرًا عدم موالات ذا الأحقاد.

التربية مهمّة الأم

أمر تربوي آخر أشارت له الزهراء (ع) في سلوكها الفعلي وبشكل عملي بأن مهمة تربية الأطفال من اختصاص الأم في المقام الأول، فهي الأكثر معرفة بما هو أصلح لهم، والأكثر عطفًا ورفقا بأبنائها من الآخرين، وألاّ توكل هذه المهمة للغير ما أمكن ذلك، فالعواطف ووشائج الارتباط بين الطرفين لا تتحقق في قيمتها العليا بغير هذه الصلة المباشرة، فهي الأكثر حنوًا ورعاية من غيرها على أبنائها.

روى الشيخ ورّام في (تنبيه الخواطر)، قال: بينما النبي (ص) والناس في المسجد ينتظرون بلالا أن يأتي فيؤذن، إذ أتى بعد زمان، فقال له النبيّ (ص): ما حَبَسك يا بلال؟ فقال: إني اجتزتُ بفاطمة (ع) وهي تطحن واضعة ابنها الحسن عند الرّحى وهي تبكي، فقلتُ لها: أيُّما أحبّ إليك: إن شئت كفيتُك ابنك، وإن شئت كفيتك الرّحى.

فقالت: أنا أرفق بابني، فأخَذتُ الرَحى فطحنتُ، فذاك الذي حبسني، فقال النبيّ (ص): رحمتها.. رحمكَ الله.

تنشئة الأبناء على أجواء العبادة

بالإضافة إلى أنها (ع) كانت تهيأ لأولادها عليهم السلام ما يحتاجونه جسمياً وعاطفياً في مرحلة طفولتهم فقد كانت فاطمة الزهراء (ع) تحرص على توفير أجواء للتنشئة المتميزة لأطفالها بأسلوب يملؤه الغذاء الروحي وغرس قيم الفضيلة والتقوى وعبادة الله تعالى، إذ كانت خير أم لأبنائها عرفتها البشرية، فقد ورد أنها (ع) كانت تحثهم على إحياء ليالي الجُمع من أول الليل إلى الصباح، إذ كانت تجعل أبنائها إلى جانبها وهي تحيي ليالي الجمع حيث تجلسهم إلى جانب سجّادتها متوجهة متضرّعة إلى الله تعالى، ليتعلموا طريقة العبادة ولمن يكون الدعاء أولاً، ومثل وهذه التنشئة تجعل من تربيتنا لأبنائنا يعيشون جواً من العبادة، ويعتادون طريقا للتهجد يصعب أن يميلوا عنه في مقتبل عمرهم.

فقد روى الشيخ الصدوق عن الإمام الحسن المجتبى (ع) أنه قال: رأيت أمي فاطمة (ع) قامت في محرابها ليلة جمعتها، فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسمّيهم وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أمّاه، لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك ؟ فقالت: يا بُني، الجار.. ثمّ الدار.

وتحرص أيضا على أن ينام أولادها عليهم السلام في النهار ليتمكنوا من التوجه إلى ميادين العبادة والفضيلة والتقوى في إحياء ليالي القدر في شهر رمضان المبارك، فبمثل هذه التربية الرفيعة ربت الزهراء (ع) أولادها ليكونوا قادة الدنيا في كل المجالات.

هل أثرت سيرة السيدة فاطمة الزهراء (ع) في شخصية المرأة العراقية؟

استطلاع: امجد الموسوي

مدرسة الزهراء (ع) مدرسة متكاملة أعدها الله سبحانه وتعالى ورعاها نبيه وحبيبه (ص) وحماها وصانها حجة الله أمير المؤمنين (ع) لينشراها معا في هذه المعمورة، هذه المدرسة أعدها الله لكل الأجيال، فهي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين تحمل رسالة المرأة النموذجية التي تحظى برضا الله والفوز بالجنة والسعادة في الدنيا والآخرة.

ورغم أن عمر السيدة الزهراء (ع) لم يكن طويلاً إلا أنها كانت باباً من أبواب الجنة وقبول الأعمال وردها..قدمت الزهراء (ع) للمرأة معايير وأنظمة لحياة أسرية سعيدة وكريمة؛ فأين أنتِ سيدتي (المرأة المعاصرة) منها.. في كل شيء؟

مروى عبد الهادي عودي (٢٧) بكالوريوس تربية إعلامية: قالت تأثرت المرأة بالسيدة الزهراء (ع) وذلك من خلال اتخاذها قدوة في حياتنا اليومية لأنها سيدة نساء العالمين وهي السيدة التي أرادت للمجتمع الإسلامي أن يعيش في ظل السعادة على مر العصور.

وتضيف مروة: إن الموقف الذي دائماً ما تتوقف عنده من حياة السيدة الزهراء (ع) هو الموقف الذي يعبر عنه المؤرخون يوم بكت وأبكت أباها رسول الله (ص) في الرواية المنقولة عن الخزاز في كفاية الأثر عن عمار قال: (لما حضرت رسول الله (ص) الوفاة دعا بعلي (ع) فسارَّه طويلاً، ثم قال: يا علي أنت وصيي ووارثي قد أعطاك الله علمي وفهمي، فإذا متُّ ظهرت لك ضغائن في صدور قوم وغصب على حقد! فبكت فاطمة وبكى الحسن والحسين فقال لفاطمة: يا سيدة النسوان مم بكاؤك؟ قالت: يا أبه أخشى الضيعة بعدك! قال: أبشري يا فاطمة فإنك أول من يلحقني من أهل بيتي، ولا تبكي ولا تحزني فإنك سيدة نساء أهل الجنة، وأباك سيد الأنبياء، وابن عمك خير الأوصياء، وابناك سيدا شباب أهل الجنة، ومن صلب الحسين يخرج الله الأئمة التسعة، مطهرون معصومون، ومنا مهدي هذه الأمة). أما الكلمة التي ترددها عن سيدتنا الزهراء (ع) عن رسول الله (ص) فهي: (خِيارِكُم أليَنُكُم مَناكِبُهُ وأكرَمُهُم لنسائهم).

إيمان جابر جواد (٤٨) ربة بيت التحصيل العلمي خريجة الثالث متوسط فتقول: إن المرأة العراقية قد تأثرت كثيراً بالسيدة الزهراء (ع) لأنها هي سيدة نساء العالمين وهي القدوة التي نقتدي بها في حياتنا ولأنها بضعة النبي المصطفى محمد (ص) الذي أرسله الله مبشراً ونذيراً للأمة الإسلامية جمعاء.

أما يوم أوصت السيدة الزهراء (ع) علياً أن يدفنها ليلاً سراً: (إن فاطمة دفنت ليلا ولم يحضرها إلا العباس وعلي والمقداد والزبير وفي رواياتنا أنه صلى عليها أمير المؤمنين والحسن والحسين وعقيل وسلمان وأبو ذر والمقداد وعمار وبريدة، وفي رواية والعباس وابنه الفضل، وفي رواية وحذيفة وابن مسعود.

الاصبغ بن نباتة أنه سأل أمير المؤمنين (ع) عن سر دفنها ليلاً فقال: إنها كانت ساخطة على قوم كرهت حضورهم جنازتها وحرم على من يتولاهم أن يصلي على أحد من ولدها.

وروي أنه سوى قبرها مع الأرض مستويا وقالوا: سوى حواليها قبوراً مزورة مقدار سبعة حتى لا يعرف قبرها، وروي أنه رش أربعين قبراً حتى لا يبين قبرها من غيره من القبور، فيصلوا عليها). هذه الروايات في موقف دفن سيدتنا فاطمة الزهراء (ع) ترى الأخت إيمان من أنها محط نظرها بشكل متكرر ودراسة وتأمل.

ما كلمتها التي تحب دائماً أن تكررها فقد قالت السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (ع): (ما يصنع الصائم بصيامه إذا لم يصن لسانه وسمعه وبصره وجوارحه).

زينب محمد علي عبود(٤٣) مديرة مدرسة بكالوريوس جغرافية: زهد السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (ع) وحجابها وتحملها مرارة الحياة وصبرها على الظلم هو من الصفات التي تأثرت بها المرأة العراقية لذا فالأم العراقية صبرت وجاهدت طيلة العقود الماضية رغم كل ما تعرضت له من صعوبات بل تجاوزت المحن بكل إيمان فانتصرت على أعداء العراق.

أما ما استوقفها من مواقف في حياة الزهراء (ع) تقول السيدة زينب: مواقفها جميعها عظيمة غير أن ما يستوقفها هي لحظات احتضارها ومع هذا فهي بقت بحنانها تفكر بسبطي الرسول (ص) الحسن والحسين ونتلمس ذلك عندما طلبت عدم إفزاع أولادها بخبر وفاة فاطمة الزهراء (ع).

إيمان عودة جاسم (٤٢) مدرّسة تاريخ بكالوريوس تاريخ، ترى أن البعض قد تأثر بالسيدة الزهراء (ع) من خلال الالتزام بمعايير الحجاب الفاطمي الصحيح والالتزام به واتخاذها من الزهراء قدوة في ذلك وكذلك في تربية الأبناء حيث نرى أن البعض من النساء قد اتخذن نظرية وفكر الزهراء في هذا المجال وكثير من المجالات الأخرى، وتكمل الأستاذة إيمان حديثها فتقول: هناك مواقف كثيرة مرت في حياتي لم أجد لها التوجه لله سبحانه وتعالى واقسم عليه بالسيدة الطاهرة فانجلت تلك المصاعب وأزيلت تلك الهموم والحمد لله وعندما اقرأ التاريخ أتصور مواقفها الصلبة أمام السلطة الحاكمة ومطالبتها بحق أمير المؤمنين بالخلافة، فإن هذا الموقف دائماً يجعلني أتمسك بالحق والمطالبة به مهما كان صعب.

وعن حديث لها (ع)تردده وكان له أثر في حياتها قالت: قال الإمام الحسن (ع) (كانت أمي فاطمة تدعو للمؤمنين وتكثر من الدعاء لهم فقلت لها يا أماه أراك تكثرين من الدعاء للمؤمنين ولا تدعين لنفسك فقالت (ع) يا ولدي أما سمعت الجار قبل الدار).

ثريا عبد الرزاق محمد علي (٥٤) تربوية التحصيل العلمي: بكالوريوس كيمياء تقول: تأثرت المرأة العراقية المعاصرة بالسيدة الطاهرة (ع) تأثراً كبيراً، ولكن لا ينطبق ذلك على الكل. فنرى أن بعض النساء قد أثرت سيرة الزهراء (ع) تأثيراً كبيراً عليها في حياتها وسلوكها وتعاملها مع الآخرين ودورها كأم أو زوجة أو بنت، فنلاحظ بعض النساء تحاول جاهدة من خلال بعض موقعها لتجسيد ولو جزء قليل من أخلاق الزهراء (ع) ونقلها إلى المجتمع، ولكن مع الأسف في الوقت الحاضر نعاني من وجود صيحة معادية غربية تحاول تدنيس الفتاة العربية وطمس شخصيتها من خلال القنوات الفضائية وبرامجها الدرامية.

للزهراء (ع) مواقف وحضور كبير في حياة كل أسرة؛ ففي كثير من المشكلات والصعاب التي واجهتنا في الحياة وبمجرد الاستنجاد بها قد تيسرت وحلت تلك المشكلات ببركة الزهراء (ع)، ولكني أقول: سيدتي ومولاتي لقد ظُلمتِ وتعلمنا من ظلامتك كيف ننتصر ونكون أقوى... تصديت للباطل... وكنت قوية صلبة... وبكاءك لأبيك كان سيفاً مشرعاً وقوى ضاربة لأعدائك وأعداء الإسلام... فخلودك على مر العصور والدهور هو أكبر انتصار لك، فيا سيدتي ومولاتي... يا وجيهة عند الله... اشفعي لنا عند الله.

عادلة صاحب علي (٥٧) مدرسة بكالوريوس إسلامية: هي الأخرى ترى أن السيدة الزهراء (ع) كان لها تأثير على شخصية المرأة العراقية ليس ككل بل البعض وذلك من خلال الالتزام بالحجاب وبالسيرة الحسنة والأخلاق العالية والإخلاص في العمل.

أما الحديث أو الرواية من حياة الزهراء (ع) دائما ما تكررها لزميلاتها وبناتها الطالبات فتنقل لهن: عندما كلّمها شخص بصير لم تكلمه إلا من وراء حجاب وعندما سئلت قالت:إنه لم يشاهدني لأنه بصير بينما أنا أشاهده، ومنه نلمس المقاييس الحقيقية للحجاب.

العلوية أفراح سعد مجيد العميدي (٢٩) إعلامية بكالوريوس فقد بينت جانب من جوانب تأثر المرأة العراقية بالسيدة الزهراء (ع) فقالت تأثرت المرأة العراقية بالسيدة الزهراء (ع) وذلك من خلال الاقتداء بها في حياتها وأسوة في تعاملها داخل بيتها من خلال التعاون بوئام وإخلاص بين الزوج والزوجة على إدارة شؤون المنزل وتقسيم العملً في داخله وخارجه.للزهراء مواقف عديدة لكني تأثرت بموقفها عندما واجهت المهاجمين لدارها لأن هذا الموقف يدل على شجاعتها وكيف يجب على المرأة المسلمة الاقتداء بها والدفاع عن حقوقها.

أما عن كلمة للسيدة الجليلة فاطمة الزهراء (ع) دائما ما تكررها مع نفسها فقالت العلوية العميدي كلمة الزهراء (ع) (البشر في وجه المؤمن يوجب لصاحبه الجنة، والبشر في وجه المعاند المعادي يقي صاحبه عذاب النار).

• زهد السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (ع) وحجابها وتحملها مرارة الحياة وصبرها على الظلم هو من الصفات التي تأثرت بها المرأة العراقية..

• مواقفها الصلبة أمام السلطة الحاكمة... دائماً يجعلني أن أتمسك بالحق والمطالبة به مهما كان صعب.

• نرى أن بعض النساء قد أثرت سيرة الزهراء (ع) تأثيركبير عليها في حياتها وسلوكها وتعاملها مع الآخرين ودورها كأم أو زوجة أو بنت..

ارتباط السيدة فاطمة الزهراء (ع) بشروط التوحيد

الباحث: حسنين جابر الموسوي

الحديث عن الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء صلوات الله عليها ذو شجون ويحمل في طياته آهات وآهات لما تحملته هذه المرأة الطاهرة من ويلات بعد استشهاد والدها الرسول الأعظم محمد بن عبد الله (ص) من المنقلبين على أعقابهم، حتى قالت (سلام الله عليها):

صبت علي مصائب لو أنها
صبت على الأيام صرن لياليا

فكيف كانت هذه المصائب التي توالت على الزهراء (ع) خلال المدة القصيرة التي عاشتها بعد استشهاد أبيها (ص) وهي الخمسة والسبعون يوما على رواية حتى أعدت تلك المصائب بهذه الصبغة الأليمة ليس موضوع حديثنا عنها.

ولكن قبل الولوج في طيات البحث لابد من التأكيد على أمر مهم جداً وهو أننا مهما تكلمنا وكتبنا لا نرقى إلى المستوى المطلوب في ذكر الزهراء والوفاء لها، لأنه بطبيعة الحال إن الأدنى لا يصل إلى مرتبة الأعلى، فهي صلوات الله عليها الإنسانة الكاملة والمعصومة والعالمة غير المعلمة لا يحيط بعضمتها إلا الله (عز وجل) ورسوله ووصيه.

هناك عدة أمور وشواهد تدل على أن لفاطمة الزهراء (ع) ارتباطاً وثيقاً بتوحيد الله (عز وجل) وأن لها ارتباطا وثيقاً بتوحيد الإنسان المؤمن وعقيدته.

فعن الإمام علي بن موسى الرضا (ع) قال في حديث معروف بسلسلة الذهب: (كلمة لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي.. بشرطها وشروطها وأنا من شروطها) فإذا كان الإمام الرضا من شروط هذه الكلمة والتصديق بها سوف تكون الزهراء هي المصداق لهذه الشروط فهي حجة الله على الأئمة الأطهار ما خلا أمير المؤمنين الإمام علي (ع).

فعن الإمام الحسن العسكري (ع) أنه قال: نحن حجج الله على خلقه وجدتنا فاطمة حجة الله علينا. وعلى هذا الأساس تكون الزهراء (ع) هي أساس شروط التوحيد أو لنقل هي حلقة الوصل بين عقيدة الفرد بتوحيده إذ لا يوجد هناك توحيد بدون وجود فاطمة الزهراء (ع).

كذلك ما ورد في الزيارة الجامعة المروية عن الإمام الهادي (ع) (من أراد الله بدأ بكم، ومن وحده قبل عنكم)، لأن معرفة الله حق المعرفة مشروطة بمعرفة أهل البيت (ع)، وما يقولونه هو الحق والحجة على الخلق، فكل ما ثبت من مراتب توحيدية وكمالية للأئمة فهو ثابت للزهراء (ع)، فهي الأم لأحد عشر معصوماً وهي الملهمة والحجة عليهم وأحد أصحاب الكساء إضافة إلى أنها نورانية كونها الصراط المستقيم، والأهم من ذلك كله أن بوجودها تكاملت نبوة نبي الرحمة (ص)، فعن جابر بن عبد الله الأنصاري عن رسول الله عن الله تبارك وتعالى في حديث قدسي أنه قال عز من قائل: يا أحمد لولاك لما خلقت الأفلاك ولولا علي لما خلقتك ولولا فاطمة لما خلقتكما.

والذي يهمنا من هذا الحديث القدسي هي الفقرة الأخيرة منه (لولا فاطمة لما خلقتكما) حيث يظهر هذا

الحديث كرامة أخرى ومنقبة عظمى للسيدة الزهراء (ع)، لأن الزهراء جمعت الكمالات المحمدية وكانت مظهرا للصفات الربوبية وهي بقية النبوة، ولولاها لما قام بعد النبي (ص) للدين عمود ولا اخضرّ له عود وبنورها أزهرت السماوات العلى، كذلك كونها الوعاء الطاهر لذرية الرسول (ص) والامتداد العلوي لأئمة الهدى، فعظمة الزهراء (ع) وحكمة وجودها هو إصلاح العالم كله إنما يكون بوجود أبناءها الأئمة ويكفي دليل واحد وهو إقامة العدل الإلهي وملئ الأرض قسطا وعدلا بعدما ملئت ظلما وجورا على يد الإمام المهدي (عج) الذي هو أحد أولادها وآخر الأئمة الهداة فعن الرسول الخاتم (ص) إن: (المهدي من ولد فاطمة).

إذن فإن فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) هي الصديقة الكبرى والكوثر المتدفق بالعطاء، والأم لأحد عشر أمام معصوم بأمر الله (عز وجل)، ولولاها لانعدمت الحكمة من وجود الإسلام بل لولاها لانعدم وجود الخلق كله بدليل حديث الكساء (ما خلقت سماء مبنية ولا أرضا مدحية ولا قمرا منيرا ولا شمسا مضيئة ولا فلكا يدور ولا بحرا يجري ولا فلكا يسري إلا بمحبة هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء).

وبما أن الزهراء هي أم أبيها ولولا أمير المؤمنين لم يكن لها كفؤ فإنها تكون حلقة الوصل بين النبوة والإمامة، ومن هنا جاء تعريف فاطمة بأنها ليلة القدر، فالذي يعرف معناها وقدرها يدرك ليلة القدر ويستوعب مفهوم هذه الليلة العظيمة التي نزل بها القرآن الكريم هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، فلا تتحقق الهداية إلا بوجود أهل البيت من أبناء فاطمة.

ثم إن ارتباط فاطمة الزهراء (ع) بصميم التوحيد هو ما قاله الرسول الكريم (ص): (يا فاطمة إن الله ليغضب لغضبك ويرضى لرضاك)، فمن عدم الحكمة أن الله (عزّ وجل) يغضب لغضب فاطمة إن لم تكن معصومة بالعصمة الواجبة والذاتية، وهذا الحديث يدل دلالة واضحة على عصمة الزهراء وأمرها نافذ على الخلق كله ما خلا والدها الرسول وزوجها أمير المؤمنين.

ونستفيد من هذا الحديث أيضاً أن كل من آذى فاطمة فقد آذى الله ورسوله ويستحق اللعنة بنص القرآن (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ).

إضافة إلى إعطاء ضابطة مهمة من الناحية التاريخية وهي كل من ثبتت أذيته لفاطمة في حياتها لابد من لعنه والبراءة منه وكل من سار على منوال الظالمين للزهراء، فمن رضي بفعل قوم أشرك معهم ومن أحب قوما حشر معهم.

ولا يفوتنا ذكر هذه الرواية التي تبين مدى الظلم والجور الذي لحق بالزهراء من قبل القوم والتابعين لهم وهم يعلمون ما لفاطمة.

فروى الواقدي: أن (فلانا) جاء إلى علي (ع) في عصابة فيهم أسيد بن حضير وسلمة بن أسلم فقال: اخرجوا أو لنحرقنها عليكم.

وروى ابن خنزابه في غرره، قال زين بن أسلم: كنت ممن حمل الحطب مع (فلان) إلى فاطمة (ع) حين امتنع علي (ع) وأصحابه عن البيعة، فقال (فلان) لفاطمة اخرجي من البيت أو لأحرقنه ومن فيه قال: وفي البيت علي وفاطمة والحسن والحسين وجماعة من أصحاب النبي (ص) فقالت فاطمة (ع) أتحرق عليا وولده؟ قال: أي والله أو ليخرجن وليبايعن)... أقول: لعنهم الله.

ومن القضايا المهمة هي علاقة الزهراء (ع) بالنبوة وارتباطها بمقام النبوة وارتباطها العقائدي معها.

فعن رسول الله (ص) أنه قال: (فاطمة بضعة مني، من سرها فقد سرني ومن ساءها فقد ساءني، فاطمة أعز الناس عليّ).

ونحن نعلم جيدا أن تقديس الرسول الأعظم للزهراء (ع) ليس اعتباطا أو لمجرد أنها ابنته أو لأجل أي ارتباط عائلي، وإنما كلام الرسول (ص) وفعله هو تقرير لأنه (ص) (مَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ❖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)، وأن رضا الرسول عن محبيها أو غضبه على من أساءها هو ليس حب أو غضب الأب وإنما هو حب وغضب النبوة وبالتالي هو حب وغضب الله (عز وجل).

فروي عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن رسول الله (ص) أنه قال: إن فاطمة شعرة مني فمن آذى شعرة مني فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله لعنه الله ملء السماوات والأرض.

لذلك أقرت مجموعة من الروايات بفضل الزهراء (سلام الله عليها) حتى ما قبل نبوة الرسول الخاتم (ص)، فعن الإمام أبي جعفر الباقر (ع) أنه قال: (ولقد كانت (ع) مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله من الجن والإنس والطير والوحوش والأنبياء والملائكة)، وإن فاطمة الزهراء كانت مرتبطة بنبوة الأنبياء السابقين، ولم تكتمل النبوة في أي نبي من الأنبياء حتى أقر بفضل فاطمة ومحبيها.

فالسلام على فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها واللعنة الدائمة على من أغضبها وسرق حقها وانتهك حرمة بيتها.

وأخيرا نروي هذا الحديث الوارد عن جابر الأنصاري (رضي الله عنه) بفضل مولاتنا الصديقة الطاهرة الزهراء والذي بدورنا نسأل الله سبحانه أن يجعلنا ممن يعرفون فاطمة ويحبون فاطمة ويتمسكون بولاية فاطمة حتى نحشر مع فاطمة.

قال جابر بن عبد الله الأنصاري للإمام الباقر (ع) جعلت فداك يا ابن رسول الله! حدثني بحديث في فضل جدتك فاطمة إذا أنا حدثت به الشيعة فرحوا بذلك.

قال أبو جعفر (ع): حدثني أبي عن جدي عن رسول الله (ص) قال:

إذا كان يوم القيامة نصب للأنبياء والرسل منابر من نور فيكون منبري أعلى منابرهم يوم القيامة ثم يقول الله: يا محمد! اخطب فأخطب بخطبة لم يسمع أحد من الأنبياء والرسل بمثلها ثم ينصب للأوصياء منابر من نور وينصب لوصيي علي بن أبي طالب في أوسطهم منبر من نور فيكون منبره أعلى منابرهم ثم يقول الله: يا علي! اخطب فخطب بخطبة لم يسمع أحد من الأوصياء بمثلها ثم ينصب لأولاد الأنبياء والمرسلين منابر من نور فيكون لابني وسبطي وريحانتي أيام حياتي منبر من نور ثم يقال لهما: اخطبا فيخطبان بخطبة لم يسمع أحد من أولاد الأنبياء والمرسلين بمثلها ثم ينادي المنادي وهو جبرئيل (ع):

أين فاطمة بنت محمد؟ أين خديجة بنت خويلد؟ أين مريم بنت عمران؟ أين آسية بنت مزاحم؟ أين أم كلثوم أم يحيى بن زكريا؟ فيقمن.

فيقول الله تبارك وتعالى: يا أهل الجمع لمن الكرم اليوم؟

فيقول محمد وعلي والحسن الحسين: لله الواحد القهار.

فيقول الله تعالى: يا أهل الجمع إني قد جعلت الكرم لمحمد وعلي والحسن والحسين وفاطمة، يا أهل الجمع! طأطئوا الرؤوس وغضوا الأبصار فإن هذه فاطمة تسير إلى الجنة فيأتيها جبرئيل بناقة من نوق الجنة مدبجة الجنبين خطامها من اللؤلؤ والرطب عليها رحل من المرجان فتناخ بين يديها فتركبها فيبعث الله مائة ألف ملك ليسيروا عن يمينها ويبعث إليها مائة ألف ملك عن يسارها ويبعث إليها مائة ألف ملك يحملونها على أجنحتهم حتى يصيروها على باب الجنة فإذا صارت عند باب الجنة تلتفت فيقول الله: يا بنت حبيبي! ما التفاتك وقد أمرت بك إلى الجنة؟

فتقول: يا رب، أحببت أن يعرف قدري في مثل هذا اليوم.

فيقول الله: يا بنت حبيبي! ارجعي فانظري من كان في قلبه حب لك أو لأحد من ذريتك خذي بيده فأدخليه الجنة.

قال أبو جعفر (ع): والله يا جابر! إنها ذلك اليوم لتلتقط شيعتها ومحبيها كما يلتقط الطير الحب الجيد من الحب الرديء فإذا صار شيعتها معها عند باب الجنة يلقي الله في قلوبهم أن يلتفتوا فإذا التفتوا يقول الله عز وجل: يا أحبائي ما التفاتكم وقد شفعت فيكم فاطمة بنت حبيبي؟

فيقولون: يا رب! أحببنا أن يعرف قدرنا في مثل هذا اليوم.

فيقول الله: يا أحبائي! ارجعوا وانظروا من أحبكم لحب فاطمة، انظروا من كساكم لحب فاطمة، انظروا من سقاكم شربة في حب فاطمة، انظروا من رد عنكم غيبة في حب فاطمة فخذوا بيده وأدخلوه الجنة.

قال أبو جعفر (ع): والله! لا يبقى في الناس إلا شاك أو كافر أو منافق فإذا صاروا بين الطبقات نادوا كما قال الله تعالى: (فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ❖ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ❖ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ).

قال أبو جعفر (ع): هيهات هيهات منعوا ما طلبوا (وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ).

قبس من دلائل الصدق على عصمة الصديقة الطاهرة فاطمة بنت رسول الله (ص)

أبو الحسن المظفر

الحمد لله رب العالمين، والحمد له سبحانه الذي رزقنا فاطمة بنت محمد بن عبد الله (ص)، واللذان كان كل واحد منهما يكمّل الآخر حبا وحنانا... فكان أحدهما بلسما لجراح الآخر.

ونحن اليوم نشكو الجراح بفقدهما ولا بلسم لنا إلا ذكرهما، والتماس الشفاعة بهما من الله تعالى.

والصديقة الطاهرة أم الأئمة المعصومين (ع) الذين سطروا للإنسانية منهجا شرعيا ـ قانونيا. ينبغي إتباعه بأدق تفاصيله الإيمانية، والتربوية، فلولا فاطمة ما عرفنا الحسنين (ع) ولولا فاطمة ما صنع الحسين بكربلاء؟، ومنها زينب العقيلة... ولولا فاطمة ما عُرف الحق من الباطل، والباطل إلى يومنا هذا يحدث أحدوثته في هذه الدنيا، والحق قليل وأناسه نزير حتى قال أمير المؤمنين ـ علي بن أبي طالب (ع)ـ في زمانه قبل ١٤ قرن (وأيم الله لأبقرن الباطل حتى يخرج الحق من خاصرته) وقوله (ع): (الباطل أن تقول سمعت والحق أن تقول رأيت).

ومن يرضى بالحق؟ والحق: سهل يسير عذب لمن اتبع سبيل الله تعالى، وصعب مر لمن اتبع خطى الشيطان، وهواه فأضله عن الصراط، وما صراط الله إلا أتباع الثقلين: كتاب الله تعالى، وعترة رسوله المصطفى أصحاب الكساء الخمسة (ع).

قال رسول الله (ص): (إني تارك فيكم الثقلين احدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض).

وصاحبة القداسة: هي بضعة الرسول (ص) فاطمة الزهراء.. وقدسيتها ذاتية، نابعة من أعماق كيانها النوراني.. والفيض الإلهي، والفضل الرحماني الرحيمي عليها.

لقد بهرت العقول والألباب، وخسئت الأنظار والأبصار: عندما أرادت أن تتطلع على عظمتها، وترنو إلى جلالها؛ لتعرف من هي فاطمة الزهراء (ع). فإنه لا أحد يعلم مَن هي إلا ربها وأبوها وبعلها وبنوها (ع) حتى قال في شأنها رسول الله: (لولا علي لما كان لابنتي فاطمة كفؤ)، والرسول يقول: (المؤمن كفؤ المؤمنة...).

نعرف من ذلك أن لا أحد يحمل من الإيمان الرفيع، واليقين الكامل كالزهراء (ع) إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) فقط. ففاطمة فطمت الخلق عن معرفتها، وفطمت محبيها من النار وغضب الجبار، فهي شمس من الشموس النورانية المعدودة في هذا الوجود كله، وهي بدر تمام ونورٌ في الظلام، وفضلٌ ومجدٌ، وسمو لا يرام.

(سر العصمة في تفضيلها على النساء)

قال تعالى في محكم كتابه: (إنّما يُريدُ اللّه لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)، نقل العلامة الحلي ـــ من كتابه كشف اليقين ـــ عن أبي الحمراء قوله: خدمت النبي (ص) تسعة أشهر أو عشرة، وكان عند كل فجر لا يخرج من بيته حتى يأخذ بعضادتي باب علي فيقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فيقول: علي، وفاطمة، والحسن، والحسين: عليك السلام يا نبي الله ورحمة الله وبركاته، ثم يقول: الصلاة رحمكم الله (إنّما يُريدُ اللّه لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)، ثم ينصرف إلى مصلاه.

والمفسرون مجمعون على أن آية التطهير نزلت في علي، وفاطمة، والحسن، والحسين ـــ لا غيرهم ـــ كما روى الجمهور كأحمد بن حنبل وغيره: أنها نزلت في هؤلاء الأربعة...

و(الرجس) في الآية محمولاً على الطهارة من كل ذنب.

أما إجماع المفسرين في ذلك يقصد منه: إجماع من يُعتد بتفسيره. ويؤيده ـــ أيضاً ـــ قول: ابن حجر ـ في الصواعق المحرقة ـ عند ذكر الآية في فضائل أهل البيت (ع):

(... أكثر المفسرين على أنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين).

كما أن الأخبار المتواترة دالة على نزول الآية في خصوصهم فمن هذه الأخبار:

ما رواه الإمام مسلم في صحيحه ـ في باب فضائل أهل البيت (ع) ـــ عن زوج النبي (ص) عائشة قالت: (خرج رسول الله (ص) غداة، وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال:

(إنّما يُريدُ اللّه لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) ونقله السيوطي في الدر المنثور أيضاً عن احمد، وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن أبي حاتم، ورواه الحاكم في مستدركه بسند آخر عن زوج النبي عائشة وصححه على شرط الشيخين.

ومنها ما رواه الترمذي في باب ما جاء في فضل فاطمة (ع) عن أم سلمة (أن النبي (ص) جلل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساءً، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، أذهب عنهم الرجل وطهرهم تطهيرا. فقالت أم سلمة: أنا معهم يا رسول الله؟ قال: إنك على خير).

ثم قال الترمذي: هذا حديثٌ حسن صحيح. وهو أحسن شيء روي في هذا حديث الباب: وفي الباب عن أنس، وعمرو بن أبي سلمة وأبي الحمراء...

ويتضح مما تقدم: دلالة الآية، والأخبار المنقولة على طهارة أهل البيت (ع) بمن فيهم الصديقة فاطمة الزهراء وعصمتهم.

فهم بعيدون عن الأخطاء الفكرية في إدراك الأمور...

وهذه العصمة الذاتية: التي هي لطف إلهي يثيره الله تعالى في داخل النفس فيمنعها من باطل الاعتقاد، وسيء العمل من خلال ما توحي به كلمة لا قذارة من المعنى الموجب للتغيير، والبعد عن الشيء والاجتناب عنه.

وإن اللاّم في كلمة (الرجس) للجنس: مما يجعلها شاملة لكل ما يوجب النجس، أو الخبث، أو القذارة في الشخصية، ومما يوجب النفور منها فيما تنحرف به وتخطئ فيه، فتكون دالة على تعلق إرادة الله بإزالة كل الجذور العميقة التي تقود إلى الإنحراف أو تدفع إلى الخطأ. فإن الله تعالى أودع في أهل البيت من عناصر العلم والمعرفة وخصائص القدس، والطهارة مما يذهب به الرجس عنهم، ويحقق الطهارة فيهم.

(عصمة الصديقة الطاهرة (ع)).

الصديقة الزهراء: مقدسة بانتسابها للنبي محمد (ص)، ومقدسة في صفاتها المثلى، وخصالها الحميدة التي تجعلها مقدمة على غيرها من النساء، ونبراساً يقتفى أثره، وهداه، فقد انطلقت البتول بعلمها وعبادتها وإخلاصها لله تعالى ورعايتها لرسول الله، ولأمير المؤمنين حتى ارتفعت إلى مقام العصمة، وسمت إلى مرتبة القداسة، لا تدنسها الآثام، ولا تقترب منها الذنوب، وتركت لنا المثل الأعلى على المرأة التي عاشت حياتها من أجل الله تعالى، وأغمضت عينيها مفارقة الحياة وهي تلهج بذكر الله سبحانه وتعالى، وشوقا إلى أبيها (ص) فهي يقينا معصومة عن الخطأ، والزلل، والسهو، والنسيان.

فلا يذكر لنا التاريخ أو السيرة معصية لها وإن كانت صغيرة.

فكانت عصمتها (ع) عصمة إرادية انطلقت من وعيها، ومن لطف الله تعالى الذي كرم وجهها عن السجود للأصنام، وفعل المعاصي.. وهذا بخلاف غيرها ممنْ سجدوا للصنم.

فهي (ع) سيدة نساء العالمين، كما في الحديث النبوي عند الفريقين: (وأما ابنتي فاطمة فإنها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين).

ولا يمكن أن تكون امرأة في مستوى سيدة نساء العالمين إلا وتكون الإنسانة التي تعيش الحق كله في عقلها، وقلبها، وحركاتها. ولا يمكن أن يزحف الباطل إلى شيء منها في ذلك كله.

فعند دراسة حياتها من ولادتها إلى وفاتها ما وجدنا لها خطأ في فكر أو زلة في قول أو اشتباهاً في فعل تخالف ـــ معاذ الله ـــ شريعة الإسلام، وقواعده الثابتة. فهي الصديقة المعصومة ابنة الصادق الأمين رسول الإنسانية محمد النبي، وزوجة لأمير المؤمنين: صاحب المناهج الإلهية وباب مدينة علم رسول الله (ص)، وهي أم سيدي شباب أهل الجنة (الحسن، والحسين (ع)).

وهي مدرسة لابنتها الحوراء زينب: بطلة الإسلام في كربلاء.

الزهراء عليها السلام
قطوف عقائدية

خاص/ مركز الأبحاث العقائدية

مجموعة وقفات تصب في تأملات ذات علاقة بالسيدة الزهراء (ع)، وضعها مركز الأبحاث العقائدية لتناقش بشكل موضوعي ولتقدم للمتلقي أو الباحث في كل عدد من التوقفات العقائدية وفق منهاج عقلائي شرعي تأصيلي.

العصمة:

قد يسأل سائل أنه ما هو الدليل على عصمة فاطمة الزهراء (ع)؟. وللجواب عن ذلك فإن هناك أدلّة كثيرة ولكن اختصاراً يمكن ذكر بعضها:

الدليل الأول: قد أجمع المفسرون على أن آية التطهير نزلت في من اشتمل عليهم الكساء وهم النبي (ص) وأمير المؤمنين والزهراء والحسن والحسين (ع).

واللام الداخلة في كلمة ليذهب الواردة في آية التطهير تفيد الإستغراق الجنسي أي نفي عموم الرجس، وليست هناك قرينة متصلة أو منفصلة على تخصيص ذلك بنوع خاص أو معين من الرجس.

الدليل الثاني: قول رسول الله (ص) لفاطمة: (إنّ الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك)، فإذا كان غضبها موافقاً لغضب الله في جميع الأحوال وكذلك رضاها فهذا يعني أن رضاها وغضبها يوافقان الموازين الشرعية في جميع الأحوال وأنها لا تعدو الحق في حالتي الغضب والرضا.

فلا يصح أنها ترضى عن فعل فيه معصية لأن الله يرضى لرضاها، ومعناه أن الله يرضى لمعصيتها، وهذا لا يصح، وكذلك الحال في الغضب فهي لا تغضب بما يخرجها عن الطاعة إلى المعصية لأن الله يغضب لغضبها، ولا يصح غضبه لغضبها الذي فيه معصية، فلا بدّ أن لا يكون غضبها فيه معصية، فصارت (صلوات الله عليها) لا تصدر منها المعصية لا في حال الغضب ولا في حال الرضا.

الدليل الثالث: قول النبي (ص): (إنّي تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلّوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض)، ففاطمة من أهل البيت والتمسك بها كالتمسك بالقرآن، والقرآن الكتاب الخالي من الخطأ فهي إذن معصومة من الخطأ، ولو لم تكن معصومة لصار التمسك بها مناقضاً للتمسك بالقرآن، وهذا خلاف الأمر بالتمسك بهما.

وبعبارة فنية إن الملازم للمعصوم معصوم حيث أن القرآن معصوم وأهل البيت ومنهم الزهراء ملازمون للقرآن (لن يفترقا) فتكون الزهراء (ع) معصومة.

خيرٌ للمرأة أن لا ترى الرجل

قول الزهراء (ع): (خير للمرأة أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل) هو بمعنى الأفضل والأحسن للمرأة أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل، وذلك في الأوقات والحالات الطبيعية العادية، وأما في الأوقات والحالات الضرورية التي تتطلبها مقتضيات الحياة فلا، كخروجها لصلة أرحامها أو ذهابها إلى الطبيب لمعالجتها وغير ذلك،

بل قد يتوجب عليها الخروج بسبب الحفاظ على الدين وضروریاته، وبذلك يفسر خروجها (ع) إلى المسجد وخطبتها فيه فلا ضرورة أوجب من الدفاع عن الإمامة.

السر المستودع

إنّ السرّ المذكور هو الميزة الفريدة التي أودعها الله عزّ وجل في نشأة سيدة نساء العالمين الزهراء البتول (ع)، وهي كونها الحلقة الوسيطة بين النبوة والإمامة، فبما أنّها بضعة النبي (ص) تكويناً وبتصريح الرسول (ص) ـ كما ورد في روايات كثيرة ـ تحمل في وجودها أسرار النبوّة ومميزاتها.

ومن جانب آخر أصبحت هي (ع) تحتضن الإمامة بما أنّها كانت بجانب أمير المؤمنين (ع) تربّي ولديها الإمامين الحسن والحسين (ع)، فهي أصبحت تعتبر أمّاً للأئمة المعصومين (ع). وبالجملة، فهي بنت الرسول (ص) وزوجة الإمام علي (ع) وأم الأئمة (ع)، وهذه صفة لا نظير لها في الخلق. ويمكن أن يكون السر المستودع إشارة إلى الإمام المهدي (ع) لأنه من ولدها كما يمكن أن يشير إلى مظلوميتها أو جنينها المحسن والنتيجة أنه لا يبعد التوسّل والتمسّك بهذا السرّ المخزون في ذاتها في التقرّب إلى الله تبارك وتعالى. والعلم عند الله..

فاطمة (ع) وسورة الكوثر

أخرج أصحاب العديد من التفاسير نزول هذه السورة بشأن فاطمة الزهراء بنت الرسول (ص). وإليك عدداً منهم:

١- البيضاوي في تفسيره، عند تفسير كلمة: ((الكوثر)) قال: ((وقيل: أولاده)) (أنوار التنزيل وأسرار التأويل مخطوط ص١١٥٦).

٢- الفخر الرازي في تفسيره الكبير، قال: ((الكوثر أولاده (ص) لأن هذه السورة إنما نزلت ردّاً على من عابه (ع) بعدم الأولاد، فالمعنى: أنه يعطيه نسلاً يبقون على مر الزمان فانظر كم قتل من أهل البيت ثم العالم ممتلئ بهم، ولم يبق من بني أمية في الدنيا أحد يعبأ به)) التفسير الكبير/٣٠ تفسير سورة الكوثر).

٣- الشيخ زاده في حاشيته على تفسير البيضاوي عند تفسير سورة الكوثر، قال: ((إن المفسرين ذكروا في تفسير الكوثر أقوالاً كثيرة منها: أن المراد بالكوثر: أولاده عليه الصلاة والسلام، ويدل عليه أن هذه السورة نزلت ردّاً على من قال في حقّه (عليه الصلاة والسلام)،: أنّه أبتر ليس له من يقوم مقامه)) (ج٩ ص٣٤١).

٤- شهاب الدين في حاشيته على تفسير البيضاوي المسماة بـ(غاية القاضي ص٣).

٥- العلامة أبو بكر الحضرمي في كتابه (القول الفصل ص٤٥٧). وكذا غيرهم.

فاطمة وحيدة الرسول (ص)

إن فاطمة هي البنت الوحيدة للنبي (ص). وإن رقية وزينب وأم كلثوم كل منهن ربيبة رسول الله (ص)، وإنهن في الحقيقة بنات هالة بنت خويلد أخت خديجة بنت خويلد. وقد ذكر ذلك في كتابي (الأنوار والبدع، والكشف واللمع) وذكر ذلك البلاذري وأبو القاسم الكوفي في كتابيهما. انظر مناقب آل أبي طالب١/ ١٣٨، ١٤٠).

والذي يدل على عدم وجود بنات أخر للنبي (ص) غير فاطمة (ع) ما يلي:

أولاً: جاء عن المقدسي والعسقلاني والديار بكري والسهيلي: إن كل ولد النبي (ص) ولدوا في الإسلام. وطبقاً لهذا القول لا يمكن أن تكون زينب وأم كلثوم ورقية من بنات رسول الله (ص)، وذلك لان المعلوم أنهن كن موجودات في الجاهلية بل وتزوجن في الجاهلية.

ثانياً: لم يكن هناك مصاهرة لنبي الله (ص) مع أحد غير علي (ع). فعن أبي الحمراء قال: قال النبي: (يا علي أوتيت ثلاثاً لم يؤتهن أحد ولا أنا: أوتيت صهراً مثلي...) (راجع الرياض النضرة)، فلو كان هناك مصاهرة مع النبي (ص) لغير علي (ع) لما صح من النبي (ص) هذا القول.

ثالثاً: ورد عن ابن عمر في البخاري في مقارنة بين عثمان وعلي (ع) ذكر فيها كون علي ختناً للرسول ولم يذكر ذلك لعثمان. فقال: ((فما قولك في علي وعثمان؟ قال: أما عثمان فكان الله عفا عنه، وأما أنتم فكرهتم أن تعفوا عنه. وأما علي فابن عم رسول الله (ص) وختنه، وأشار بيده فقال هذا بيته حيث ترون).. فلو كان عثمان أيضاً صهراً لرسول الله (ص) لكان لابن عمر أن يستدل به على السائل، بل كان أنسب من غيره، وذلك للحاجة الماسة إلى كل ما من شأنه أن يظهر قربه من النبي ومقامه منه...) (راجع كتاب بنات النبي (ص) أم ربائبه/ لجعفر العاملي/١٠٧).

رابعاً: إن المشهور أن القاسم أكبر ولد رسول الله (ص)، وأنه مات بعد فترة قصيرة من حياته يذكرها البعض بأنها سنتان، وأنه مات في الإسلام وليس في الجاهلية لأدلة كثيرة. منها قوله (ص): (إن له مرضعاً في الجنة تستكمل رضاعة)، وهذا مما يؤكد كون جميع أولاده ولدوا بعد الإسلام، فإذا ثبت أن رقية وزينب وأم كلثوم قد تزوجن في الجاهلية كما هو المعلوم، فبذلك لا يمكن أن تكون أولئك بناتاً للنبي (ص).

وبذلك نفهم من كل ما ذكرنا أن غير فاطمة (ع) ليست بنتاً للرسول (ص) بل أن هناك شبهة نتجت من كون العرب يطلقون على ربيبة الرجل إنها ابنته.

أم أبيها

يمكن استفادة عدة معانٍ من قول رسول الله (ص) لفاطمة (ع) بأنها أم أبيها ومن تلك المعاني:

١- أن الزهراء صلوات الله عليها كانت تداري وترعى رسول الله (ص) كما تراعي الأم ولدها، وكان رسول الله (ص) يحترمها كما يحترم أمه فكان صلوات الله عليه يجد منها العطف والرقة والشفقة والأنس فكانت بمثابة أمه من هذه الناحية.

٢- ذكر أن النكتة من هذه التكنيه هو محض إظهار المحبة. فإن الإنسان إذا أحب ولده أو غيره وأراد أن يظهر في حقه المحبة قال (يا أماه) في خطاب المؤنث (ويا أباه) في خطاب المذكر تنزيلاً لهما بمنزلة الأم والأب في المحبة والحرمة.

٣- إظهار أفضلية الزهراء (ع) على نساء النبي، فإذا كانت النساء أمهات المؤمنين فهي أم أبيها.

٤- إن أم كل شيء أصله، فعليه يمكن أن يقال إن فاطمة هي أصل شجرة النبوة.

حيث ذكر الاربلي في كشف الغمة٢/٩٠: (إن النبي (ص) يعظم شأنها (أي فاطمة) ويرفع مكانها وكان يكنيها بأم أبيها...)، وفي مقاتل الطالبيين قال وكانت فاطمة تكنى أم أبيها ذكر ذلك قعنب ابن محرز الباهلي، حدثني بن محمد بن زكريا الصحاف عن أبي نعيم الفضل بن دكين عن الحسين بن زيد بن علي عن جعفر بن محمد عن أبيه (أي الإمام الباقر (ع) وحديث الباقر هو حديث جده رسول الله (ص)، وفي المعجم الكبير والاستيعاب وأسد الغابة ذكروا أن كنيتها أم أبيها دون أن ينسبوا ذلك لرسول الله (ص).

الزهراء (ع) وفضة

السيدة زهراء كانت قمة الزهد دون شك، لكن الإشكال هو كيف كانت لها خادمة (فضة)؟

سؤال يطرح!!! (عذراً منك سيدتي ومولاتي)، لكن لا أعرف رد هذه الشبهة!

والجواب: إن فاطمة الزهراء (ع) كانت تجسد المثل العليا لكافة الصفات الحسنة والمكرمات الأخلاقية كما تصرح بها نصوص الحديث والتاريخ والسيرة.

فان الروايات المتضافرة دالة على أن النبي (ص) قد منحها وعلمها التسبيحة التي نسبت فيما بعد إليها بدلاً من الاستعانة بخادمة في البيت (البحار ٨٥/٣٣٦).

وأما ما جاء من وجود خادمة لها (ع) اسمها فضة، فهذا قد حدث متأخراً بعد ما تحسن وضع المسلمين نوعاً ما بسبب كثرة الفتوحات والغنائم، فأتحفها الرسول (ص) فضّة لتستعين بها على بعض الأشغال في البيت حتى تفرغ لعبادتها أكثر.

ثم هناك نقطة هامة يجب الانتباه إليها ـ وهي مطردة في حياة المعصومين (ع) جميعاً ـ وهي أنهم كانوا يربون أشخاصاً في بيوتهم تحت عنوان الخادم والغلام والعبد والأمة وغيرها، وهؤلاء بدورهم كانوا يبثون علوم ومعارف أهل البيت (ع) بين الناس، وهذا ما نشاهده في بعض الأحاديث المذكورة والكلمات المنقولة عن فضة مثلاً.

وعليه، فتواجد الخادمة في بيت فاطمة (ع) قد كان من أجل تربيتها وتثقيفها أولاً وبالذات، كما حدث كذلك.

أسرار ومعاني أسم السيدة

أهل البيت (ع) هم تلك النعمة التي لا تحصى، والمكرمة التي لا تدرك، وأسماؤهم هي أسماء الله الحسنى التي قال (عز وجل) عنها: (وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

ففي بحار الأنوار وردت خطبة الإمام علي (ع): (... وأنا أسماء الله الحسنى وأمثاله العليا وآياته الكبرى...)، وفي الاحتجاج: سأل يحيى بن أكثم أبا الحسن العالم (ع) عن قوله تعالى: (سبعة أبحر ما نفذت كلمات الله) ما هي؟ فقال (ع): هي عين الكبريت وعين اليمن وعين البرهوت وعين الطبرية وجمة ماسيدان وجمة إفريقيا وعين ماجروان، ونحن الكلمات التي لا تدرك فضائلنا ولا تستقصى.

السيد معين الحيدري

وفاطمة الزهراء (ع) من تلك الكلمات المتجلية من نور عظمة الله (عز وجل) بل هي نور الله تبارك وتعالى الظاهر في الوجود فاسم (فاطمة (ع)) وهذا الاسم الشريف يحمل من الأسرار والمعاني والدلالات العديدة التي تدل على شأن وعلو هذه البضعة الطاهرة العظيمة، نذكر منها: الفطم من النار

ومعناه هنا القطع والبعد: ففي لسان العرب لابن منظور ج ١٢: فطم: فطم العود فطما: قطعه، وفطم الصبي يفطمه فطما، فهو فطيم: فصله من الرضاع وغلام فطيم ومفطوم وفطمته أمه تفطمه: فصلته عن رضاعتها، وفي علل الشرائع: عن أبي هريرة قال: إنما سميت فاطمة فاطمة؛ لأن الله تعالى فطم من أحبها من النار، وفيه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا فاطمة أتدرين لم سميت فاطمة؟ فقال علي (ع): يا رسول الله لم سميت؟ قال (ص): لأنها فطمت هي وشيعتها من النار.

وفي مختصر بصائر الدرجات: عن محمد بن مسلم الثقفي قال: سمعت أبا جعفر (ع) يقول: إن لفاطمة وقفة على باب جهنم، فإذا كان يوم القيامة كتب بين عيني كل أحد مؤمن أو كافر، فيؤمر بمحب قد كثرت ذنوبه إلى النار، فتقرأ فاطمة (ع) بين عينيه محبا فتقول: إلهي وسيدي سميتني فاطمة، وفطمت بي من تولاني وتولى ذريتي من النار، ووعدك الحق وأنت لا تخلف الميعاد، فيقول الله (عز وجل): صدقت يا فاطمة، أني سميتك فاطمة، وفطمت بك من احبك وتولاك، وأحب ذريتك وتولاهم من النار، ووعدي الحق، وأنا لا أخلف الميعاد، وإنما أمرت بعبدي هذا إلى النار، ووعدي الحق، وأنا لا أخلف الميعاد، وإنما أمرت بعبدي هذا إلى النار لتشفعك فيه فأشفعك، وليتبين لملائكتي وأنبيائي ورسلي وأهل الموقف موقفك مني، ومكانتك عندي، فمن قرأت بين عينيه مؤمنا فخذي بيده وأدخليه الجنة.

ولا تتعجبوا من ذلك لأن روايات المسلمين من غير الشيعة إشارات إلى شفاعة فاطمة الزهراء (ع) الكبرى يوم القيامة كرامة من الله سبحانه وتعالى لها (ع) ومن معاني هذا الاسم قطع طمع الأعداء لأن أعداءها طمعوا فيها، فإنهم أرادوا التزويج منها، وهي محرمة عليهم، والكفؤ الوحيد لها هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع): في عيون أخبار الرضا (ع): عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عن أبيه عن آبائه عن علي (ع) قال: قال لي رسول الله (ص): يا علي لقد عاتبتني رجال قريش في أمر فاطمة، وقالوا: خطبناها إليك فمنعتنا وتزوجت علياً، فقلت لهم: والله ما أنا منعتكم وزوجته! بل الله تعالى منعكم وزوجه، فهبط عليَّ جبرائيل (ع) فقال: يا محمد إن الله جل جلاله يقول: لو لم أخلق عليا (ع) لما كان لفاطمة ابنتك كفؤ على وجه الأرض؛ آدم فمن دونه. فطابقت التسمية المنع من ذلك، وهذا من تأويل الأسماء وأسرارها وأيضا من المعاني هو الفطم من الطمث، والطمث هو الدم الذي تراه النساء، وهذا لا يعتري فاطمة الزهراء (ع) لأنها طاهرة مطهرة، بتول معصومة.

والطمث رجس من الأرجاس، وقد أذهبه الله (عز وجل) عن فاطمة الزهراء، لأنها من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وقد استقصينا ذلك من رسالة لنا في: (طهارة الأئمة (ع).

ويدل على ذلك ما روي في كتب الخاصة والعامة: ففي الكافي: عن أبي جعفر (ع) قال: لما ولدت فاطمة (ع) أوحى الله إلى ملك، فأنطق به لسان محمد (ص) فسماها فاطمة، ثم قال: إني فطمتك بالعلم، وفطمتك من الطمث، ثم قال أبو جعفر (ع): والله لقد فطمها الله بالعلم، وعن الطمث في الميثاق، وفي تاريخ بغداد: عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ص): ابنتي فاطمة حوراء آدمية، لم تحض ولم تطمث.

أيضاً من المعاني نور عظمة الله ففي الجواهر السنية: عن جابر عن أبي عبد الله (ع) قال: قلت له: لم سميت فاطمة؟ فقال: لأن الله خلقها من نور عظمته، فلما أشرقت أضاءت السماوات والأرض بنورها وغشيت أبصار الملائكة وخرت الملائكة لله ساجدين، وقالوا: إلهنا وسيدنا ما هذا النور؟ فأوحى الله إليهم: هذا نور من نوري، أسكنته في سمائي وخلقته من عظمتي، أخرجه من صلب نبي من أنبيائي أفضله على جميع الأنبياء، وأخرج من ذلك النور أئمة يقومون بأمري ويهدون إلى حقي وأجعلهم خلفائي في أرضي بعد انقضاء وحيي.

أيضاً الفطم من الشر وجاء في علل الشرائع: عن الحسن بن عبد الله بن يونس بن ظبيان قال: قال أبو عبد الله (ع) لفاطمة (ع) تسعة أسماء عند الله (عز وجل): فاطمة والصديقة والمباركة والطاهرة والزكية والراضية والمرضية والمحدثة والزهراء، ثم قال: أتدري أي شيء تفسير فاطمة (ع)؟ قلت: أخبرني يا سيدي؟ قال: فطمت من الشر، قال: ثم قال: لولا أن أمير المؤمنين (ع) تزوجها ما كان لها كفؤ إلى يوم القيامة على وجه الأرض، آدم فمن دونه.

وأيضاً من هذه المعاني الفطم عن معرفتها: في تفسير فرات الكوفي: عن أبي عبد الله (ع) أنه قال: (إنا أنزلناه في ليلة القدر) الليلة فاطمة والقدر الله، فمن عرف فاطمة حق معرفتها فقد أدرك ليلة القدر، وإنما سميت فاطمة لأن الخلق فطموا عن معرفتها،و فطم الأعداء عن محبتها في تفسير فرات: عن النبي (ص)... قلت: يا جبرائيل؛ ولم سميت في السماء منصورة وفي الأرض فاطمة؟ قال: سميت فاطمة في الأرض، لأنه فطمت شيعتها من النار، وفطمت أعداؤها عن حبها.

ومن معاني اسم فاطمة من أسماء الله الحسنى ففي دلائل الإمامة: عن سلمان رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله (ص): إن الله تبارك وتعالى لم يبعث نبياً ولا رسولا، إلا جعل له اثني عشر نقيباً، فقلت: يا رسول الله، لقد عرفت هذا من أهل الكتابين.

فقال (ص): يا سلمان؛ هل علمت من نقبائي؟ ومن الاثني عشر الذين اختارهم الله للأمة من بعدي؟ فقلت: الله ورسوله أعلم؟ فقال: يا سلمان؛ خلقني الله من صفوة نوره، ودعاني فأطعته، وخلق من نوري عليا ودعاه فأطاعه، وخلق من نور علي فاطمة ودعاها فأطاعته، وخلق مني ومن علي وفاطمة الحسن ودعاه فأطاعه، وخلق مني ومن علي وفاطمة الحسين فدعاه فاطاعه، ثم سمانا بخمسة أسماء من أسمائه، فالله المحمود وأنا محمد (ص) والله العلي وهذا علي، والله الفاطر وهذه فاطمة، والله ذو الإحسان وهذا الحسن، والله المحسن وهذا الحسين، ثم خلق منا ومن نور الحسين تسعة أئمة، فدعاهم فأطاعوه.

اعلمـــوا إنّي فاطمة

العلامة الشيخ علي حسان شويلية

كل قضية أو نهضة أو ثورة إنما يتألف نسيجها من عنصرين أساسيين هما العقل والشوق. فالعقل نور والشوق حركة. احدهما يبعث على الحسن والمعرفة والبصيرة والآخر يبعث على الحركة والغليان.

على أننا نجد هذين العنصرين في معاني الدين في حالة احتياج بعضهما إلى البعض فالدين إنما هو بصيرة عاشقة ومعشوقة فالحسن والمعرفة يتمخضان عن الشغف والإيمان فلا انفصال بين العقل والحسن.

وها نحن نرى جماهيرنا في يومنا هذا أو في أيامنا السالفات الماضيات لم تبرح بوابة بيت فاطمة، تأن متوجعة وهي تذرف الدموع عند تلك البوابة وذلك هو لسان الجماهير، وهو لسان صادق رقيق كلماته ليست ألفاظاً وعبارات بل دموع وكل عبارة من عباراته إنما هي أنين وشوق وحسرة ولوع.

أوليست العين تنطق بأصدق مما ينطق به اللسان.

قد تعجبون حين أعطي الدمعة هذه المرتبة وأصفي لها القول بالثناء.

قال روجيه دوبريه الفرنسي المعروف (إن الذي لا يبكي ولا يعرف ما هو البكاء ما هو بإنسان يملك حس الإنسان، إن هو إلا حجر، إن هو إلا روح يابسة متوحشة).

على أن البكاء الذي لا يدرك المحبوب ولا يفقه من الإيمان شيئاً هو بكاء يغسل المقلة فيزيل عنها ما علق بها من غبار ليس غير، ولا ينبغي أن ننسى أن أول من استهجن هذا النوع من البكاء على الحسين هي زينب بنت علي.

لذلك حملت بين يديها أثقل من رسالة الحسين وهي إبقاء نهضة كربلاء وثورتها على الظلم والاستبداد حيث لا أبطال ثورة ولا رجال مقاومة ظلت صامدة بكل معطياتها سائرة بكل إمكاناتها تألب الجماهير وتوقظ الضمائر وتشحذ الهمم وتعرى الظالمين والمنافقين والمارقين حتى غدت على خط النار وفي المواجهة عند الخط الأول وما زالت صرختها تسير بخط متوافق مع صرخة أخيها الحسين دون أن تخمد حرارتها في نفوس الموالين والمشايعين على كرور الأيام لقد اصطفى إله إبراهيم فاطمة، هذه البنت التي هي صفوة المفاخر في قومها وخلاصة المناقب في أجدادها.

وبيت فاطمة يجاور بيت محمد وبينهما كوة وما كانت المسافة بين هاتين الكوتين إلا مترين. فالشباكان المتناوحان يضمان البيتين وكان الأب عند الصباح يفتح الشباك فيسلم على ابنته الوديعة الرقيقة.

وفي بعض النصوص أن النبي كان يقبل وجه فاطمة ويديها.

فهذا السلوك الذي اختص به هذا الأب الحنون ابنته فاق في آفاقه الملاطفة، فأب يقبل يد ابنته إنما هو ضربة أو ثورة تهوى على رأس التقاليد الجاهلية والعلاقات الهمجية.

مثل هذه المعاملة تفتح للعوام المسلمين المتبعين للرسول على عظمة فاطمة

المدهشة عيونا لا تبصر إلا الضيق. فإنما بتلك المعاملة التي تصدر من النبي ما هي إلّا درس للمرء حيثما يكن وأنّى يكن.

إن إكبار الرسول فاطمة لم يكن محبة الأب للبنت فحسب. إنما كان أمراً خطيراً يترقب أحداثاً أشد خطورة.

إن الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها، فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني ومن أحبها فقد أحبني.

لقد كانت فاطمة تبادله نفس الحب وتحنو عليه حنو المرضعات على الرضيع يروي لنا التاريخ انه يوم كان النبي يسجد في المسجد الحرام فقذف أحدهم رأسه بالكرش، أسرعت فاطمة الصغيرة إلى أبيها فتحت عنه الكرش ومسحت وجهه ورأسه بيديها الناعمتين ثم لاطفته وعادت به إلى البيت.

إن فاطمة على حد تعبير الرسول الأعظم (ص) هي إحدى أربع نساء التاريخ المتميزات الكوامل: مريم، وآسية، وخديجة، وفاطمة، ولماذا كانت فاطمة آخرهن.

إن أكمل حلقة في سلسلة التكامل في جميع الكائنات وفي كل مقاطع الزمان هي الحلقة الأخيرة، وأكمل الأنبياء آخرهم، فكذلك كانت فاطمة بين النساء المتميزات في العالم.

لقد كانت قيمة مريم في عيسى الذي ولدته.

وكانت قيمة آسية في موسى الذي رعته.

وكانت قيمة خديجة في محمد الذي أعانته.

وقيمة فاطمة؟ فيما أقول؟ أهي في خديجة أم في محمد أم في علي أم في الحسنين أم زينب أم فيها هي.

إنها فاطمة هذه التي تتحمل في قلبها ثقل هذه الضربات القاسية المتوالية.

أبوها الذي كان أحب الناس إليها قد قضى، وعلي الذي هو منها الزوج والأخ والرفيق والقريب حزين مهزوم قابع في البيت كفاطمة وحيدا.

بات الناس كلهم غرباء عنها فالمدينة لا عهد لها بهما، والإسلام.

هذا الإيمان الذي جاهدت فاطمة برغم صغرها في سبيل توطيده مماشية في هذا الجهاد أباها. يصار إلى مصيره بالسقيفة.

كانت كلما ضغط الألم قلبها وخنقتها العبرة أحست بحاجتها إلى محبة أبيها ورقة قلبه وتسليته لها كأشد ما يكون الاحتياج. فما هي إلا أن تقصده لتلقي النفس على تربته وتعفر بالتراب وجهها وتأخذ تشمه بتلك العاطفة. حتى إذا سكنت لحظة كأنها قد وجدت التسلية تنشد هذا الكلام من خلال العبرات والنظرات (ماذا على من شم تربة أحمد...) وتصمت شيئاً فشيئاً. وتتساقط (تربة أحمد) من بين أصابعها الخاوية فتعاتبها مستسلمة مبهوتة غاصة بالألم والأسى. فتعمد في جو لا هي فيه باكية ولا هي فيه باسمة. سكوت مبهوت فكأنها قد انسلخت من هذه الدنيا هكذا كانت الليالي والأيام تمر، وكان الناس خلال ذلك مصروفين إلى جمع فضلات الدنيا وترصيد الأموال والأنعام.

كانت تنتظر بشوق بشارة الخلاص التي وعدها بها أبوها وكلما انسلخ يوم كان شوقها إلى الموت يقوى ويشتد فهو منقذها الوحيد في الحياة وكأنها تود أن تلقى أباها بلقاء طافح بالشكوى والألم.

إنها الآن مشمرة في ميدان الانتظار والزمان يمضي.

لقد انسلخت الأيام ولما يأت الموت مرت عليها خمسة وأربعون يوماً أو قل خمسة وسبعون يوما أو قل خمسة وتسعون يوماً على وفاة أبيها.

إنها الآن تستعد للرحيل فقد أذن لها بالرحيل وكتب عليها الفراق فها هي تقبل أولادها واحداً بعد الآخر.

الحسن وهو ابن السابعة والحسين وهو ابن السادسة وزينب وهي بنت الخامسة.

ذا هو علي بن أبي طالب يتسمر متشتت الأفكار، عيناه تدوران بين فاطمة التي حلت ساعة وداعها وبين الأولاد الذين أذهلهم الموقف وبقي حيث هو عاجزاً بائساً، لا يدري ما يصنع، ستتركه فاطمة في هذا المكان، سيبقى في المدينة دون فاطمة الشريفة. إن هذه البلدة في نظره ستصبح وحشاً مختبئاً في ظلمة الليل الحالك، فهي تترصده بالخيانة والوقاحة والمؤامرة، من لأطفاله وللناس والحقيقة والواجبات التي تنتظره وللرسالة الثقيلة التي كانت عهداً في ذمته.

ذي لحظة وداعك يا علي! وما أشقها من لحظة.

اعلموا أني فاطمة! لو تيسر للقوم أن يعلموا مغزى هذه الكلمة كما عرفها عليٌ ومناصروه لأكلوا من فوق رؤوسهم ومن تحت أرجلهم وعن يمينهم وعن شمالهم ولكنها الجهالة والغشاوة أسدلت عليهم ستار الفهم والمعرفة، فكانت الردة وكان الخسران وكانت الشقاوة التي ما زالت وستظل فالجاهل في شقوته يتنعم والعاقل في سعادته يشقى وأنّى لهم أن يفهموها وقد سحقوها بأقدامهم كما يسحق القدر الأحمق الخير بخطاه.

ومرة أخرى نطقت فاطمة ولكنها مع أم رافع خادمة النبي قائلة:

صبّي عليّ الماء لأغتسل، فاغتسلت بهدوء واطمئنان، ثم ارتدت ثياباً جديدة كانت قد استبدلت بها بعد موت أبيها ثياباً سوداً فكأنها أتمت الحداد وعادت فقالت لأم رافع.

فابسطي فراشي وسط الحجرة.

وانطرحت عليه هادئة مستسلمة. ثم اقتبلت ثم انتظرت، ثم مرت لحظات ثم هب في البيت نواح.

لقد أطبقت جفناً على جفن محدقة في حبيبها الذي ينتظرها.

وانطفأت شمعة من النار والعذاب في بيت علي.

كانت قد طلبت من علي أن يدفنها ليلاً لئلا يعرف أحد أين يقع قبرها ولئلا يشيع جنازتها أولئك الذين تصدوا لها وغصبوا حقها وفعلوا فعلتهم التي فعلوها.

فكان لها من علي ما أرادت.

وما من أحد يعرف قبرها ولا أين أفي بيتها؟ أم في البقيع؟ أم بين القبر والمنبر الأمر مجهول وسيظل...! إن يكن في البقيع ففي أي جانب منه؟ الأمر مجهول والشيء الذي ليس بمجهول هو حزن علي في هذه الليلة على قبرها.

الليل ساج والظلمة قد أطبقت على المدينة، فالمسلمون كلهم راقدون فكأن صمت الليل ينبأ على وجود نعش في طياته رمز القداسة والشرافة يصغي لحديث علي هذا الهادئ الحزين.

كان الليل الصامت الحزين يصغي لهمس أوجاعه. البقيع في هدوئها والمدينة في جفائها قد صمتا. أما القبور اليقظى والمنازل الراقدة فهي السامعة.

كان نسيم الليل يحمل تلك الكلمات التي انطلقت من في علي بعد معاناة في صياغتها فقد هدّه الحادث وآلمه المصاب وجفت الكلمات عند ذلك البليغ المتكلم.

السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك النازلة في جوارك والسريعة اللحاق بك، قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبري ورق عنها تجلدي. ألا إن في التأسي لي بعظيم فرقتك وفادح مصيبتك موضع تعزّ.

فلقد وسدتك في ملحودة قبرك وفاضت بين نحري وصدري نفسك. فإنا لله وإنا إليه راجعون فلقد استرجعت الوديعة وأخذت الرهينة. أما حزني فسرمد وأما ليلي فمسهد إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم. وستنبئك ابنتك بتظافر أمتك على هضمها فأحفها السؤال واستنجدها الحال. هذا ولم يطل العهد ولم يخل منك الذكر والسلام عليكما سلام مودع لا قال ولا سئم فإن أنصرف فلا عن ملالة وإن أغم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين.

وصمت لحظة أحس خلالها كل ما قاساه في عمره من عذاب كانت كل كلمة من هذه الكلمات التي كانت من أعماق قلبه جزءاً من وجوده ينطوي كطي السجل للكتب.

كما طوت فاطمة سجل حياتها الممخض بالألم والعناء بعد أن تركت لنا مصحف الهداية والرشاد وذكرى سابحة في سماء الخلود نستنشق أريجها ما دامت الحياة تدب في هذا الوجود.

وستظل فاطمة ذلك الرمز الذي يحيا في نفوس المسلمين منبعا يلهم الحرية والحق والعدل ومجاهدة الظلم والقسوة والتمييز.

قراءة في كتاب .....

علياء عبد الزهرة مهدي/ جامعة الكوفة/ كلية التربية للبنات

الحديث عن الزهراء(ع) يرتبط دائما بالألم واللوعة لمظلومية هذه السيدة الطاهرة، ويعد عدم الاعتناء بدراسة كلماتها وأدبها جزءاً من هذه المظلومية، بل نجد عدم التعرض لذكر خطبها (ع)عند دراسة أدب صدر الإسلام حتى في بعض الكتب التي كتبها مؤلفون ينتمون لمدرسة أهل البيت (صلوات الله عليهم)؛ إمّا خوفاً،أو تقصيراً، أو محاباةً، والأسباب في قلة تسليط الضوء على آثارها(ع) كثيرة ليس هذا مجالها.

ويعد الدكتور (محمود البستاني) أحد علماء الأمة الأفذاذ ومفكريها العظماء الذين أخذوا على عاتقهم نشر فكر أهل البيت (ع) في ضوء الدراسة اللغوية والأدبية، وقد عمل على الاستفادة من معطيات الدراسة الأكاديمية في تحليل كلماتهم (ع) ويعد كتابه (أدب فاطمة الزهراء (ع)) أول محاولة لدراسة أدب الزهراء، وتسليط الضوء عليه بصورة مستقلة وواضحة من خلال دراسته لخطبتيها (ع).

وكانت قراءتي لهذا الكتاب قد فتحت أمامي آفاقاً واسعةً لدراسة كلمات هذه السيدة العظيمة وسلّطت لي الأضواء على خصائص هاتين الخطبتين؛ لذا أحاول أن أقدم في قراءتي لهذا الكتاب عرضاً موجزاً لأبرز الجوانب التي يتناولها،موضحةً آلية الكتاب، وناقلةً رؤية المؤلف.

يبدأ المؤلف بدراسة الخطبة الأولى (خطبتها (ع) بعد وفاة أبيها) بعد أن ينقل نص الخطبة من كتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسي، ويرى المؤلف أن الخطبة ابتدأت بالاستهلال الجديد الذي أوحت به رسالة الإسلام (من حيث التمهيد لله تعالى بالشهادتين) ويرى المؤلف أن الاستهلال هو استهلال فني يرتبط من حيث البناء الهندسي للنص بالموضوع الذي استهدفته الزهراء (ع)، والخطبة أو النص تزخر بنحو محض بطابعي الصورة والإيقاع، (وهما الطابعان اللذان لا يكادان ينفكان عن مطلق النصوص الواردة عن المعصومين... فضلاً عن الطابع المتسم بأهمية كبيرة هو طابع البناء الهندسي).

يقسّم المؤلف الخطبة إلى أقسام عدة ويرى أن القسم الأول يتميز بالبناء الإيقاعي واللغة غير المصورة لأن المسائل التي تذكرها (ع) فيها تتطلب طرحاً مباشراً.

ويركز الدكتور في تحليله على هندسة النص وتنظيم الجمل والفقرات والاستعمال الدقيق للمفردات بدلالاتها المحددة فيقول: "هنا يتعين علينا أن نشير أو نكرر الإشارة دون أن نمل من ذلك أن النص المعصوم يفترق عن سواه بعدم استخدامه المترادفات في موقف جزئي واحد" وهو يشير بهذا إلى قولها (ع): (الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدّم) إذ استخدمت الزهراء (ع) (الحمد، والشكر، والثناء) استخداماً دقيقاً بعيداً عن معنى الترادف الذي قد يتبادر إلى الذهن عند سماع هذه الكلمات الثلاث.

ويمضي المؤلف في شرحه لبناء النص الشكلي،ومحتواه الدلالي موضحاً الترابط بين الشكل والمضمون في النص مبيناً أن (التنويع الإيقاعي لا تنفصل صياغته عن التنويع الدلالي).

ثم ينتقل إلى الاستهلال الثاني الذي يبدأ بالشهادتين فيمضي على هذا النحو من شرح الفقرات، وكيف انتظمت في جمل متناسقة ومتناغمة ويدخل في شرح عناصر أخرى دخلت في النص هي الرمز،والصور التمثيلية التي جاءت بها الزهراء (ع) لتقريب المعنى للسامع كقولها (ع) عن التوحيد: "كلمة جعل الإخلاص تأويلها، وضمَّن القلوب موصولها، وأنار في التفكر معقولها".

ويمكن تلخيص الجوانب التي تلمسها المؤلف في بناء الخطبة بما يلي:

١. الجانب الإيقاعي المتمثل بالسجع، وأنماط التكرار، والتوازي، والتوازن.

٢. الجانب التركيبي المتمثل بالأدوات التي سبكت النص وجعلته متماسكاً، كحروف الربط، والضمائر، والأساليب.

٣. الجانب التأثيري المتضمن جوانب التصوير،والتضمين وأساليب الخطاب المختلفة.

٤. الجانب الدلالي وهو الجانب الذي تصب فيه الجوانب الأخرى؛ إذ تضافر الجانب الصوتي (الإيقاعي)،والتركيبي والجوانب البلاغية والتأثيرية المختلفة في إيصال دلالة محددة ودقيقة وهذا ما يميز نص المعصوم في تعدد جوانبه وتكاملها.

وهكذا يشير المؤلف إلى القدرة التعبيرية الإرتجالية التي تمتعت بها الزهراء (ع) في أساليب مختلفة مثل المحاججة، والتعريف عن نفسها (ع)، واستعمال المنطق القرآني.

ونرى المؤلف يركز في كل قسم من الأقسام على هندسة النص، وتنظيم الجمل والفقرات بشكل دقيق لا أعتقد أن هناك من سبقه فيه، ويمضي على هذا النحو حتى يستكمل تحليل الخطبة بكل أقسامها.

ثم ينتقل المؤلف إلى خطبتها (ع) في مرضها في نساء المهاجرين والأنصار فيبدأ بنقل نص الخطبة،ثم ينتقل إلى تحليلها،فهو يرى أن الخطبة تبدأ بالدخول إلى الموضوع المستهدف مباشرة ويقول في ذلك: (ولعل السياق الذي وردت الخطبة خلاله فرض الدخول مباشرة إلى الموضوع وهو:سؤال النسوة عن مرضها الذي عدن فاطمة (ع) فيه".

ويشير المؤلف إلى أن هذه الخطبة استُهلَّت بذم الدنيا ويرى أن ذلك "يرتبط بمناخ الموقف، حيث أن المجتمعات نسوة وارتباطهن بالدنيا وزينتها واضح).

ويرى أن الخطبة منذ البداية تحتشد بالعنصر الصوري وأول سمة فنية افتتحت بها الخطبة هي اقتران أول عبارة بالقسم حيث خاطبتهن (ع) بقولها: "أصبحت والله عائفة لدنياكن قالية لرجالكن"، ويرى المؤلف أن هذا المسار الفني يعد أحد أشكال البناء المحكم من حيث كونه تمهيداً فنيّاً للدخول إلى موضوع يتحدث عن الرجال الذين بهرتهم زينة الحياة الدنيا فصاغوا المؤامرة التي أبعدت عليا (ع) عن الموقع الذي انتخبه الله تعالى والرسول (ص) له حيث يستخلص المتلقي من هذا التمهيد انصياع البشر للدنيا (الرجال من أجل الجاه والنساء من أجل الرجال).

ويرى المؤلف من خلال تحليله للخطبة (أن الفارق بين هذه الخطبة وسابقتها أن السابقة عرضت لموضوعين هما الخلافة وفدك،مع ملاحظة أن فدك تجسد مدخلاً أو أداةً فحسب للموضوع الأول،أو لنقل الموضوع العبادي الذي خلق الله تعالى الإنسان من أجله أما الخطبة الأخيرة فقد تمحضت للخلافة دون الركون إلى الأداة المذكورة).

ويشير المؤلف إلى ضرورة متابعة النص جمالياً، ودلالياً ويبدأ تحليله وهو يمزج بين الناحيتين ليبين مثلا أن (الاستعارة القائلة (لفظتهم بعد أن عجنتهم) جاءت بعد اختبار ظاهرة السقيفة ثم امتداداتها إلى حين وفاتها (ع)، إذ كشف الرمز عن عدم أمل الرجوع إلى الحق...لذلك لا تجد في هذه الخطبة ما وجدناه في سابقتها من الإشارة إلى أن القوم من حماة الدين)، وهكذا يستمر المؤلف في منهجه التحليلي وهو ينتقل من مقطع إلى آخر،كقولها (ع): (فقبحاً لفلول الحد، واللعب بعد الجد) مشيراً إلى أن هذا المقطع هو (ضفيرة من الصور الاستعارية المتتابعة والإيقاعات المتوازية المتعاقبة، وهذا يؤدي إلى تصعيد الإثارة الفنية، وتصعيد الإثارة الدلالية التي يستهدفها النص، وهو خطأ وخطيئة الموقف الذي صدر عنه القوم في إبعادهم الإمام علي (ع) عن الموقع الذي انتخبه الله تعالى له) ويوضح المؤلف في تحليله بناء المقطع الإيقاعي من خلال توازن الجمل، وانتظام المفردات، وتوازنها عددياً وصوتياً.

وهكذا يستمر المؤلف في تحليله للنص كاشفاً عن خباياه ومكنوناته وهو يكشف عن طاقة لغوية هائلة حفلت بها هاتين الخطبتين.

ويكشف التحليل اللغوي للنص الأساليب المتنوعة التي استعملتها الزهراء (ع) من تناص، وتضمين، وأساليب الإنشاء والتقرير، والصور، والإيقاع، وغيرها من العناصر التي وظفتها الزهراء (ع) في نصها الإبداعي.

ولابد لنا أن نشير إلى أن الكتاب مبني على مبدأ تحليل نص الخطبة دون أن تكون هناك منهجية في التقسيم والتبويب في مباحث أو موضوعات، ويمكن أن يعد هذا الكتاب أول محاولة لدراسة خطب الزهراء (ع) دراسة تحليلية ولعل المؤلف أراد بكتابه هذا أن يكون النواة الأولى التي تشير إلى خبايا هذا النص وأسراره تاركا وراءه مسؤولية كبيرة على الباحثين في تحليل النص ودراسته بشكل معمق ومستفيض في كل جوانبه اللغوية، والفنية.

والقارئ للكتاب يشعر بمتعة كبيرة وهو يكتشف بناء هذا النص العظيم، والدقة اللغوية التي بني عليها وهو يقف على ما أرادته الزهراء (ع) بشكل دقيق وواضح.

والآليّة التحليلية للنص تكشف عن طاقة لغوية ونقدية هائلة حملها الدكتور محمود البستاني وصبَّها في هذا الجهد المبارك الذي نظر فيه إلى كنز من كنوز اللغة والفكر والدين فحاول أن يقدمه إلى الإنسانية بكل ما يحمل من طاقات جمالية وفكرية لعل أيدي الباحثين تصل إلى هذا الكنز لتستخرج منه كل غال وثمين من جواهر اللغة وجماليات التعبير والتصوير، وآفاق المعرفة الرحبة التي لا تعرف الحدود؛ فكلمات الزهراء (ع) معجزة لغوية بكل المقاييس.

الأزهر بين الماضي والحاضر والمستقبل

د. عادل أحمد أمين / جمهورية مصر العربية

ترك الفاطميون في مصر ثمرتين هما: مدينة القاهرة والأزهر الشريف الذي بناه القائد الكبير جوهر الصقلي في الجنوب الشرقي من مدينة القاهرة على مقربة من القصر الكبير. وقد بدأ بناءه في ٢٤ جمادى الأولى سنة ٣٥٩هـ وانتهى منه في رمضان سنة ٣٦١هـ.

وقد اختلف حول تسمية الجامع الكبير بالأزهر، فمن قائل بأن من خلع عليه اسم الأزهر هو جوهر الصقلي وآخرون يرون أنه الخليفة المعز لدين الله الفاطمي، لكن الحقيقة أن هذا المسجد ظل لفترة طويلة يسمي بمسجد القاهرة نسبة إلى المدينة التي بني فيها، والذين سموه بالأزهر هم أهل مصر، وهذا يدل على حب المصريين لأهل البيت (ع) وميلهم لهم، وكانت توجد قبائل مصرية منتمية لأهل البيت ويثبت هذا القلقشندي الذي يذكر أن القبائل الشيعية اختطت حول القصر لكل قبيلة منها خطة عرفت بها.

وفي البداية لم يكن الأزهر إلا مسجداً للصلاة، ولم يكن متميزاً عن باقي المساجد في شيء، وكانت بداية التحول الكبير في كينونة الجامع الأزهر في عام (٣٦٥هـ) حيث جلس قاضي القضاة أبو الحسن على بن النعمان القيرواني بالجامع الأزهر ليقرأ مختصر أبيه في فقه آل البيت (ع)، وهو كتاب "الاختصار" في جمع كبير من العلماء والفقهاء، ثم استمرت حلقات بني النعمان بالأزهر بعد ذلك لتكون بداية لنهضة علمية وحضارية ووقائع تاريخية عظيمة، ثم كان الدور الأعظم للوزير "يعقوب بن كلس" وزير المعز لدين الله ووزير ولده "العزيز" الذي قرأ على الناس كتاباً ألفه في الفقه الشيعي عرف بعنوان "الرسالة الوزيرية"، وقد هرع إليه سائر الناس خاصتهم وعامتهم، والفقهاء والأدباء والقضاة لسماعه والدراسة على يديه، وكان ابن كلس يهودياً ثم أسلم، وقد اشتهر بحب العلم، وحسن الخلق وقوامة الدين والعقيدة، وأضيف شيئاً آخر وهو أن كونه كان يهودياً جعله ملماً بعلوم أهل الكتاب مما زاده ثقافة وعلماً وميزه عن غيره، والحقيقة أن ابن كلس هو أول من جعل الجامع الأزهر معهداً للدراسة المنظمة المستقر.

وقد أنشأ الفاطميون "دار الحكمة" وهي أشبه بجامعة، لكن سرعان ما اضمحلت ثم أغلقت في بدايات القرن السادس الهجري، وكان لذلك أثره الإيجابي على الأزهر خصوصاً في علوم اللغة وبعض العلوم الأخرى، فقد أحل الأزهر مكان دار الحكمة، وأدى دوره بكفاءة كبيرة، وكان هذا بداية ظهور الأزهر كجامعة رئيسية للدولة الفاطمية.

وقد اعتمد الأزهر في الدراسة على نظام الحلقات ومجالس الدروس الخاصة، وكانت الحلقات للعامة من الناس ولا مانع من حضور بعض العلماء، أما الجلسات الخاصة فقد كان يعقدها علماء الأزهر في بيوتهم استكمالاً للمحاضرات العامة التي تقام في الجامع الأزهر، وهذا يعني أن تلك الفترة كانت فترة ازدهار علمي وبحث ديني وتحصيل للعلوم والفكر.

وكما ذكرت فالأزهر ثمرة الدولة الفاطمية التي طالما ظلمها المتعصبون كثيراً، فالواضح أن هذا الكيان العظيم نتاج فكر وعمل وكفاح دولة كاملة هي الدولة الفاطمية، فالخليفة "العزيز بالله" عين بالأزهر جماعة من الفقهاء للتدريس والقراءة يعقدون مجالسهم بالجامع في كل جمعة بعد الصلاة حتى العصر، وهذا ما يميز الأزهر رغم أنه لم يكن المسجد الأول في مصر، بل كان رابع مساجدها، وكان هناك ثلاثة مساجد قبله هي مسجد عمرو، فجامع العسكر، ثم جامع ابن طولون، ومعني ذلك أن لكل دولة من الدول الإسلامية مسجدها الجامع أو جامعها الرسمي الخاص بها، وقد كانت تقام حلقات تدريس في تلك المساجد، ورغم هذا ورغم سبقها للأزهر الشريف فقد أصبحت الآن تلك المساجد في ذمة التاريخ، وبقي الأزهر شامخاً خالداً حتى يومنا هذا وإلى أن يشاء الله.

وبتحليل الأزهر بشكل عقلي فالفرق بين الجامع الأزهر والمساجد الثلاثة السابقة عليه هي الدولة الفاطمية، فالكيانات الروحية والعلمية مثل النهر لا نستطيع أن نفصل منبعه عن مصبه، فالجامع مجرد بناء ومكان للصلاة، لكن الهدف من الإنشاء وكيفية الرعاية هي التي تجعل منه قيمة أكبر، فشهرة الأزهر كان الأساس فيها الدولة الفاطمية، دولة العلم والفكر، دولة الفقه والاجتهاد، فالمساجد السابقة على الأزهر كان التدريس فيها منحصراً في مذهب واحد، وبشكل تلقيني، اعتماداً على النص فقط ومن خلال الترغيب والترهيب، فلا حرية ولا اجتهاد، أما الجامع الأزهر فقد سمحت الدولة الفاطمية بتدريس جميع المذاهب فيه حتى المذاهب المخالفة لمذهب الدولة،

وفتحت باب الاجتهاد مما جعل من الأزهر منارة علمية وفكرية وإسلامية.

وقد ذكر المؤرخون أن الخليفة "المعز لدين الله" كان ناسكاً زاهداً وكان يحضر دروس الفقه بنفسه؛ وكذلك ابنه العزيز، كما أن الخليفة الفاطمي كان يتابع ويرعى الجامع الأزهر شخصياً، والدليل على أن الأزهر نتاج دولة متقدمة راقية أن المؤرخين ذكروا أن الصلوات الخمس كانت تقام في الأزهر، وكان الخليفة الفاطمي يخطب الجمعة فيه، فهذا دليل استقامة الدولة، وحسن رعايتها وحفاظها على الإسلام كدين وقيمة عظمى، وكانت تلك الدولة هي السر العظيم والكبير في ازدهار الأزهر وعلو شأنه وبقائه خالداً حتى اليوم.

ولتنوع الدراسة في الأزهر في العصر الفاطمي والانفتاح المذهبي على معظم المذاهب والفرق الإسلامية؛ أمست الشخصية الأزهرية شخصية متفتحة بعيدة عن التعصب، كما أن الأزهر كان له نهجه وطريقه الخاص به، فالواضح أنه جعل من الشخصية الدارسة شخصية مستقلة لها مذهبها ومنهجها، فالمصريون - مثلاً - لم يتقبلوا المذهب الحنفي في بداياته الأولى، كما أن المذهب الحنبلي لم يتسلل إلى مصر إلا في نهايات القرن السابع، فالأزهر جعل لمصر شخصية مستقلة من الناحية الدينية والعقدية، كما أنه حافظ على الوسطية الإسلامية والاعتدال الديني في مصر.

ولم تبق الأمور على هذا المنوال طويلاً، فقد تعرض الأزهر لطامة كبرى كان من الممكن أن تودي به في ذمة التاريخ وتجعله مجرد أثراً من الآثار، فلم تستمر الدولة الفاطمية في مصر أكثر من قرنين وزالت دولتهم بعد استيلاء صلاح الدين الأيوبي على الحكم وإنهاء عصر الدولة الفاطمية.

وأول ما فعله صلاح الدين هو قتل كل فقهاء وعلماء الأزهر، كما أغلق الجامع لمدة تزيد على المائة عام، ليقضي على مذهب الشيعة في مصر من ناحية ويهدم الأزهر كرمز للدولة الفاطمية، لذ فقد قلد "صلاح الدين" عبد الله بن درباس وظيفة قاضي القضاة - وكان شافعي المذهب - كما منع الخطبة في الجامع الأزهر، وأقرها بالجامع الحاكمي بالجمالية مدعياً أن الجمعة لا تتعدد في البلد الواحد.

والحقيقة أن صلاح الدين لم يكن يقصد بأفعاله هذه مصلحة عامة، فالأزهر كان يمثل الإسلام لا الدولة الفاطمية، وكان كل همه القضاء على كل أثر للدولة الفاطمية، ونشر مذهبه ولو بالعنف والقتل، بل إنه اضطهد المذاهب السنية عدا المذهب الشافعي، ولو كان صلاح الدين حسن النية والدين ما أغلق مسجداً جامعاً كالأزهر، وما قتل شيوخه، فكيف لمن يقصد وجه الله والصالح العام للأمة أن يفعل هذا! وكيف لأي شخص أن يغلق بيتاً من بيوت الله تعالى؟، وهنا يبدو الفرق بين دولة ودولة.

وأثبتت السنون قيمة الأزهر كمكانة وكيان، فرغم إغلاقه لمدة مائة عام إلا أنه ظل في قلوب المسلمين كما هو، فلم يهتز كمكانة وكيان، لأن الأزهر أصبح رمزاً للإسلام بكل اتجاهاته ورمزاً لدولة اشتهرت بالعلم والفقه والتسامح.

وبعد زوال الدولة الأيوبية وظهور دولة المماليك كان أول قرار للملك "الظاهر بيبرس" هو الزيادة في بناء الأزهر، وإعادة الخطبة إليه سنة ٦٦٥هـ، وازدهر الأزهر مرة ثانية وأصبح معهداً علمياً جامعاً يؤمه الطلاب من مصر والبلاد الإسلامية، وازداد اهتمام أولي الأمر بشأنه والعناية به، كما كان هناك أمر أخر ساعد على ازدهار الأزهر لم يتطرق له أحد؛ وهو أن غزوات التتار بالمشرق قضت على معاهد العلم هناك، كما قضي الغزو الصليبي على معاهد العلم في الأندلس، مما جعل من الأزهر منارة وحيدة تعبر عن الإسلام، وجامعة للتدريس والتفقه، وعاد للأزهر مكانته، وأصبح قلعة للعلم والدراسة.

وتأتي الرياح بما لا تشتهي السفن. فبعد غزو الدولة العثمانية لمصر سنة٩٢٢هـ وتحوله مصر إلى ولاية تابعة فما هي إلا مدة قصيرة حتى انقطعت صلة الأزهر بماضيه المجيد، ولم يبق فيه وجود لسلفه الصالح، وانتهي الاعتناء بالعلوم على اختلاف أنواعها، سواء كانت علوم الدنيا أو الدين، فلم يكن يدرس في الأزهر إبان العصر العثماني إلا القليل من العلوم الدينية ولم يبق إلا بعض العلماء الذين قلت بضاعتهم في العلم والفقه.

وكانت الطامة الكبرى في انحطاط اللغة العربية التي حافظ عليها الأزهر منذ إنشاءه، وابتدع العثمانيون نوع من التصوف يعتمد على تغييب العقل هو التصوف البدعي، كما ابتدعوا نوعاً في الفقه هو الفقه الافتراضي - التخيلي - الذي يعتمد على مسائل فقهية تافهة أو لا وجود لها، وفصلوا الأزهر عن واقع الدولة والأمة.

واستمر الوضع طوال العصر العثماني على هذا المنوال، لأن العثمانيين ما أرادوا إلا ضرب اللغة، فقد اعتمدوا اللغة التركية لغة رسمية لدواوين الدولة، وهذا دليل سوء نيتهم، فقد حاربوا اللغة العربية - لغة القرآن - وحاولوا طمس القومية العربية لصالح قوميتهم، واستخدموا الإسلام أسوأ استخدام، فالخلافة التي أوهموا الأمة بها لم تكن هدفاً ولا مقصداً لهم، بل كانت وسيلة هيمنة وسيطرة لنهب موارد الأمة، وقد عرفوا قصدهم جيداً وأدركوا أن ضرب الأزهر في مقتل هو أقصر الطرق للوصول لأهدافهم.

وظل الحال على هذا الوضع حتى عصر "محمد علي"، ورغم هذا فقد كان للأزهر الدور الأكبر في مقاومة الحملة الفرنسية، وقاوم الحملة الإنجليزية الأولي بقيادة "كليبر" أشد مقاومة، وقاد ثورة القاهرة الأولي سنة ١٧٩٨م وثورة القاهرة الثانية سنة ١٨٠٠م، بل إن الأزهر أمد الثورة العرابية بالمفكرين والمحاربين من أمثال "رفاعة الطهطاوي"، و"عبد الله النديم"، و"الشيخ محمد عبده"، و"السيد جمال الدين الأفغاني"، وشحن أفكار الشعب بالمبادئ التي تناهض الحكم المطلق، وتحارب الفساد والمفسدون.

وفي العصر الحديث تعرض الأزهر لضربات قوية تحت مسمي الإصلاح، وما كانت تلك المحاولات الإصلاحية إلا ضربات القصد منها زعزعة الأزهر وهدم كيانه وتحويله إلى كيانات متعددة، وطمس معالم الأزهر والشخصيات الأزهرية المنتمية له، وهو ما حدث في ستينيات القرن الماضي أبان الفترة الناصرية في مصر، وما يحدث الآن من هيمنة الدولة على الأزهر، واستخدامه سياسياً لمآرب وأهداف لا تتفق ومكانة الأزهر، ولا تصح مع الدين الحنيف دين الحبيب (ص).

وبالنظر لماضي الأزهر وحاضرة فيجب العمل بجد من أجل مستقبل هذا الكيان الروحي الكبير والتحديات التي تواجهه، فيجب إحياء دور الأزهر مرة أخري ولا يتم هذا إلا من خلال عودة الأزهر لسابق عهده في بدايته الأولى.

فيجب تحقيق استقلالية الأزهر الكاملة والتامة بعيداً عن سلطان الدولة، وإبعاده عن النواحي السياسية، وليس معني هذا إبعاده عن دوره الوطني، لكن القصد عدم دخوله في قاذورات السياسة أو استخدامه سياسياً من قبل رجال الحكم.

كما يجب الاهتمام بالاستقلال الاقتصادي للأزهر الشريف واستقلالية رجاله وعلماؤه - الحوزة العلمية في النجف نموذجاً لهذا- وأن تكون قيادته بالاختيار من رجالات الأزهر وليس بالتعيين عن طريق الدولة.

وفتح باب الاجتهاد والفقه والتدريس بالأزهر مرة أخري، وأن يكون الأزهر جامعاً وجامعة لكل المذاهب الإسلامية، وليس مذهباً واحداً، وأن يتفاعل مع باقي المذاهب، وأن يكون على مسافة واحدة من جميع المذاهب والاتجاهات.

وأنا هنا أنوه عن الخطر الأكبر على الأزهر الشريف متمثلاً في محاولات خارجية وداخلية للسيطرة عليه من قبل "الإسلام الصحراوي" إسلام الوهابية، وتلك المحاولات قد تزايدت هذه الأيام بشكل كبير، وهذا هو الخطر الأكبر على الأزهر الشريف، وتلك المحاولات تتم من الخارج عن طريق دولة خليجية معروفة ومن الداخل عن طريق أتباع تلك الدولة، وليس القصد إقصاء مذهب إسلامي بعيداً عن الأزهر؛ لكن القصد إقصاء مذهب بعيد تماماً عن روح الإسلام، ولا يتقبل الآخر، وإذا تمكن فسيقصى الجميع مذاهباً ورجالاً.

فقد كان معظم شيوخ الأزهر منذ البداية من المتصوفة؛ الذين كانوا يقفون دائماً في المنتصف بين جميع المذاهب، ويقبلون الآخر، ويعملون بروح الإسلام، فيجب العمل على العودة لوسطية الأزهر - التي هي وسطية الإسلام - وتسامحه وقبوله وتفاعله مع الجميع.

ولن يتم هذا إلا بتطوير المناهج الأزهرية، والعودة للأصالة مرة أخري، والاهتمام باللغة العربية وآدابها ودراسة المذاهب الإسلامية على اختلافها وتنوعها ومحاولة التقريب بينها من خلال الأزهر الشريف.

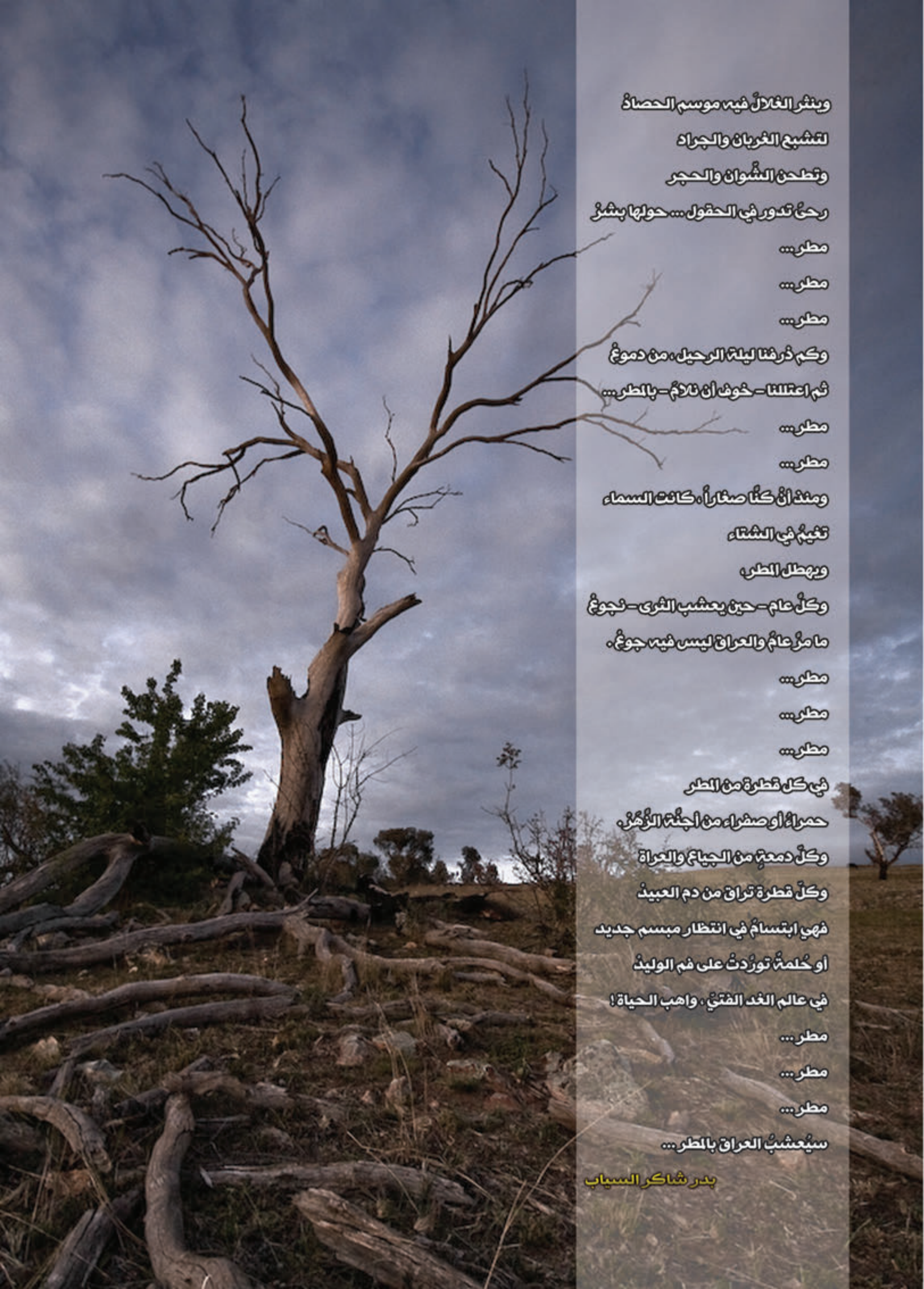

وينثر الغلالّ فيه موسم الحصادْ
لتشبع الغربان والجراد
وتطحن الشّوان والحجر
رحىً تدور في الحقول ... حولها بشرْ
مطر...
مطر...
مطر...
وكم ذرفنا ليلة الرحيل، من دموعْ
ثم اعتللنا - خوف أن نلامَ - بالمطر...
مطر...
مطر...
ومنذ أنْ كنّا صغاراً، كانت السماء
تغيمُ في الشتاء
ويهطل المطر،
وكلّ عام - حين يعشب الثرى - نجوعْ
ما مرّ عامٌ والعراق ليس فيه جوعْ.
مطر...
مطر...
مطر...
في كل قطرة من المطر
حمراءُ أو صفراء من أجنّة الزّهَرْ.
وكلّ دمعةٍ من الجياع والعراة
وكلّ قطرة تراق من دم العبيدْ
فهي ابتسامٌ في انتظار مبسم جديد
أو حُلمةٌ تورّدتْ على فم الوليدْ
في عالم الغد الفتيّ، واهب الحياة!
مطر...
مطر...
مطر...
سيُعشبُ العراق بالمطر...

بدر شاكر السياب

سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ

صورة لسحابة كونية اطلق عليها الفلكيون بـ (سديم النسر) تبعد عنا تسعة ترليون كيلومتر فلا يسع للمتأمل إلا أن يقول: (سبحان الخالق)

بأساليب إعلامية متنوعة قدم هذا العدد عدة علاجات للعديد من القضايا الاجتماعية والثقافية والفكرية؛ بين لقاء واستطلاع وتحقيق أو عن طريق البحث لنقدم للساحة الإعلامية العراقية والعربية شيء جديد مع ملف ابتدأ بافتتاحية رئيس التحرير والتي تجعل القارئ يغور في تفاصيل فكرية تلج محاورها الجوهرية للمكانة الكبير للسيدة الزهراء (ع) والذي خصص لها ملف هذا العدد.

كما وقد الباحث القانوني الأستاذ مهدي مجيد كربول رؤية وأهمية الشهادة في القضاء الإسلامي ومدى أهمية التحقيق بها قبل الإدلاء فيها، ومحاور دراسة الواقع الشخصي والأخلاقي للشاهد، هذا وتناول الدكتور مرتضى الشاوي وهو من جامعة البصرة مفهوم ثقافة اللاعنف والتسامح في الخطاب الإسلامي، للانطلاق بحوار الاعتدال، تلته مقالة للتدريسية سندس محمد من جامعة القادسية لتستعرض جوانب الرؤية الإسلامية للاعنف لتوثق رفض الإسلام إلى العنف وجميع أساليب التعصب والتطرف وما تلته من ثقافات ولدت مفاهيم العنف والإرهاب.

بعدها يصحبنا الباحث وسام الحجّاج في بحثه عن الغزو الفكري للثقافة الإسلامية بقراءات تاريخية تحليلية، يليه استطلاعاً عن الزوجة المثالية في عيون الإعلاميين، ليتحفنا بعده الجراح كاظم شبع بشرح اكتشافه الجديد (الهايدروكولويد)، ثم بحث علمي حول الليمون وصحة الإنسان أ.د عدنان المظفر يليه لقاء مع مبرمج الحاسبات والخبير بهذا المجال مصطفى القيسي ليطلعنا على أسرار الحاسبات وما يرافقها من تكنولوجيا وحول المصادر الصناعية وأثرها في التلوث الضوضائي في مدينة النجف الأشرف يقدم لنا الدكتور صفاء المظفر من جامعة الكوفة بحث حول تأثير المولدات في تصعيد مستوى التلوث الضوضائي وتأثيره على البيئة، يلي رؤية للقطاع الزراعي وأهميته في البلاد صُب حديث نقيب المهندسين الزراعيين في محافظة النجف الاشرف، وليرفدنا بعدها الأستاذ منتصر الحسناوي أمين سر اتحاد النحالين العرب عن رؤيا لواقع أنتاج العسل وقطاع النحالين في العراق، تأريخ وحاضر ومستقبل تحديات وواقع.

كما وقدمت المجلة في إطار جديد استطلاع حول صلاة الليل على لسان مصليها في جوانبها الدنيوية والأخروية، وآخر حديث في الإعلام القرآني ووسائل الإعلام العراقية المختلفة دار حوار المجلة مع الإعلامي المتخصص في القران الكريم السيد قاسم الحلون وكما أن العدد لا يخلو من كلمات وحكم أمير المؤمنين (ع) فقد تقدم السيد هادي الحكيم ببحث عن نهج البلاغة والمعاصرين والدكتور حسن الخاقاني عن بلاغة الإيجاز في نهج البلاغة بأسلوب دقيق وممتع وهناك حوار مع رئيس جمعية الوقاية من العمى العالمية أجراه نصير الحسناوي بعدها سلسة من الاستفتاءات تأتي للمراجع الأربعة (دام ظلهم الوارف) وملف العدد الذي اختص بالسيدة الزهراء ضم عدداً من البحوث والمقالات لشخصيات دينية وأدبية فبعد كلمة الملف كانت وقفة مع العقاد وكتابه (فاطمة الزهراء (ع) والفاطميون) لمناقشة عينات سلبية توقف عليها أسرة تحرير المجلة لتعرضها على العلامة الشيخ خالد البغدادي، كما وقدمت الأستاذة الناشطة في شؤون المرأة علياء الأنصاري جوانب مشرقة ومقارنة مستلهمة من سيرة الزهراء (ع)، ووقفه مع قصيدة للدكتور عبد الهادي الحكيم بعنوان ترتيلة في ذكرى وفاة الصديقة فاطمة (ع) كتبها وهو قابع في سجون النظام المباد يليها مقال للباحث مرتضى علي الحلي بعنوان وقفة اعتبار مع الصديقة الزهراء (ع)، مع دور (المرأة المبادرة) في تغيير المجتمع والأنساق الثقافية المهيمنة للأستاذة المساعد ناهضة ستار عبيد كما كان مقالة للكاتب صلاح حسن الصراف بعنوان ومضات من سلوك الزهراء (ع) في التربية واستطلع امجد الموسوي آراء عدة مواطنات في تأثير شخصية السيدة الجليلة في شخصيتهم، وتوقف الباحث حسنين جابر الموسوي مع الجانب التوحيدي وعلاقته بالسيدة الزهراء (ع)، وكتب أبو الحسن المظفر مقالة بعنوان قبس من دلائل الصدق على عصمة الصديقة الطاهرة فاطمة بنت رسول الله (ص)، وللمركز العقائدي كانت قطوف عقائدية مع السيدة الطاهرة وللسيد معن الحيدري وقفات مع أسرار ومعاني اسمها (ع)، يليه العلامة الشيخ علي حسان شويلية بمقالة ذات بعد أدبي تحت عنوان: (اعلموا أني فاطمة)، وقراءة في كتاب أدب فاطمة الزهراء للدكتور الراحل محمود البستاني قدمته علياء عبد الزهرة مهدي أخيراً مقالة عن الأزهر بين الماضي والحاضر والمستقبل للدكتور عادل أحمد أمين من جمهورية مصر العربية.